

الإمام البخاري محدثنا وفقيرنا

تأليف
الدكتور الحسين عبد المجيد هاشم

الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية
ومقرر لجنة السنة بالجمع بالأزهر الشريف

الناشرون
مصر العربية للنشر والتوزيع
ص ٠ ب : ٥٤٧٠ هليوبوليس غرب
القاهرة
حقوق النشر محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
خاتم الأنبياء والمرسلين الذي أرسله الله إلى الناس كافة.
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا
منيرا *

ومكن لرسالته الخلود بوحى يتلى وهو القرآن
الكريم وبوحى مبين ومفصل للكتاب الخالد وهو السنة
النبوية وفي كلتا الحالين أمدّه الله بالعناية وعصمه من
اتباع الهوى قال تعالى : « وما ينطق عن الهوى ، ان هو
الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى » *

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن.
اهتدى بهديه الى يوم الدين *

أما بعد **

فأقدم إلى العالم الإسلامي هذا الكتاب « الامام البخارى محدثا
وفقيها » بدأته بمقدمة اجمالية عن مكانة السنة في الاسلام ** وعن
تاريخ تدوين السنة الى عصر البخارى ثم بدراسة نشأة الامام البخارى
ومنهجه في حياته العلمية وذكرت بعض شيوخه الاعلام كنماذج
لمصادر ثقافته النقية ، ثم بمنهجه في حياته العامة حتى أكون على
علم بمكانته التى لها أثرها في لقاء الأضواء الكاشفة لخطواته العلمية
ثم ، كتبت عن منهجه في جامعة الصحيح * ولكي أبين مدى تأثير منهجه
بالسابقين وأحدد مميزاته ، قارنت بين كتابه وبين أعظم كتاب ألف في

القرن الثاني • « موطأ الإمام مالك رضى الله عنه » ولبيان أثر منهجه
فيمتد بعده قارنت بينه وبين أعظم كتاب ألف بعد كتاب البخارى وهو
الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج رضى الله عنه •
ثم كتبت عن اجتهاد البخارى وفقهه •
ثم عن النقد القديم فى صحيحه وبينت قيمته • ثم النقد الحديث
وبينت قيمة موازينه ومقاييسه •
ثم قارنت بين منهج المحدثين والبخارى ، وبين المنهج التاريخى
الأوروبى الحديث •
ثم تعرضت لمؤلفاته الموجودة بما يؤكد قوته العلمية فى معرفة تاريخ
الرواة حيث أن لها الصلة الوثيقة بأحاديثه والله ولى التوفيق •

المقدمة

مكانة السنة في الدين الإسلامي

اصطفى الله سبحانه وتعالى سيدينا محمدا صلى الله عليه وسلم وأعدّه اعدادا كاملا ليتحمل أسمى رسالة يعطر بأريجها الدنيا : تزكيسه للنفوس وتطهيرا للقلوب وتثبيتا للعقيدة الصحيحة وسيرا نحو النور في الطريق المستقيم في ميدان العقيدة والشريعة •

فأنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (١) » •

وأشرق ذلك الكتاب المبين يحمل في نفسه دليل صدقه ذاتيا وهو الدليل الخالد على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به ، وكان المعجزة الكبرى السدّى تحدى الانس والجن « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (٢) » •

وعرف أرباب الفصاحة والبلاغة حلاوته وطلاوته وبلاغته وفصاحته وأيقنوا أنه ليس من كلام البشر وأن الذي جاء به إنما هو رسول رب العالمين • وحمل القرآن الأسس الكامنة للرسالة العامة الخالدة • « قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا (٣) » •

(١) سورة البقرة الآية ٢ •

(٢) الاسراء الآية ٨٨ •

(٣) الاعراف الآية ١٥٨ •

وأمره الله بتبليغه :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين (١) » *

ولكن هل كل العقول مستعدة لفهم كل ما جاء به القرآن ؟ *
وإذا فهمته من سبيل الى تفصيل اجماله وبيان ابهامه ؟ اذن لابد من البيان والتفصيل والتوضيح فأمر الله نبيه في كتابه ان يبين للناس ما نزل اليهم بسنته *

قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون (٢) » * « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٣) » *

وتكفل الله بعصمة الرسول وامداده بالوحي وعصمته عن الخطأ والهوى في كل ما يأتي به من قرآن وسنة فيها بيان للقرآن أو تشريع مستقل « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى (٤) » *

« فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه (٥) » *
ومهد له الطريق وعبده لتذليل مهمته فأمر الناس بطاعة الرسول ونص في قرآنه على أنها طاعة لله كما نص على أنه لا خيرة في الأمر بعد كلام الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا (٦) » * وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا رسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون (٧) » * وقال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

(٢) سورة النحل الآية ٤٤

(٤) النجم الآية ٣ ، ٤ ، ٥

(٦) سورة النساء الآية ٨٠

(١) المائدة الآية ٦٧

(٣) النحل الآية ٦٤

(٥) سورة القيامة الآية ١٨ ، ١٩

(٧) الانفال الآية ٢٠

ففيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (١) » •

قال ابن القيم (٢) : أقسم سبحانه وتعالى بنفسه على نفى الايمان عن العباد حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجلي ولم يكتف في ايمانهم بهذا التحكيم بمجردة حتى ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق من قضائه وحكمه ولم يكتف منهم أيضا بذلك حتى يسلموا تسليما وينقادوا انقيادا • أ • ه •

وقال الامام الشافعي (٣) : نزلت هذه الآية فيما بلغنا والله أعلم في رجل خاصم الزبير في أرض ففضى النبي صلى الله عليه وسلم بها للزبير وهذا القضاء سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حكم منصوص في القرآن أ • ه •

فكل ما جاء به الرسول وأثر عنه من السنة فاتباعه انما هو واجب لصريح أمر الله في قرآنه باتباعه وهو بالتالى اتباع لله وقرآنه وهذا صريح فيما تقدم وفي قوله تعالى : « (٤) وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » • وأخبر تعالى ان الرسول أوتى القرآن والحكمة وهما مصدرا التشريع فقال : « (٥) لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » وذهب جمهور العلماء والمحققين بأن الحكمة هى السنة وجزم بهذا الامام الشافعي لتغايرهما بالعطف وهى في مقام المنة ولم يوجب علينا الا اتباع الرسول فلا يمكن أن تكون شيئا آخر غير السنة • « من يطع الرسول فقد أطاع الله (٦) » • وحب الله في اتباع الرسول وسنته •

« قل (٧) ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » •

(٢) اعلام الموقعين ج ١ ص ٥٧. لابن قتيبه

(٤) سورة الحشر الآية ٧ •

(٦) سورة النساء الآية ٨٠ •

(١) النساء الآية ٦٥ •

(٣) الرسالة ص ٨٣ للشافعي •

(٥) سورة آل عمران الآية ١٦٤ •

(٧) سورة آل عمران الآية ٣١ •

فالقرآن هو الأصل الأول في الدين الداعي الى السنة ، والسنة هي الأصل الثاني في الدين ، وهي المبينة للقرآن المفصلة لاجماله والمستقلة بالتشريع ، فيها يعرف مثلا أوقات الصلاة وعدد ركعاتها وسجوداتها وما يقيمها أو يبطلها مما لم يفصله القرآن ، بل أجمله في الأمر بالصلاة * كما انفردت السنة ببعض الأحكام مما لم يذكره القرآن مثل تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها ، وتحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير ، الا أن مثل هذه الأمور يمكن ان يقال بأنها ليست مستقلة استقلالاً تاماً عن القرآن حيث ان الأخذ بها مندرج تحت أمر القرآن باتباع الرسول وسنته ، وأخرج أبو داود والترمذي عن المقدم بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدث بحديث عني فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه ، ألا وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله * زاد أبو داود — الا اني أوثقت الكتاب ومثله معه » والمماثلة للكتاب هي السنة *

ومن رياض السنة تفجرت ينابيع التفسير بالمأثور ، ومن رياض القرآن والسنة تكونت ثروة الفقه الاسلامي ، وهما أصل مصادر التشريع ، وهما ميزان العدل الالهي الصادق ، وعلى هديهما يستطيع المصلحون في كل وقت أن يقيسوا أعمال الأفراد والجماعات والأمم ، ولا يكون الاعتدال الكامل في الأخلاق والمعاملات والعبادات الا بالكتاب والسنة *

وقد توفي الرسول بعد أن ظل يعلم الناس بمكة والمدينة مركزى أشعاع الدعوة الى الدنيا ثلاثاً وعشرين سنة يقيم للناس معالم الدين على منهاج الحق بالكتاب والسنة ، وتوفي وهو مطمئن الى أنه تركهما لنا ميزان حق وصدق لن نضل ما تمسكنا بهما ، قال صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي — كتاب الله وسنتي » *



مسجد الإمام البخاري في قرية خرنك قرب سمرقند

جمع السنة وتدوينها بن عمر الصحابة إلى عصر البخاري

بعث الله في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويبعثه الرسول وتلاوته الكتاب والحكمة النبوية وهي السنة زكت وطهرت قلوب وعمرت صدور بالايان فأقبلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلمون الكتاب والحكمة وأزكى فيهم ذلك الاقبال قدوة حسنة متمثلة في الرسول وبلاغة نادرة متمثلة في الكتاب والسنة وذوق عربي أصيل في الصحابة حبيب اليهم الكتاب والحكمة ، وذاكرة واعية ضربوا بها المثل الأعلى في قوة الحفظ اسعفتهم بتسجيل ما يلقي عليهم من الرسول ووضعوه في صدورهم الأمانة التي طهرها الاسلام •

والقرآن يدفعهم ويوجههم الى العناية بالسنة واتباع الرسول ، والرسول يفسر ويشرع بالسنة وهم يحفظون • ومعلوم أن القرآن نزل في خلال ثلاثة وعشرين عاما فكان الرسول يبلغ الآيات ويفسرهما وتطبق عمليا وفي ذلك يقول أبو عبد الرحمن السلمي (١) : حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود — انهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ••• قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ونهج النبي معهم المنهج التربوي فكان يتخولهم بالموعظة كراهة السأمة وفي ذلك تثبيت للمعلومات •

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٤ •

روى البخارى بالسند المتصل عن ابن مسعود قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السأمة علينا (١) . والقرآن يدعوهم الى العلم « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (٢) » والسنة تدعوهم الى العلم روى البخارى بالسند المتصل قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفهمه » وانما العلم بالتعلم « وفي رواية » من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، « ويأمرهم النبي بالتبليغ ويقول لهم بعد المقالة بعض الأحيان . « هذا فليبلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه (٣) ودعا لمن أدى مقالته كما حفظها فقال : نضر الله امرءا سمع مقالتي فحفظها ووعاها حتى يبلغها » وقد التزموا أوامر رسولهم وتفانوا في الحرص على تبليغ العلم روى البخارى قال أبو ذر رضى الله عنه « لو وضعتم الصمصامة « السيف » على هذه وأشار الى قفاه ثم ظننت أنى أنفذ كلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تجيزوا على « تقطعوا رأسى » الأذنتها (٤) » وقال ابن عباس : « كونوا ربانيين حكما فقهاء ، ويقال الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره » وكان من عناية الصحابة بحديث النبي أنهم كان الواحد منهم اذا شغله عمل أرسل صاحبه الثقة ليخبره بما يقول الرسول فكانوا يتناوبون فى السماع ويبلغ الشاهد الغائب ويسأل الشاهد وسطروا السنة على صفحات قلوبهم ووعوا كل ما سمعوا وما شهدوا وحرصوا على نشره وتبليغه وتعاون ثقات المجتمع الاسلامى من الصحابة فى حياة الرسول وبعد وفاته على حراسة سنة نبيهم وهل يشق على الآلاف الثقات من الصحابة المخلصين حراسة تراث رجل واحد رأوا فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة ؟ وعدتهم فى ذلك ايمان عميق بنبيهم وبسمو سنته وذاكرتهم الواعية التى فاقوا فيها جميع الأمم وشعورهم الفياض

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠ من كتاب العلم .

(٢) سورة الزمر الآية ٩ .

(٣) صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠ من كتاب العلم .

(٤) صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠ من كتاب العلم .

يأن السنة هي سنة رسول رب العالمين ، فلو تخصص عشرة من الصحابة وحفظ كل واحد منهم في صدره ما يساوي كمية نصف القرآن الكريم الذي حفظوه لكانوا جديرين بجراستها فما بالك وقد جند لها آلاف الثقات الحفاظ أنفسهم ؟ *

هذا فضلا عن ان منهم من بدأ يكتب الحديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يكن التدوين عاما فقد كانت هناك صحائف خاصة * كان عبد الله بن عمرو رضى الله عنه كاتباً محسناً اشتهرت صحيفته التي دون فيها الحديث (بالصحيفة الصادقة) لأنه كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة فهي أصدق ما يروى عنه ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص لجاهد هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بينى وبينه أحد (١) وكانت عزيزة عليه للغاية حتى كان يقول ابن عمرو « ما يرغبنى فى الحياة الا الصادقة والوهط (٢) وكان لجابر بن عبد الله الانصارى صحيفة (٣) وكان الأنس ابن مالك صحيفة كان يبرزها اذا اجتمع الناس (٤) واشتهر ابن عباس بطلب العلم ودأبه عليه وكان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يسأل الصحابة ويكتب عنهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا له كما فى صحيح البخارى فى باب العلم بالسند المتصل عن ابن عباس قال : ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم علمه الكتاب وفى الكفاية (٥) اللهم علمه الحكمة وعلمه التأويل ولهمام بن منبه صحيفة وتسمى الصحيفة الصحيحة وهو أحد أعلام التابعين رواها عن أبى هريرة (٦) ويقول الأستاذ الندوى أن تأليف هذه الصحيفة يرجع الى أواسط القرن الأول ، لأن أبا هريرة توفى سنة ٥٨ هجرية وهى من أملاء

(١) المحدث الفاضل المرامهرمزي - تقييد العلم من ٨٤ وجامع بيان العلم وفضله *

(٢) سنن الداريمى ج ١ من ١٢٧ والوهط أرض لعمرو بن العاص تصدق بها ووقفها *

(٣) جامع بيان العلم ج ١ من ٧٤ تدوين السنة من ٣٤٨ *

(٤) تقييد العلم من ٥ *

(٥) الكفاية من ٢١٣ *

(٦) قال مؤلف السنة قبل التدوين من ٣٥٦ قد وصلتنا صحيفة همام كاملة كما دونها عن

أبى هريرة عن عليها الدكتور محمد حميد الله فى مخطوطتين متماثلتين *

أبى هريرة ويقرر الأستاذ أبو الحسن الندوى (١) متفقاً مع صاحب تدوين الحديث : العلامة مناظر أحسن الكيلانى (٢) رئيس القسم الدينى العلمى بالجامعة العثمانية بحيدر آباد بأنه اذا جمعت هذه الصحف والمجاميع وما احتوت عليه من الأحاديث كونت العدد الأكبر من الأحاديث التى جمعت فى الجوامع والمسانيد والسنن فى القرن الثالث وهكذا يتحقق أن المجموع الكبير الأكبر من الأحاديث سبق تدوينه وتسجيله من غير نظام وترتيب فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عصر الصحابة رضى الله عنهم وقد شاع فى الناس — حتى المثقفين والمؤلفين — أن الحديث لم يكتب ولم يسجل الا فى القرن الثالث الهجرى وأحسنهم حالاً من يرى أنه قد كتب ودون فى القرن الثانى وما نشأ هذا الغلط الا عن طريقتين •

الأولى : ان عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر تدوين الحديث فى القرن الثانى ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التى كتبت فى القرن الأول لأن عامتها فقدت وضاعت مع أنها اندمجت وذابت فى المؤلفات المتأخرة •

الثانية : انهم لا يتصورون سعة هذه الصحف لكثرة الأحاديث الموجودة ويقول الكيلانى قد يتعجب الانسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية فيقال أن أحمد بن حنبل كان يحفظ أكثر من سبعمائة ألف حديث وكذلك يقال عن أبى زرعة ويروى عن الامام البخارى أنه كان يحفظ مائتى ألف من الأحاديث الضعيفة ومائة ألف من الأحاديث الصحيحة ويروى عن مسلم أنه قال جمعت كتابى من ثلاثمائة ألف حديث ولا يعرف كثير من المتعلمين فضلاً عن العامة أن الذى يكون هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد فحديث (انما الأعمال بالنيات ••)

(١) رجال الفكر والدعوة لآبى الحسن الندوى ص ٨٢ وهو عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ومن اعلام الهند •

(٢) تدوين الحديث للعلامة مناظر أحسن الكيلانى « فى اللغة اردو » طبع المجلس العلمى بباكستان •

يروى من سبع مائة طريق فلو جردنا مجاميع الحديث من هذه المتابعات والشواهد لبقى عدد قليل من الأحاديث : وقد صرح الحاكم أبو عبد الله الذي يعتبر من المتسامحين المتوسعين أن الأحاديث التي في الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف •

ومعظم هذه الثروة الحديثية قد كتبت ودونت بأقلام رواة العصر الأول ، وقد يزيد ما حفظ في الكتب والدفاتر كتابة وتحريرا في العصر النبوي وفي عصر الصحابة رضى الله عنهم على عشرة آلاف حديث اذا جمعت صحف ومجاميع أبى هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وعلى بن أبى طالب وابن عباس رضى الله عنهم فيمكن أن يقال أن ما ثبت من الأحاديث الصحاح واحتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتبت ودون في عصر النبوة وفي عصر الصحابة قبل أن يدون الموطأ والصحاح بكثير (١) أ ه • وهكذا تعاون الحفظ والتدوين على حفظ سنة النبى صلى الله عليه وسلم في عصر الصحابة وعضوا عليها بالنواجذ وعرفوا قدرها ، ولا نغفل ما حصل من أمر الوضع في الحديث منذ أربعين من الهجرة بعد وقوع الفتنة وحرب الامام على معاوية والخلافات السياسية ومذهبية والحادية •

ولكن من الطبيعى ان ذلك لا يصدر الا عن لا معرفة ولا عناية لهم بالسنة ولا ثقة للناس بهم ولا صحبة لهم حقيقية مع الرسول • ومن يحاول تقليد شيء لا علم له به يكون أمره مفضوحا واهيا وماذا يفعلون أمام التيار الجارف من الحرص على السنة وقد أحس الثقات بهم فحصرهم في قوائم سوداء وحصرهم الضعفاء هي قوائم الكذابين والوضاعين والضعفاء • وحصرهم أحاديثهم في قوائم الموضوعات •

وقوبلت حركة الوضع الهزيلة من الذين لا عناية لهم بالسنة ولا معرفة لهم بها بحركة قوية جبارة من علماء السنة ووضعوا المقاييس الفريدة والمنهج القويم يساند ذلك الحق والالهام والذوق والملكة

(١) تدوين الحديث للعلاية بناظر أحسن الكيلاني في اللغة اردو طبع المجلس العلمى بباكستان •

ومعرفة أبطال السنة وحرصهم عليها فالتزموا الاسناد يقول محمد بن سيرين عن ذلك : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سمو لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيأخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يأخذ حديثهم (١) ويقول أبو العالية : « كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رضيينا حتى رحلنا اليهم هسمعنا عن أغواهم (٢) » ويقول عبد الله بن المبارك : الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء وعنه أنه قال : بيننا وبين القوم القوائم يعنى الاسناد (٣) » ويقول سفيان الثوري : « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ (٤) » ورحلوا من أجل الحديث — يقول سعيد بن المسيب : « ان كنت لأسير الليالى والايام فى طلب الحديث الواحد (٥) » ووضعوا قواعد الاسناد والمتن وقضوا على حركة الوضعيين » *

ولا يعارض كتابة الحديث فى عصر النبوة والصحابة ما روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكتبوا عنى غير القرآن ومن كتب عنى غير القرآن فليمحاه وحديثوا ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » فان ذلك كان فى بدء الدعوة حتى لا يختلط القرآن بالسنة ولم يستقر الاسلوب القرآنى بعد فى النفوس ، أو كان ذلك النهى بالنسبة لكتاب الوحى خاصة حتى يتفرغوا لمهمة القرآن ، أو النهى كان خاصا لكتابة الحديث مع القرآن فى صحيفة واحدة ، فأنه يدل على الكتابة ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : لما فتح الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه تم قال : ان الله حبس عن مكة الفيل

(١) مقدمة صحيح مسلم النووى ج ١ ص ٨٤ .

(٢) المحدث الفاضل ص ٢٠ .

(٣) الجامع لآخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٨ .

(٤) الكامل لابن عدى ج ٢ ص ٤ .

(٥) جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٩٤ .

وسلط عليها رسوله والمؤمنين فقام أبو شاه « رجل من اليمن » فقال :
 اكتبوا لى يا رسول الله • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 اكتبوا لأبى شاه • • وما روى البخارى فى كتاب العلم عن ابن عباس
 قال : لما استند بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعه قال : ائتوني بكتاب
 أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده « الحديث » وهكذا كان عصر الصحابة
 الذين شهدوا الوحي والتنزيل واختارهم الله لصحبة نبيه وجعلهم أعلاما
 وقدوة ونفى عنهم الشك والكذب والريبة وسماهم عدول الأمة فقال
 عز ذكره فى محكم كتابه : « وكذلك^(١) جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء
 على الناس » وفسر النبى صلى الله عليه وسلم وسطا — عدلا —^(٢)
 فكانوا أئمة الهدى وحجج الدين ونقلة الكتاب والسنة والحراس عليها
 ومعهم التابعون اختارهم الله لاقامة دينه وفقهوا فيه فأخذوا السنة
 عن الصحابة • « والذين^(٣) اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا
 عنه » يقول ابن أبى حاتم^(٤) : ندبهم الله عز وجل لاثبات دينه واقامة
 سنته وسبيله المستقيم • فلم يكن لاشتغالنا بالتمييز بينهم معنى اذ كنا
 لا نجد منهم الا اماما مبرزا — مقدما فى الفضل والعلم وفى السنن
 واثباتها ولزوم الطريقة واحتذائها رحمة الله ومغفرته عليهم أجمعين —
 الا ما كان ممن ألحق نفسه بهم ودسها بينهم ممن ليس يلحقهم ولا هو
 فى مثل حالهم لا فى فقهه ولا حفظ ولا اتقان ولا تثبت أ — ه •

على أنه قبل أن ينقضى عصر الصحابة أمر الخليفة العادل عمر
 ابن عبد العزيز بتدوين الحديث فكان التدوين الرسمى بأمر الخليفة
 على رأس المائة حينما رأى اتساع الفتوحات الاسلامية وانتشار
 الصحابة فى الأقطار وموت أكثرهم •

روى البخارى فى كتاب العلم من صحيحه • وكتب عمر
 ابن عبد العزيز الى أبى بكر بن حزم : أنظر ما كان من حديث رسول

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣ •

(٢) كما فى صحيح البخارى من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة •

(٣) سورة التوبة الآية ١٠٠ •

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ص ٩ لابن أبى حاتم •

الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه • فأنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل الا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم • فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا •
وابو بكر بن حزم عامله وقاضيه على المدينة :

وأوصاه (١) أن يكتب ما عند عمره بنت عبد الرحمن الأنصاري والقاسم بن محمد بن ابي بكر المتوفى (١٢٠) هـ •

وكذلك كتب الى عماله في امهات المدن الاسلامية بجمع الحديث فقد أخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أهل الآفاق : أنظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه • وأمر خليفة للمسلمين كعمر بن عبد العزيز كفيلا بأن يشعل الهمم ويصادف القبول في النفوس المستعدة فتسرع للاستجابة لتنفيذ أمره على خير وجه وقد لبى الأمر الامام الكبير محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المتوفى (١٢٤ هـ) وللزهري مكانته وامامته •

ثم شاع التدوين في الجيل الذي يلي جيل الزهري •
وكان أول من جمعه بمكة ابن جريج (١٥٠) وابن اسحاق (١٥١ هـ) ومالك (١٧٩) بالمدينة وسعيد بن أبي عروبة (١٥٦ هـ) والربيع ابن صبيح (١٦٠ هـ) وحمام بن سلمة (١٧٦) بالبصرة وبالكوفة سفيان الثوري (١٦١ هـ) وبالشام ابو عمرو الاوزاعي (١٥٦ هـ) وبواسط هشيم بن بشير (١٨٨ هـ) وشعبة بن الحجاج (١٦٠) وبخراسان ابن المبارك (١٨١ هـ) وباليمن معمر (١٥٣) وبالري جرير (١٧٥ هـ) وبمصر عبد الله بن وهب (١٩٧) •

وهؤلاء كانوا في عصر واحد لا يدري أيهم أسبق في التدوين •
ومنهم في التدوين جمع حديث رسول الله مختلطا بأقوال الصحابة ،
والتابعين مع ضم الابواب بعضها الى بعض ثم تلاهم كثير من أهل

(١) فنون الحديث للفول والسنة ومكانتها من ١٢٢ للسباعي •

عصرهم تسجاً على متوالهم التي أن رأى بعض الأئمة أن يقرّد حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خاصة على رأس المائتين في أوائل القرن
الثالث، فألفت: المسانيد : ومنهج المسانيد أن يجمع أحاديث كل صحابي
على حدة وان تعدد الموضوع *

ومن هذه المسانيد مسند عبيد الله بن موسى، العباسي الكوفي ومسند
مسدد بن مسرهد البصري، وأسند بن موسى الأموي ونعيم بن حماد
الخراساني *

ثم اقتفى الأئمة أثرهم كالإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه
وهما من أساتذة الإمام البخاري وكان منهج هؤلاء مزج الصحيح وهو
ما ثبت صحته بغيره *

ثم جاء أبو عبيد الله البخاري، ..

الباب الأول



نشأة - الإمام البخاري ومنهجه في حياته العلمية

نشأة (١) أبي عبد الله البخارى

نسبه : هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن «بردزبه»^(٢) الجعفى ولاء * البخارى مولدا شرف الله جده المغيرة بالاسلام على يد اليمان الجعفى والى بخارى فانتتمى اليه بولاء الاسلام وسرى منه الى ذريته جيلا بعد جيل ومنهم امامنا البخارى وبارك الله فى صلة المغيرة باليمان فكان حفيد اليمان عبد الله المسندى بن محمد بن جعفر بن اليمان شيخا لحفيد المغيرة أمير المؤمنين فى الحديث - أبى عبد الله البخارى كما كان أحمد بن أبى جعفر الجعفى والى بخارى راويا لأبى عبد الله البخارى ومن هنا نعلم مدى العلاقة الطيبة بين بيت الولاية الأطهار العلماء ببخارى وبيت أبى عبد الله البخارى *

مولد البخارى وأسرته

أراد الله لمدينة بخارى وهى من أعظم مدن ما وراء النهر « نهر جيحون » على بعد ثمانية أيام من سمرقند من بلاد فارس^(٣) أن يرفع ذكرها ويخلد اسمها وضاء فولد بها أبو عبد الله محمد بن اسماعيل يوم الجمعة^(٤) اثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة

(١) تاريخ الخطيب البغدادي ج ٢ ص ٦ ، طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ج ٢ ص ٤ مقدمة فتح الباري لابن حجر ج ٢ ص ١٦٣ مقدمة شرح البخارى للنووى ج ١ ص ٤ ، تهذيب الاسماء واللغات للنووى ج ١ ص ٦٧ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ١٧٢ سير اعلام النبلاء للذهبي ج ٢ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢١٩٥ لباب الانساب ج ١ ص ٢٣١ تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٧ *

(٢) « بردزبه » فارسي معناه بالعربية الزراع « الفلاح أو الهستان » *

(٣) وبخارى الآن تحت نفوذ الاتحاد السوفيتى بولاية ازبكيستان من المستعمرات الروسية الى آسيا الوسطى *

(٤) تالى أبو يملى الخليلي فى كتابه الارشاد على مافى لطوفيات أن ولاده كانت لاثنتى عشرة من شوال فى السنة المذكورة *

من الهجرة (١٩٤ هـ) في بيت مبارك عطره والده اسماعيل بالعلم والتقوى فقد كان من العلماء العاملين والنبلاء الورعين ، خرج اسماعيل من وطنه حاجا قبل سنة (١٧٩ هـ) وتقابل مع امام المدينة مالك بن أنس ورأى حماد بن زيد وصالح عبد الله بن المبارك بكتلتا يديه (١) *

وحدث عن ابي معاوية بن صالح وجماعة وروى عنه أحمد بن حفص وغيره من العراقيين *

واذا كانت مكانة اسماعيل تسمو برواية الحديث وطلبه من منابحه الصافية منذ تتلمذ على أقطاب المحدثين وبتصدره شيخا محدثا يؤخذ عنه الحديث فإن هذا السمو يبلغ درجة عالية من الكمال حينما نعلم أنه اتسم بأشرف الأوسمة اذ كان ثقة ** ترجم له ابن حبان في كتاب الثقات كما ترجم له ولده (٢) في التاريخ الكبير *

وهل الثقة الا لفظ موجز عميق الدلالة ؟ ** يضم في دائرته أجمل الصفات وأعظمها غريزية ومكتسبة من ذكاء لماح وحفظ تام الى عدالة كاملة وأمانة عالية * وقد بلغ اسماعيل درجة في الورع تدعو الى الاجال والاكبار ، اذ كان يبتعد عن الشبهات واستثمرها في الخيرات فكان قرير العين عند المات روى عنه احمد بن حفص : قال دخلت عليه عند موته فقال : لا أعلم في جميع مالى درهما من شبهة فتصاغررت الى نفسى (٣) بعد ذلك ، واستقبل منزل الحديث والتقوى والثراء العريض محمد بن اسماعيل وقرت به عين والديه — طفلا صغيرا ثم ما لبث الوالد ان توفي وترك ابنه محمدا في مرحلة الطفولة مع أمه التقيية (٤) النابهية تحبوه بعطفها وتركز فيه آمالها *

(١) رواية عن البخارى في سير أعلام النبلاء ٢ - ٨ ص ٢٣٤ مخطوط *

(٢) تاريخ البخارى ج ١ - قسم ص ٣٤٣ - ٣٤٤ طبع الهند ١٣٧٠ هـ *

(٣) سير أعلام النبلاء من ٢٣٤ وطبقات ابن السبكي الكبرى ج ٢ ص ٣ وغيره من المراجع المتقدمة *

(٤) انظر الخطيب البغدادي ٢ ص ١٠ ذكرها غتجار في تاريخ بخارى واللائكائى في شرح السنة من أصحاب الكرامات في باب كرامة الاولياء دعت لابنها البخارى فرد الله عليه بصره .

والى أى وجهة نتجه به غير نهج والده الذى ترك لها مع ثراء المال
ثراء العلم يفوح أريجيه فى أرجاء البيت مثلاً تطبيقية زاكية لما تركه
مسطورا فى كتبه الجامعة ذخيرة هادية •

فلنتجه به الى التعليم لينتفع بكتب والده ويسير على نهجه عليه
يحى سيرته وذكره فالوالد سر أبيه فوجهته الى الكتاب ليدرس مع
أقرانه الكتابة والقراءة والقرآن الكريم والحديث الشريف •

نبوغه العلمى المبكر :

وما أن شب الوليد وبلغ العاشرة حتى ظهرت مخايل الذكاء والنجابة
فيه بصورة واضحة نادرة فى هذا الوقت المبكر فى سنى حياته فى المكتب
سنة ٢٠٥ هـ ويسره الله الى ما خلق له •

فألهمه حفظ الحديث على حد تعبيره الدقيق يحدث محمد بن أبى
حاتم الوراق النحوى قال : قلت لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل
البخارى : كيف كان بدء أمرك فى طلب الحديث ؟ •

قالت : ألهمت حفظ الحديث وأنا فى الكتاب قال : كم أتى عليك
اذ ذاك ؟ قال : عشر سنين أو أقل (١) •

ويلاحظ أن هذا النبوغ المبكر والنمو العلمى الجارف فى الحديث —
كان الصفة السائدة « على حد تعبير علماء النفس » التى برزت فى حياة
البخارى منذ النشأة الاولى • فأعيت الباحثين فى حياة البخارى عن
التقديم لحياته العلمية بمقدمات ضافية فى تربيته وخلالها قبل اكتمال
عوده وهو غلام على حد تعبير الداخلى حتى يجد حياته العلمية مشرقة
فيه • تجبر الباحث على الاهتمام بها والسير فى مضمارها • مراحل
متسلسلة مترابطة باهرة السابقة مقدمة للاحققة •

=
بعد أن ذهب وفى البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٥ لابن كثير ذكر أنه عمى فى صغره فرائد والدته
سيدنا ابراهيم عليه السلام فى المنام فقال لها : يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك
أو لكثرة دعائك وفى طبقات الشافعية للسبكي ج ٢ ص ٣ • فاصْبِحْ وقد رد الله عليه بصره •
(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٦ •

فهو حينما يبلغ سن الحادية عشرة تكبر همته فلا يسعها رحاب الكتاب فيطلب لها أفقا أوسع وأرحب ، جغرافيته ووطنه .
يتردد على أئمة الحديث أينما وجدوا في دائرة وطنه لينهل من مواردهم حاملا عقلا نقادا وذاكرة واعية وخلقاً كريماً وعرف نفسه فاكتسب بذلك ثقة دفعته الى أن يقف وهو ملء السمع والبصر بقوته العلمية المبكرة يصحح ما يخطئ فيه أستاذ من عمالقة الحديث وهو أستاذه الداخلي ويدخل معه في مناقشة علمية بريئة تهدف الى الحق وتنتهي بتسليم أستاذه الداخلي له وكتابة ما أرشده البخاري الى تصحيحه . ويحدثنا البخاري رضي الله عنه عن هذه المرحلة : « ثم خرجت من الكتاب بعد العشر اختلف الى الداخلي وغيره فقال يوما فيما كان يقرأ على الناس : « سفيان عن أبي الزبير » المكي » عن ابراهيم « النخعي » فقلت له : يا ابا فلان ان ابا الزبير لم يرو عن ابراهيم فانتهرني فقلت له : ارجع الى الاصل ان كان عندك . فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال : كيف هو يا غلام ؟ فقلت : هو الزبير بن عدي عن ابراهيم فأخذ القلم مني وأحكم كتابه فقال : صدقت فقال : له بعض أصحابه ابن كم كنت اذ رددت عليه ؟ فقال : ابن احدى عشرة (١) .

واستمر البخاري حركة دائبة في تلقي الحديث من أهل بلده فسمع من محمد ابن سلام البيكندی وعبد الله بن محمد المسندی (٢) وابراهيم ابن الأشعث ومحمد بن يوسف البيكندی .

أفادته من كتب والده

وتحقت أمنية أمه فكانت كتب والده مربية له وعونا . أقبل عليها دراسة وتمحيصاً ومراجعة يقول ابو بكر بن منير : سمعت محمد بن

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٦ وغيره من المراجع السابقة . للطبقات الكبرى لابن السبكي ج ٢ ص ٤ .
(٢) الطبقات الكبرى لابن السبكي ص ٢٥٦ ج ١ وتهذيب الاسماء والملفات للنفوس ج ١ المسند من حديثه .

اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي يقول : كنت عند أبي حفص احمد بن حفص اسمع كتاب الجامع — جامع سفيان — في كتاب والدي فمر أبو حفص على حرف لم يكن عندي فراجعته فقال الثانية كذلك فراجعته الثانية فقال كذلك فراجعته الثالثة فسكت سوية ثم قال : من هذا ؟ *

قالوا : هذا محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن بردزبة فقال أبو حفص : هو كما قال احفظوا عنه فان هذا يوما يصير رجلا *
وخل يحفظ الكتب ويناقش أساتذته وتظهر عبقريته والمهامه حتى امتلأت الأسماع بذكره وتعجب منه مشايخه *

الغلام العالم ومنهجه الدراسي

وأصبح الغلام عالما غذا تهابه الشيوخ ويتندرون بذكره .. جمع ما عندهم جميعا من الأحاديث وعنى بالاسناد فعرف الرجال ومولدهم وتاريخ وفاتهم ومساكنهم وشيوخهم حتى أدرك حقيقة ارتباط الرجال بالأحوال والسند والمتن فأصبح لا يشتبه عليه شيء ، وبهذا غاضلوا بينه وبين شيوخه فقال (١) جعفر بن محمد المستغفرى فى تاريخ نسف وذكر البخارى لو جاز لفضلته على من بقى من مشايخه وروى عن شيخه محمد بن سلام البيكندى قوله فى محمد بن اسماعيل كلما دخل على هذا الصبى تحيرت والتبس على أمر الحديث ولا أزال خائفا (٢) » *
ويقول سليم بن مجاهد كنت عند محمد بن سلام البيكندى فقال : لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث فخرجت حتى لحقته فقلت له أنت تحفظ سبعين ألف حديث ؟
قال : نعم وأكثر ولا أجيبك بحديث عن الصحابة والتابعين الا عرفت مولد اكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ولست أروى حديثا من حديث

(١) الطبقات ج ٢ ص ٢ *

(٢) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٨ *

الصحابة والتابعين الاولى من ذلك أصل أحفظه حفظا من الكتاب أو السنة (١) .

وفي هذا النص يتجلى لنا منهجه الدراسى فى الحديث وهو العناية بالسند وأحواله والمتن وأصوله وهو حينما يروى الموقوف (المروى عن الصحابى) أو المقطوع (الموقوف على التابعى) فله فى ذلك المعنى المروى أصل من كتاب الله أو من السنة الصحيحة المسندة ولهذا المنهج فى الدراسة والرواية الذى لا يتيسر الا لمن وهبه الا الاستعداد والالهام . كانت الثقة فى مرويات البخارى متوفرة مسندة ، أو موقوفة أو مقطوعة فهو رجل الحديث والقرآن والمنهج الفريد منذ نعومة أظفاره .

وفى كل يوم يزداد فتى بخارى علما ويزداد تقدير مشايخه له يتنبئون له بالمستقبل الزاهر كل ذلك ولم يبلغ السادسة عشرة سنة ، فلما بلغها حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وهما المحدثان المشهوران بمكانتهما العلمية .

رحلته فى طلب العلم

كان من الممكن أن يكون البخارى من أئمة الحديث كغيره من الأفاض الذين اقتصروا على ما جمعوه من أمصارهم وهو مجهود لا يستهان به وثروة مطمئنة وشرف عظيم .

لكنه رأى فى نفسه نهما علميا لا حد له يزكيه استعداد فطرى منقطع النظير ، وروح دينية عالية . وتوجيه . من أم صالحة تربت فى بيت كريم — وانتماء الى محدث ثقة نقى وفوق كل ذلك الهام الله وعنايته الذى هداه الصراط المستقيم فطار على أجنحة همة عالية يطوف فى أرجاء الدنيا طالبا للحديث ورجاله . وبدأ الرحلة المباركة بمكة المكرمة مهبط الوحي ومنبت الرسالة وفى موسم الحج . . لتأدية فريضة الحج أخذ معه المربية الفاضلة أمه . . وأخاه أحمد الذى يكبره سنًا . . وكان

(١) الطبقات ج ٢ ص ٨ لابن السبكي .

ذلك سنة ٢١٦ هـ وعمره ستة عشرة سنة ومعنى ذلك أنه خرج في نفس السنة التي حفظ فيها كتب ابن المبارك ووكيع .

يقول : « البخارى ^(١) خرجت مع أمى وأخى أحمد الى مكة فلما حجبت رجع بها أخى وتخلفت في طلب الحديث وهناك سمع على أئمة مكة أمثال أبى الوليد أحمد بن محمد الأزرقى واسماعيل بن سالم الصايغ .

ثم رحل الى المدينة المنورة دار الهجرة ومثوى صاحب الرسالة ومشرق النور . ليزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويجمع العلم من أهله .

أحفاد الصحابة الذين حرسوا السنة وسلموها الى أولادهم التابعين وتوارثوها جيلا جيلا وطبقوها عمليا فأصبح عملهم الاجتماعى حجة عند امام دارهم الطيبة المحدث الامام مالك بن أنس رضى الله عنه الذى ترك للاسلام ذخيرة ضافية من الحديث وفقهه .

مبدأ تأليف الامام البخارى

وفي جوار الرسول في رحاب المسجد النبوى بين القبر والمنبر حيث الروحانية الصافية أفاض الله على البخارى فكان دخوله عند قبر صاحب السنة دخولا في دور جديد مبارك هو بدء حياته التأليفية . فصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاولهم ثم صنف التاريخ الكبير جمع فيه بين الثقات والضعفاء من رواة الحديث يقول البخارى : « غلما طعنت في ثمانى عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ في المدينة عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم وكتبته في الليالى المقمرة وقل اسم في التاريخ الا وله عندى قصة الا أنى كرهت أن يطول الكتاب » ^(٢) .

(١) مقدمة مدى السارى ج ٢ ص ١٩٣ لابن حجر .
(٢) تاريخ بغداد ٢ - ٧ تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٢٢ .

وأن تأليفه للكتابين المذكورين ليعطى لنا صورة مجلوة المعالم
وضاءة المحيا على مدى معرفة البخارى لرجال الحديث وأحوالهم كأنه
شهد القوم على حد تعبير أستاذه المحدث اسحاق بن راهويه .

ويبين لنا قيمة التاريخ وأثره العلمى : ما قاله أبو أحمد الحاكم
الكبير ، وكتاب (١) محمد بن اسماعيل فى التاريخ كتاب لم يسبق اليه
ومن ألف بعده شيئاً فى التاريخ أو الاسماء أو الكنى لم يستغن عنه
فمنهم من نسبه الى نفسه مثل أبى زرعة وأبى حاتم ومسلم ومنهم من
حكاه عنه (٢) فالله يرحمه فانه الذى أصل الأصول « ويقول أبو سهل
محمود الشافعى سمعت أكثر من ثلاثين عالماً من علماء مصر يقولون
حاجتنا فى الدنيا النظر فى تاريخ محمد بن اسماعيل وهو الكتاب الذى
سماه اسحاق بن راهويه سحراً .

وإذا كانت طلائع تأليف البخارى لها هذه المكانة من تأصيل
الأصول فانها من غير شك تضىئ الثقة على ما يتلوها من مؤلفات كانت
هذه الطلائع بمنزلة المقدمة لها .

ومكث بالمدينة سنة (٣) . ثم واصل الرحلة فى عصر لم تظهر فيه
المواصلات السريعة فتراه يرحل على ظهر المظى من بلد الى آخر طالباً
لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم باحثاً عن رجاله أينما كانوا
تحلق به قوة علوية فى سماوات أرجاء العالم الاسلامى المتسع الرقعة فى
ذلك العصر . راوياً وحافظاً . ومصنفاً ومحدثاً راجياً من الله أن يضع
له البركة والقبول للمسلمين فى مصنفاته فرحل الى البصرة ليسمع
الحديث ويصنف وتردد منها على مكة أيام الحج والتقى فى مواسمه
بمحدثى الأمصار الاسلامية وكانت اقامته بالبصرة خمس سنين .

يقول : « وأقيمت بالبصرة خمس سنين مع كتنى أصنف وأحج
وأرجع من مكة الى البصرة وأنا أرجو الله أن يبارك للمسلمين فى هذه

(١) الطبقات ج ٢ من ١٠ .

(٢) سير الاعلام النبلاء للذهبي ج ٢ من ٨ مخطوط بدار الكتب المصرية .

(٣) الطبقات الكبرى ج ٢ من ١٠ مقدمة الفتح ج ٢ من ١١٤ تاريخ بغداد .

المصنفات ويقول دخلت الشام ومصر والجزيرة مرتين والى البصرة أربع مرات وأقامت بالحجاز أعوام ولا أحصى كم دخلت الكوفة وبغداد مع المحدثين *

فالبخارى رحالة الحديث تجذبه السنة بما لها من تأثير وحيثما كانت اتجه البخارى ووضع رحاله واستوطن حتى حصلها * والمدن كلها فى نظره سواء قربت أم بعدت *

مكة * المدينة * الشام * بغداد * واسط * البصرة * الكوفة * مصر * بخارى * مرو * هراء * نيسابور (١) قيسارية * عسقلان * حمص * خراسان * الجبال * وكان يكفى اشد الرحال الى بلدة مجرد وجود محدث فيها وليس له مقصد غير تحصيله الحديث *

أدرك عبد الرزاق وأراد أن يرحل اليه وكان يمكنه ذلك فقيئ له : انه قد مات فتأخر عن التوجه الى اليمن (٢) *

ازاء هذا المجهود الضخم فى الرحلات الواسعة لا نستغرب قوله : « كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم الا صاحب حديث (٣) وقوله : كتبت عن ألف شيخ أو أكثر ما عندي حديث لا أذكر اسناده *

فالبخارى فى حاله وترحاله رجل الحديث وباحثه الذى حصر أنظار العلماء عليه وملئت مجالس شيوخه فى كل مكان بالتقدير والتكريم له * يقول أبو سهل محمود بن النصر : دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة * ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن اسماعيل فضلوهم على أنفسهم (٤) * وبهذا المجهود الضخم فى رحلاته كانت الثقة به * فلا غرابة أن تكون مروياته لها مكانتها والوثوق بها ، فعلى من كان يتلقى الحديث ؟ *

(١) شرح البخارى للنووى من ٦ ٠٠ الطبقات الكبرى ج ٢ من ٣ ٠

(٢) المقدمة لابن حجر ج ٢ من ١٩٣ ٠

(٣) شرح النووى للبخارى من ٧ ج ١ والخطيب البغدادي ج ٢ من ٦٠ ٠

(٤) تاريخ بغداد ج ٢ من ١٩ ٠

شيوخ البخارى

طوف البخارى فى آفاق المعمورة • باحثا عن أئمة الحديث الهداة
وهم كثرة وفيرة تلقى عنهم فأصبحوا شيوخه •
وقد وضع لنفسه نهجا فى اختياره لشيوخه فلا يأخذ الا عن الثقات
يقول : كتبت عن ألف ثقة من العلماء وزيادة وليس عندي حديث لا أذكر
اسمــناده (١) •

ومن أجل ذلك كان اهتمامه البالغ بمعرفة حال الرواة وكيفية تلقيهم
للحديث حتى يطمئن الى أخذه عنهم •
يقول (٢) : لم يكن كتابتى للحديث كما كتب هؤلاء •

كنت اذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته وحمل
الحديث ان كان الرجل فهما • فان لم يكن • سألته أن يخرج الى أصله
ونسخته • أما الآخرون فلا يبالون بما يكتبون (٣) •
ونشأ عن اهتمامه بالثقات ترك كل من فيه نظر مهما كان عنده من
كثرة فى الحديث — يقول محمد بن أبى حاتم :
سئل محمد بن اسماعيل عن خبر حديث فقال :

« يا أبا فلان أترانى أدلس ؟ تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل
فيه نظر وتركت مثله أو أكثر لغيره لى فيه نظر » (٤) •
ويتراءى من النص أن البخارى كان يترك أحاديث من لم يكن
محل ثقة كاملة فى نظر المحدثين • وأبعد من ذلك فان له نظراته التى يزن
بها شيوخه المحدثين فمن لم يكن راجحا ثبتا تركه وحديثه ولا اعتبار به
عنده •

(١) مقدمة شرح البخارى للنزوى ص ٨ ج ١ •

(٢) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٥ •

(٣) سير أعلام النبلاء مخطوط ج ٨ ص ٢٢٨ •

(٤) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٥ •

ولا يعارض ذلك ما روى أنه يحفظ أحاديث غير صحيحة فانه يحفظها كما يحفظ أسماء الضعفاء من الرجال لتجنبهم وهذه طريقة المحدثين في تصفية ثروتهم من الشوائب بمعرفة غثها — لتركه وحراسة كريمها منه •

ويستوثق في انتحري من الرواة بما لم يسبق اليه فلا يكتب الا عن الورع الذي يقول الايمان قول وعمل : يقول :

لقيت أكثر من ألف رجل من أهل الحجاز والعراق والشام ومصر وخراسان الى أن قال : ما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الاشياء (١) • « ان الدين قول وعمل وان القرآن كلام الله » وهذا المنهج في التحري في رجال الاسناد هو المنهج العام في كل روايات البخارى في جامعه الصحيح وغيره من مصنفاته واذا كان شيوخ البخارى بلغوا كثرة فانه أشار اليها في وقت ما بأنها بلغت أزيد من الالف ثقة كما ورد في النص • فالاستيعاب لمشايخه أمر يطول ويصعب فيكفى أن أذكر نماذج حية من كبار شيوخه الذين تقدم سماعهم وعلا اسنادهم ليسندل بهم على أعالي اسناده كما ذكره الحاكم النيسابورى • فممن سمع منه البخارى رحمه الله •

بمكة :

أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرقى وعبد الله بن يزيد المقرئ واسماعيل بن سالم الصائغ وأبو بكر الحميدى عبد الله بن الزبير القرشى الأسدى أجل أصحاب الشافعى ، وأقرانهم بالمدينة :

ابراهيم بن المنذر الحزامى ومطرف بن عبد الله بن حمزة وأبو ثابت محمد بن عبد الله وعبد العزيز بن عبد الله الاويسى ويحيى بن غزوة وأقرانهم •

(١) المقدسى فى كتابه الكمال فى أسماء الرجال ج ١ ص ٨٢ سير أعلام النبلاء ٨/٢ ص ٢٣٥ مخطوط وشرح البخارى للنووى ص ٦ وتهذيب الاسماء واللغات ص ٧١ للنووى •

وبالشام : محمد بن يوسف الفريابي من أوائل من صنف على
المسائيد وأبو نصر اسحاق بن ابراهيم ، وآدم بن أبي الياس
وأبو اليمان ابن نافع (١) وحيوه بن شريح وخطاب بن عثمان وسليمان
ابن عبد الرحمن * وأبو المغيرة عبد القدوس وأقرانهم *
وببخارى :

محمد بن سلام البيكندي ومحمد بن يوسف وعبد الله بن محمد
المسندى وهارون بن الأشعث وأقرانهم *
وبمرو :

علي بن الحسن بن شقيق وعبدان بن عبد الله بن عثمان ومحمد
ابن مقاتل وعبد بن الحكيم ومحمد بن يحيى الصائغ وحبان بن موسى
وأقرانهم *
وببلخ :

مكي بن ابراهيم ويحيى بن بشر ومحمد بن أبان والحسن بن سجاع
ويحيى بن موسى وقتيبة بن سعيد وأقرانهم وقد أكثر بها *
ومن هراه :

أحمد بن الوليد الحنفي *
ومن نيسابور :

يحيى بن يحيى التميمي وبشر بن الحكم واسحاق بن ابراهيم
الحنظلي « ابن راهوية » ومحمد بن رافع وأحمد بن حفص ومحمد
ابن يحيى الذهلي وأقرانهم *

ومن أهل الري :

ابراهيم بن موسى *

(١) مقدمة شرح البخارى للنزوى ج ١ ص ٦ *

ومن بغداد :

محمد بن عيسى الطباع ومحمد بن سابق وسريخ وأحمد بن حنبل
وأبو بكر بن الاسود واسماعيل بن الخليل وأبو مسلم عبد الرحمن
ابن أبي يونس والمستملى وأقرانهم *

ومن واسط :

حسان بن عبد الله وسعيد بن عبد الله بن سليمان وأقرانهم *

وبالبصرة :

أبو عاصم النبيل وحسان بن حسان وصفوان بن عيسى وبذل ابن
الحرب وحرمة بن حفص و (عفان) بن مسلم ومحمد عرعة وسليمان
ابن حرب وأبو حذيفة النهدي وأبو الوليد الطيالسي وعارم (محمد بن
الفضل) ومحمد بن سنان وأقرانهم *

وبالكوفة :

عبيد الله بن موسى وأبو نعيم وأحمد بن يعقوب واسماعيل
ابن ابان والحسن بن الربيع وخالد بن مخاض وسعد بن حفص وطلق
ابن غنام وعمر بن حفص * وعروة بن أبي المغراء وقبيصة بن عقبة
وأبو غسان وأقرانهم *

وبمصر :

عثمان بن صالح وسعيد بن أبي مريم وعبد الله بن صالح وأحمد
ابن صالح وأحمد بن شبيب واصبغ بن الفرج وسعيد بن عيسى وسعيد
ابن كثير بن عفير ويحيى بن عبد الله بن بكير وأقرانهم *

وبالجزيرة :

أحمد بن عبد الملك الحراني وأحمد بن (يزيد) الحراني وعمرو
ابن خلف واسماعيل بن عبد الله الرقي وأقرانهم *

قال الحاكم :

فقد دخل البخارى رحمه الله هذه البلاد المذكورة فى طلب العلم وأقام فى كل مدينة منها على مشايخها وإنما سميت من كل ناحية من المتقدمين ليستدل على عالى اسناده وبالله التوفيق •
أذكر ذلك وان كان قد عقب عليه ابن السبكي باستدراكه على بعض الاسماء الا أن ذلك لم يرق الى رتبة الترجيع فبقى المعنى الذى يريده الحاكم من كثرة شيوخه على اسنادهم •

طبقات شيوخ البخارى

استقبل امامنا البخارى حياته العلمية الزاهرة فى مقتبل القرن الثالث الهجرى وكان استقبالا حارا جارفا فحصل حديث أهل بلده وحفظه • وعرف كلام أهل الرأى •
وابتداً الرحلة المباركة سنة ٢١٠ هـ يافعا فى مكانته العلمية وكان بين نهضته فى اشتغاله بالحديث وبين وفاة صاحب الحديث صلى الله عليه وسلم الذى توفى سنة ١١ هـ قرنان من الزمان هذا بالنسبة للمقياس الزمنى •

أما بالنسبة لمقياس طبقات رجال الحديث فالبخارى من أتباع أتباع التابعين بينه وبين صاحب الهداية والسنة ثلاثة رجال فقط فى اسناده العالى كما فى (ثلاثيات البخارى) وهذه المسافة قصيرة للغاية • بالنسبة للثقافة الانسانية وتاريخها ونظرياتها ويعبر المؤرخون عن مثل هذه المسافة حينما يوجدون على طرفها •

« بالتاريخ الحديث » وفى عصرنا الحالى يدرس من الثقافات ونصوصها ما يضرب فى أعماق الزمن قبل الرسالة المحمدية بعشرات السنين ، بل اننا نسلم بحقائق بشرية كتعليمات مسلمة لاثنية فيها منذ عشرات السنين قبل الميلاد كأقوال (أنيكسمندر) وسقراط وأرسطو وغيرهم ، رغم أننا لم نعرف سندها وأحوال نقلها وظروفهم • فما بالك اذا كانت المسافة الزمنية قصيرة • وكانت ثقافة وحى يوحى وسعادة دنيا

وأخرى وحملتها أصحاب القرون الأولى الخيرة الذين جندوا أنفسهم
لحفظ السنة •

ومنهم من قصر حياته على أحيائها وقيض الله لها العدول الذين
ينفون عنها تحريف الغالين وخبث الوضاعين فظلت ناضرة بحيويتها •
التي لبسيتها يوم أن خرجت من فم صاحب الرسالة ، حفظها الصحابة
وأسلموها للتابعين فأدوها بدورهم لأتباع التابعين وأتباع أتباع التابعين
وطبقات مثالية حارسة للسنة وكلما تقدم الاسناد علا •• وأعلا اسناد
البخارى •

كما أشرت لذلك ثلاثياته التي فيها بينه وبين النبي صلى الله عليه
وسلم ثلاثة رجال فالمحدثون للبخارى أتباع التابعين الذين بينهم وبين
النبي صلى الله عليه وسلم التابعون فالصحابة مباشرة الذين تلقوا
السنة عن الرسول المتلقى عن الوحي الذي لا ينطق عن الهوى •

فما على البخارى الا أن يتعرف بنظرته الثاقبة الصادقة ثقة شيخه
ودقته ويتعرف من شيخه أحوال من أخذ عنه شيخه من التابعين الذين
أخذوا عن الصحابة المعدلين بالقرآن •

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم
تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم
من أثر السجود » • والذين قال الرسول فيهم :

« أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وهم طليعة القرون
الخيرة • ينص حديث الرسول خير القرون قرنى • ثم الذين يلونهم •
الخ • سيرتهم ناصعة كالصباح • وسيماهم في وجوههم من أثر انصلاح
فهذا الاسناد العالى للبخارى يسكب في نفوسنا تأكيداً للثقة برواية
السنة عند البخارى في هذه الطبقة وفي غيرها من الطبقات التالية لأن
البخارى كما يأخذ عن هذه الطبقة يسترشد بها عن السنة وأماكنها
ورجالها الحافظين لها الموثوق بهم من بعد هذه الطبقة من طبقات
شيوخه ••

فلو فرض فرضا ، أن السنة لم تدون الا في عصر درة — المحدثين .
البخارى *

لما كان هناك ما يدعو الى القلق والقول بتأخر تدوين السنة ، كما يدعى بعض المتجنين ومقلدوهم فضلا عن أنها دونت في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء تدوينا فرديا وحفظت الحفظ اللائق بها . كوحى الهى في اذهان سياله مؤمنة وجند آلاف الابطال أنفسهم لحفظ السنة التى جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن الله جل شأنه ثم كان التدوين الرسمى بأمر خليفة المسلمين (عمر بن عبد العزيز) على رأس المائة الثانية قبل ان يجفف انزمن الدماء الزكية للصحابة الذين شهدوا الوحى وقد وضعت السنة في اطار مكين في كل زمن فوضعوا لها القواعد الدقيقة وفتشوا عن تاريخ الرواة وبلادهم ومذاهبهم وقربهم من مشايخهم وطرق أدائهم ومدى حفظهم وثقتهم وبذلك حصروا الدخلاء والوضاعية والمغفلين في قائمة سوداء ومعهم ما جاءوا به من بضاعة غثة وسارت السنة متدفقة صافية بفضل منهجهم الفريد الذى لم تعرفه الانسانية في تاريخ أرقى مراحل تقدمها والسر في ذلك « أن السنة بعد القرآن هى أعلى وأسمى ما عرفته البشرية فكانت جديرة بهذه العناية انتهى هدى الله لها عبادته حفظا للسنة الحارسة لكتابه المبينة له تحقيقا لوعده الحق » *

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١) *

فمن السنة البيان الذى يكفل به لنبيه « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه » *

وقد رتب النووى طبقات شيوخ البخارى في مقدمة شرح البخارى نقلا عن أبى الفضل المقدسى خمس طبقات *

الطبقة الاولى :

من حدثه عن التابعين *

مئهم محمد بن عبد الله الأنصاري حدث البخاري عنه عن حديد
التابعي عن أنس أصحابي (١) رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم ومنهم مكى بن ابراهيم وأبو عاصم النبيل حدث عنهما عن يزيد
ابن أبى عبيد التابعي عن سلمة بن الأكوع (الصحابي) عن الرسول صلى
الله عليه وسلم ومنهم عبيد الله بن موسى حدث عنه عن هشام بن عروة
واسماعيل بن خالد وهما تابعيان وحدث عن أبى نعيم عن الاعمش
التابعي ومنهم على بن عياش حدث عنه عن جرير بن عثمان (تابعي) *
عن عبد الله بن يسر الصحابي * هؤلاء وأشباههم الطبقة الاولى *
كأن البخاري سمع مانكا والثوري وشعبه وغيرهم فأنهم حدثوا
عن هؤلاء وعن طبقتهم *
الطبقة الثانية :

قوم حدثوا عن أئمة حدثوا عن التابعين وهم شيوخه الذين روى
عنهم عن ابن جريح ومالك وابن أبي ذئب وأبى عيينه بالحجاز * وشعبة
والأوزاعي وطبقتهم بالشام *
والثوري وشعبة وحماد وأبى عوانة وهمام بالعراق والمليث
ويعقوب بن عبد الرحمن بمصر وفي هذه الطبقة كثرة *
الطبقة الثالثة :

قوم حدثوا عن قوم أدرك زمانهم وأمكنه لقيتهم ولكن لم يسمعهم
كيزيد بن هارون وعبد الرزاق *
الطبقة الرابعة :

قوم في عداد طبقتهم حدث عنهم عن مشايخه كأبى حاتم ومحمد بن
ادريس الرازي *

(١) مقدمة النووى ج ٢ ص ٩ وقد نقل العيني بقسم ابن طاهر وان لم ينسبه اليه
وعنون للمسألة بقوله : جملة من حدث عنه البخاري في صحيحه *

الطبقة الخامسة :

قوم حدث عنهم وهم أصغر منه في الاسناد والنسب والوفاء والمعرفة
منهم عبد الله بن حماد الايلي وحسين القبانى وغيرهما *

وقد روى عنهم أشياء يسيرة وعمل في الرواية عنهم بما روى عن
عثمان بن أبى شيبة عن وكيع قال :

لا يكون الرجل عالما حتى يحدث عن هو فوقه وعمن هو قبله وعمن
هو دونه واتخذ البخارى منهجا له في تلقى الحديث ونادى به فعن
البخارى انه قال :

لا يكون المحدث كاملا حتى يحدث ويكتب عن هو فوقه وعمن
هو مثله وعمن هو دونه وعلى ذلك درج البخارى *

ثمرة تفصيل الطبقات

ان ثمرة تفصيل الطبقات هي عدم وقوع الابهام والالتباس على
من لا معرفة له اذا حدث البخارى بالاسناد عاليا تارة ونازلا تارة حتى
يفهم أن الاسناد العالى قد حذف منه أو أن الاسناد النازل قد زيد فيه *
وقد بين ابن طاهر ذلك بقوله : لتلا يظن من لا معرفة له اذا حدث
البخارى مثلا (١) *

عن مكى ، عن يزيد بن أبى عبيد ، عن سلمة *
ثم حدث في موضع آخر عن قتيبة عن بكر بن مضر عن عمرو بن
الحارس عن بكير بن عبد الله الأشج عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة *
ان الاسناد الاول سقط منه شيء وعلى هذا سائر الاحاديث اذ لو
لم يعرف ذلك لوقع الالتباس في كثير من الاحاديث على من لا معرفة له *

(١) مقدمة النووى ص ٩ لشرح البخارى *

فقد كان من نهج البخارى رحمه الله • أن يحدث بالحديث في
موضع نازلا وفي موضع عاليا •

فقد حدث في مواضع كثيرة جدا عن رجل عن مالك وحدث في
موضع •

عن عبد الله بن محمد المسندى عن معاوية بن عمرو •
عن اسحاق الفزارى ، عن مالك •

وحدث في مواضع عن رجل عن الثورى وحدث في موضع عن
ثلاثة عنه •

فحدث عن أحمد بن عمر عن أبى النضر عبيد الله الأشجعى عن
الثورى •

وأعجب من هذا كله أن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى أصغر
من مالك وسيفان وشعبة ومتأخر الوفاة •

وحدث البخارى عن جماعة من أصحابه عنه وتأخرت وفاتهم ثم
حدث عن سعيد بن مروان عن محمد بن عبد العزيز بن أبى رزمة عن أبى
صالح سلمويه عن عبد الله بن المبارك •
ففس على ذلك •

وقد حدث البخارى عن قوم خارج الصحيح وحدث عن رجل عنهم
في الصحيح •

منهم أحمد بن منيع وداود بن الرشيد • وحدث عن قوم في
الصحيح وحدث عن آخرين عنهم • منهم أبو نعيم وأبو عاصم وأحمد
ابن صالح وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وفيهم كثرة •

ويتجلى لنا في هذا العرض عناية البخارى بالسماح من شيوخه
ومدى ما بذله من جهد في لقاءهم والأخذ عنهم وعنايته الفائقة بتلقى
الحديث فجراه الله خير الجزاء •

تراجم بعض شيوخ البخارى

لقد كان البخارى مكثرا فى شيوخه الى درجة تدعو الى صعوبة حصرهم • وقد كان لا يروى كما تقدم الا عن ثقات الشيوخ ، وكلهم اشد تروة علمية مما رواه عنهم وزكى فى استعداد الفطرى صفات كريمة فى فطرته المستعدة فتكونت شخصيته العلمية الخلقية • وهم فى ذل كالحقة المفرغة لا يدري أحد طرفها فى الشرف والرفعة • ومن الصعب أن يحدد الانسان شخصا معينا بأنه المؤثر فى البخارى صاحب رحلات الواسعة فى طلب العلم وهو الذى تنقل كالنحلة على كل روض باسم وزهر نضر • فتشقى عن آلاف الشيوخ ومعه استعداد المباح الفطرى الذى كان ينقل كل ما عندهم من خلال كريمة وثروة علمية ، اخرة فتأثر بهم جميعا وتكونت ملكته العلمية وشخصيته المستقلة وهذا معنى التأثير بشيوخه ، ومهما كان امتياز الشيخ فان أثره الفعال لا يكون الا فى التلميذ النابه •

وقد يكون صدقا قول علماء النفس فى العصر الحاضر أن نجاح الطالب يتوقف بنسبة ٢٠٪ عن همة أستاذه ونسبة ٨٠٪ على همته واستعداده وهذا هو السر فى نجاح بعض التلاميذ دون بعض مع اتحاد الاستاذ والمنهج والمكان الا انه مع كل ذلك • فقد يكون فى حياة الشيخ نواح بارزة تظهر بصورة مشابهة فى حياة تلميذه • على أى حال كانت النسبة مع توفر الصلة القوية بينهما • فهذا يجعل الباحث فى حل لأن يذكر هذه النواحى المشابهة كأثر من آثار شيخه أو بعبارة أدق بذكرها على أن شيخه كان له أوفر سهم فى تكوينها وقد يكون معه غيره من الشيوخ أو العوامل الشخصية الذاتية فى التلميذ وقد يرجع الباحث الصفة الواحدة البارزة الى أستاذين اتحدا فى تفوقهما فى هذه الصفة الواضحة فى التلميذ (الراوى) •

وممن له أثره بهذا المعنى من شيوخ البخارى الأئمة على بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وإسحاق بن راهوية •

فهم من الأئمة الذين انتهى العلم اليهم فكانوا أئمة الحديث في عصرهم * وكانت صلتهم بامامنا البخارى صلة قوية * فقد كان منهم من أشار عليه بتأليف كتابه الجامع الصحيح * وهو اسحاق بن راهوية وكان منهم من شهد له بصحته بعد قراءته عليهم حديثا حديثا وهم على بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين *

« على بن المدينى » (١٦١ — ٢٣٤ هـ)

هو على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدى أبو الحسن ابن المدينى — الحافظ من أئمة الحديث وممن انعقد الاجماع على جلالته وامامته ولد سنة احدى وستين ومائة سنة ١٦١ هـ فى بيت من بيوت العلم سمع أباه وحماد بن زيد وهشيماء وابن عيينه والراوردي وابن وهب وعبد الوارث والوليد بن مسلم وغندر ويحيى القطان وعبد الرحمن ابن المهدي وابن عليه وعبد الرازق وقد شهد له سفيان بن عيينه وهو من شيوخه بقوله : والله لقد كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم منى وكذلك قال : يحيى بن قطنان وهو من شيوخه وقال أبو حاتم *

« كان ابن المدينى علما فى الناس فى معرفة الحديث والعلل وما سمعت أحدا أسماء قط وإنما يكنيه تبجيلا له وهو أحد الأئمة الأربعة الذين انتهت اليهم مادة العلم فى عصرهم » قال عبد الله بن أبى زياد القطوانى : سمعت أبا عبيد يقول : انتهى العلم الى أربعة : هم أبو بكر بن أبى شيبة أسردهم له * وأحمد بن حنبل أفقهم فيه * وعلى ابن المدينى أعلمهم به ويحيى بن معين أكتبهم له *

تقدير البخارى له وتأثره به

قال السراج : قلت للبخارى :

ما تشتهى ؟ قال

أن أقدم العراق ، وعلى بن عبد الله حى فأجالسه ، كما يظهر مدى تقديره له بهذه الكلمة الجامعة *

قال البخارى *

ما استصغرت نفسى عند أحد الا عند على بن المدينى * واذا كان من المعوم فى قواعد علم النفس المشاهد أن تأثر الانسان بشخص ما يذكىه جبه له * وتقديره اياه فاننا نلمح من النصين السابقين مدى اعجاب البخارى وتقديره لشيخه على : مما يدل على مقدار معرفته له وتأثره به *

تقدير ابن المدينى للبخارى

ان تقدير على بن المدينى للإمام البخارى تلميذه يفوق كل تقدير شهد له شهادة ممتازة حينما قال فيه :

« هو ما رأى مثل نفسه »

وتزداد قيمة هذه الشهادة عظمة حينما نعلم أن على بن المدينى حجة الحديث يقول ذلك *

واضعا فى اعتباره أن البخارى هو الرحالة فى طلب الحديث الذى جاب الفيافى والقفار والقرى والأمصار راويا عن آلاف الشيوخ الأعلام *

ولا غرابة فهذا هو المفروض « انما يعرف الفضل من الناس ذوه » *

وحينما تتفق الثقافات وتتحد المساعر وتتقارب الأفكار يكون التقدير ويظهر التأثير والتوجيه *

قال (١) البخارى :

مات على بن المدينى ليومين بقيا من ذى القعدة سنة أربع وثلاثين ومائتين ٢٣٤ هـ وكان موته بسر من رأى *

(١) الطلبات الكبرى لابن السبكي ص ٥٦ ٢ ١ وتهذيب الاسماء واللغات للنووى ص ١ ص ٢٥٠ معرفة علوم الحديث للمحكم ص ٧٢ تذكرة الحفاظ للذهبي ص ٢٥٠ ١ *

« الامام أحمد بن حنبل » ١٤٦ هـ - ٢٤١ هـ

هو أحمد بن حنبل بن هلال الامام أبو عبد الله الشيباني الذهلي •
نشأته ودراسته :

ولد في ربيع الأول سنة ١٤٦ هـ في مدينة العلم بغداد وتوفي أبوه
شاباً فوليته أمه (١) • نسبه عربى وهو شيباني في نسبه لأبيه وأمه
وقبيلته معروفة بالهمة والاباء كان منها المثنى بن حارثة القائد الاسلامى
المعروف •

وانتقل جده الى خراسان وكان واليا على سرخس في انعهـ
الأموى • وناصر الدعوة العباسية عند ظهورها - وكان أبوه قائداً كما
ذكره الأصمعى (٢) حفظ القرآن في صباه وتعلم القراءة والكتابة وكانت
آثار النبوغ والرشد واضحة فيه منذ النشأة • اتجه أحمد بن حنبل الى
الحديث وروى عنه أنه قال :

« أول من كتب عنه الحديث - أبو يوسف » وظل يتلقى الحديث
ببغداد من سنة ١٧٩ الى ١٨٦ هـ ولزم عالماً كبيراً من علماء الحديث
والآثار ببغداد أربع سنوات •

هو هشيم بن بشير بن حازم الواسطي ١٨٣ وكان في طابه العلم
مثال الجد يقول :

« كنت ربما أود البكور في الحديث فتأخذ أُمى ثيابى حتى يؤذن
الناس أو حتى يصبحوا » •
واستمر في حياته الجادة في العلم وتحصيله حتى أوصلته الى
درجة الامامة •

قال عبد الله بن أحمد : سمعت أبا زرعة يقول (٣) :

(١) تاريخ الاسلام للذهبي ص ١٠ ترجمة الامام أحمد •
(٢) رجال الفكر والدعوة في الاسلام لابي الحسن الندوى ص ١٠٥ •
(٣) ترجمة الامام أحمد في تاريخ الاسلام للذهبي ص ١٢ •

كان أبوك يحفظ ألف حديث فقيل وما يدريك ؟ قال : ذاكرته
فأخذت عليه الأبواب • وقال أبو عبيده :
ما رأيت رجلا أعلم بالنسبة من أحمد •
وكان أحمد حجة في علم الحديث والرواية •
وتتجلى مكانته بهذه الشهادة من الشافعي ناصر السنة حينما خرج
من العراق وهي مدينة انعلم والورع فيقول :
خرجت من العراق فما تركت رجلا أفضل ولا أروع ولا أفقه من
ابن حنبل (١) ويقول اسحاق بن راهوية •
« أحمد حجة بين الله وبين عبيده في أرضه » •
ويقول فيه يحيى بن معين « كان في أحمد بن حنبل خصال ما رأيتها
في عالم قط » •
وكان محدثا وكان حافظا وكان عالما وكان زاهدا وكان
عاقلا •

أثر المسند في صحيح البخاري وباقي الكتب الستة

أن أثر المسند في صحيح البخاري وباقي الكتب الستة يتضح
بشهادة الحافظ علي بن الحافظ الفقيه محمد اليونيني رحمه الله
تعالى • فقد سئل : أأنت تحفظ الكتب الستة ، فقال : أحفظها وما أحفظها
فقيل له كيف هذا ؟ فقال : أنا أحفظ مسند أحمد وما يفوت المسند من
الكتب الستة الا قليل فأنا أحفظها بهذا الوجه (٢) •
فهذا القول من امام حافظ للسنة مهما كان فيه من المبالغة
فانه يصور أهمية المسند وأثره في الصحيحين ، وباقي الكتب الستة ،
مهما فاتته من أحاديث كثيرة ، وجدت في الصحيحين ، ولعل ما فاتته من

(١) تاريخ ابن كثير ج ١٠ ص ٣٣٥ تدريب الراوي ص ٧٥ .
(٢) مقدمة الفتح الرباني ص ٩ للاستاذ عبد الرحمن الساعاتي •

أحاديث في الصحيحين كثيرة • ولكن بالنسبة الى ما ذكر في باقى الكتب
انسته أصبحت قليلة جمعا بين رأى ابن كثير وابن اليونينى • لأن رأى
ابن كثير أنه قد فات المسند من الصحيحين الكثير •

فالمسند له أثره على أى حال في الصحيحين صحيح البخارى
ومسلم وان لم يبلغ درجتهم في الصحة وغايرهما في طريقة تصنيفه على
المسائيد لا على الابواب كما في الصحيحين •

تقدير الامام أحمد للامام البخارى وصلته به

قال محمد بن أبى حاتم وراق البخارى ، سمعت البخارى يقول :
« دخلت بغداد (١) ثمان مرات كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل فقال
لى آخر ما ودعته يا أبا عبد الله • تترك العلم والناس وتصير الى
خراسان ؟ فأنا الآن أذكر قول أحمد » •

ففى هذه العبارة الموجزة تشرق انعطافة القوية الكريمة بين
الامامين فالبخارى حريص على مجالسة شيخه ، فيتردد على مجلسه
ويرحل اليه ولا يبرح بغداد الا مودعا له • • والشيخ يعز عليه فراق
تلميذه عاتبا عليه أن يترك بغداد ويرجع الى خراسان متمنيا مقامه
معه في بغداد •

وتنطبع كلمات الشيخ في ذهن البخارى وتظل حية في ذهنه
مما يدل على تقديره وحبه واحترامه للامام أحمد بن حنبل •
واذا علمنا من سيرة الامام أحمد الزهد والورع والاهتمام
بجمع الحديث والرحلة من أجله فقد رحل الى الكوفة والبصرة ومكة
واليمن واشام والجزيرة •
نجد أن هذه الصفات واضحة في البخارى ، قد يكون لابن حنبل

(١) تدريب الراوى ص ٥٧ •

أثر في ازكائها أو على الأقل قد يكون هذا التجانس في الحياة الخلقية والعلمية •

هو السبب في توطيد الصلة القوية بينهما مصداقا لقول الرسول عليه السلام في حديثه « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وبهذا الحديث وبغيره وضع الرسول القواعد الصادقة وسبق المفسرين للظواهر النفسية من علماء النفس وغيرهم فيما جاءوا به من نظريات زاعمين بأنهم اكتشفوها من البحث والجد والمدراسة ولو جاءوا الى رياض الاسلام لوجدوها زهيرات متفتحة سهلة منظمة غير معقدة تمتاز بأنها لا تقبل الخطأ مستقاه ممن خلق الأرض والسموات العلا • العالم بأحوال خلقه » (١) ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير •

وقد التزم البخاري منهج الامام أحمد وورعه في الإنكار على (٢) من يتكلم في القرآن كما سيفصل في موضعه •

الامام (٣) اسحاق بن راهوية (١٦١ - ٢٣٨ هـ)

هو الامام أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي ثم النيسابوري الحافظ •

أحد أئمة الدين وأعلام المسلمين وهداة المؤمنين الجامع بين الفقه والحديث والورع والتقوى ساقه اهتمامه بالحديث الى الرحلة الى العراق والحجاز واليمن والشام سمع به عبد الله ابن المبارك والنضر بن شميل وسفيان بن عيينه وجريير بن عبد الحميد الرازي واسماعيل بن عليه ووكيع بن الجراح وعبد الرزاق بن همام والشافعي

(١) سورة تبارك رقم ١٤ •

(٢) طبقات الشافعية ص ١٣ ج ١ •

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ج ١ ص ٢٣٢ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٨٩ ووفيات الاعيان

وأخرون وروى عنه إمامنا البخارى ومسلم بن الحجاج النيسابورى
وأبو داود والترمذى والنسائى وأحمد بن حنبل ويحيى ابن معين ومحمد
ابن يحيى الذهلى *

وحسبه شهادة الامام أحمد بن حنبل « واسحاق عندنا امام من
أئمة المسلمين وما عبر الجسر أفقه من اسحاق » *

وكان شديد الورع والتقوى ** يقول محمد بن مسلم « ما أعلم
أحدًا أخشى لله من اسحاق » وكما ان اسحاق كان محدثا وفقهيا فقد
كان مفسرا عظيما يقول أحمد بن سلمة :

« أملى على اسحاق التفسير عن ظهر قلبه » ومن الجهود
الضخمة التى قام بها اسحاق النظر فى الأحاديث ونقدها متنا واسنادا
وتصحيحا وترتيب أنواع الحديث *

وهو بهذا العمل الجليل يعتبر قد أفسح الطريق ومهده أمام
تلميذه البخارى الذى سار على نهجه فى نقد الحديث وتصحيحه بل
كان عمل البخارى الجليل ونهجه القويم فى تأليف أعظم كتبه *

وأعظم كتاب بعد كتاب الله ** صحيح البخارى بمشورة (١)
من أستاذه اسحاق الذى عرف فى البخارى المقدرة على القيام بهذا
العمل الجليل ، وكان التشابه بين التلميذ والأستاذ فى المنهج الممثل
فى تنقية الحديث ونقده متنا واسنادا واستنباط فقه الحديث من غير
اسراف فى رأى *

يقول الدكتور عبد الحميد سندنجدى فى كتاب (٢) ابن قتيبيه

(١) عن ابراهيم بن معقل النسفى يقول : قال : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل
البخارى كنت عند اسحاق بن راهوية فقال : لو جمعت كتابا مختصر الصحيح سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فوق : ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح المقدمة ص ٤٠
(٢) أن ابن راهوية كان يمقت أهل رأى اسد المقت ويعلل ذلك بقوله لانهم كانوا يؤولون
الاحاديث تأويلا لا يقره الفعل ويلقى التبعة فى ذلك على اتباع مذهب أبى حنيفة فمن جاء بعده
من أهل النظر والقياس فى أنهم الذين يحملون أوزارا ما أوجدوه ولاشك أن رأى الامام
ابى حنيفة برئ من ذلك * وكان ابن قتيبيه يطلق على هؤلاء الاتباع اسم العصاة *

ان اسحاق بن راهوية قدم للحديث أكبر صنيع في أنه قام بتنتيعة المدسوس وجرده كذلك من مسائل الفقه بعد أن كان مختلطا بها *** ومن التفسير * وقد نفخ في تلاميذه من روحه فنبح فيهم أعظم علماء الحديث وهم البخارى ومسلم والترمذى *

توفى اسحاق ليلة نصف شعبان سنة ٢٣٨ * قال البخارى : وله سبع وسبعون سنة قال الخطيب فهذا يدل على أن مولده سنة احدى وستين (١) *

يحيى بن معين (٢)

يحيى بن معين أبو زكريا البغدادي من العلماء الجهابذة النقاد على حد تعبير ابن أبي حاتم الرازي *

نبغ وبرز في تمييز صحيح الحديث من سقيمه *

وسمع الحديث من ابن المبارك وابن عيينه وابن مهدي ووكيع وهشيم وغيرهم *

اتفق العلماء على رسوخ قدمه في الحديث ومعرفته له متنا واسنادا * روى ابن أبي حاتم الرازي عن محمد بن مسلم بن واره وسئل عن علي بن المديني ويحيى بن معين أيهما أحفظ ؟ - قال كان علي أسرد وأتقن وكان يحيى بن معين أفهم بصحيح الحديث وسقيمه وهو أحد أربعة انتهت اليهم زعامة العلم وقد عني بتدوين الحديث

(١) وفي تاريخ بغداد عن أبي بكر بن المديني يقول : كنا يوما بنيسابور عند اسحاق ابن راهوية ومحمد بن اسماعيل حاضر في المجلس واسحاق يحدث بحديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وكان دون صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عطاء الكيخاراني « فقال له اسحاق : يا أبا عبد الله أين كيخاران فقال : قرية باليمن * كان معاوية بن أبي سفيان بعث هذا الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن فسمع منه عطاء هذا الحديث فقال له : اسحاق بن راهوية يا أبا عبد الله كاتك قد شهدت القوم *

(٢) مقدسة الجرح والتعديل ص ٢١٤ وتهذيب الاسماء واللغات للنووي ج ١ ص ١٥٦ والحديث والمحدثون ص ٣٤٤ معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٧٢ *

وتأليفه عناية فائقة ، عن عبد القاسم بن سلام يقول : « وانتهى العلم الى أربعة الى أحمد بن حنبل والى يحيى بن معين وهو أكتبهم له والى على بن المدينى والى أبى بكر بن أبى شيبة » ♦

وحدث عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى قال : « سمعت محمد ابن هارون الغلاسى المحزى يقول : « اذا رأيت الرجل يتع فى يحيى بن معين فاعلم بأنه كذاب يضع الحديث وانما يبغضه لما تبين أمر الكذابين » ♦

وكان طلعة واسع الاطلاع مع الدقة يقول : « لو لم نكتب الحديث عن ثلاثين وجها ما علقناه » فكان جديرا بتقدير الامام أحمد فى قوله « السماع من يحيى بن معين شفاء لما فى الصدور » ♦

وقال : يحيى بن معين « رجل خلقه الله لهذا الشأن يظهر كذب الكذابين وكل حديث لا يعرفه يحيى ليس بحديث » ♦
وقال فيه على بن المدينى : « ما رأيت فى الناس مثله » وعده الحاكم فى علوم الحديث من فقهاء المحدثين ♦

وكما كان يحيى بن معين قمة فى الحديث وعلمه والجرح والتعديل كان مثالا رائعا فى الورع والتقوى شأن تلميذه البخارى دفعه صدقه وثقتة فى تحريره الحق أن يستقبل القبله ويرفع يديه قائلا : « اللهم ان كنت تكلمت فى رجل ليس هو عندى كذابا فلا تغفر لى » توفي بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع على سرير النبى صلى الله عليه وسلم واجتمع فى جنازته خلق كثير ♦ واذا رجل يقول : هذه جنازة يحيى بن معين انذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب والناس يكون وهكذا كان شيوخ البخارى زعماء العلم الثقافات النقاد المتقياء الذين منحهم الله المقدرة على حفظ اثرات النبوى وحراسته والذود عن حياضه فذبوا عنه كذب الكذابين ، ووضع الوضعين ♦

وما كان للزبد قدرة على أن يقف أمام ما ينفع الناس فذهب جفاء
ومكث علم النبي صلى الله عليه وسلم على يد من اختارهم الله لهذا
الشأن العظيم فأعلى قدرهم ورفع شأنهم ، ذكرت هؤلاء كتمط رائع من
شيوخ البخارى الثقات الذين عرفوا جميعا بالمكانة العلمية والسلوك
القويم • وكانوا أكثر من أن يحصروا ، لما لهؤلاء من صلة أقوى •
وأثر واضح يتمثل في عرض أسمى مؤلفاته عليهم « وهو الجامع
الصحيح وشهادته له بالصحة وشهادة ابن راهوية لتاريخه الكبير وهما
أسمى مؤلفات البخارى رحمه الله •

نهج البخارى فى الحفظ

وهب الله محمد بن اسماعيل البخارى استعدادا فطريا يتمثل فى
• قوة الذاكرة وصفاء الذهن •
والانسان مدين لنبوغه فى العلم الى استعداده الطبيعى وفطرته
السليلة ولكن لا يستقيم الاستعداد ولا يؤتى ثماره الا بالعمل والجهد •
وهذا ما كان من نهج البخارى • أقبل بكليته على حفظ الحديث
فأزكى استعداداه وبلغ فى الحفظ مبلغا أذهل العلماء ولما رأى القوم
نبوغه وقوة ذاكرته التى بلغت حدا غير مألوف ظنوا أنه شرب دواء
للحفظ يقول وراقه : محمد بن أبى حاتم فقلت له مرة فى خلوة : هل
من دواء للحفظ ؟ فقال لا أعلم ثم أقبل على فقال لا أعلم شيئا أنفع
للحفظ من تهمة الرجل ومداومة النظر (١) وبذلك قد سبق البخارى
علماء النفس بمنهجه فى ازكاء القدرات بالعمل فى يقظة والمداومة على
التمرين •

كما سبقهم فى الاستعانة على التثبت بربط المعلومات فقد كان
يربط بين الرجل وبلده وعصره وشيوخه وزمان ولادته ووفاته ،

(١) تاريخ بغداد ٩/٢ وطبقات السبكي ٧/٢ ومقدمة فتح الباري ٢٠١/٢ .

وأقواله كما يربط بين أقوال الصحابة والتابعين وبين الأصول من الكتاب والسنة حتى يصبح القول واضحاً في ذهنه من كل جوانبه وبهذا المنهج أصبح رأساً في حفظ الأحاديث وأسانيدها •

وصاحب الملكة القوية في تمييز صحيحها من سقيمها كما كان في. فهم معانيها •

عن سليم بن مجاهد يقول : كنت عند محمد بن سلام البيكندی. فقال لي : لو جئت قبل •• لرأيت صبياً يحفظ سبعين ألف حديث. فخرجت في طلبه حتى لقيته فقلت له : أنت الذي تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث ؟ قال نعم وأكثر منه ولا أجيبك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم •• ولست أروى حديثاً من أحاديث الصحابة والتابعين إلا وله أصل أحفظ ذلك عن كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وظل البخاري يتهم نفسه ويديم النظر حتى أصبح فريد عصره قال أبو بكر اللكؤاذاني : « ما رأيت مثل محمد بن اسماعيل كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعه • فيحفظ عامة أطراف الحديث من مرة واحدة (٢) • وقال اسحاق بن أحمد : سمعت في سنة سبع وأربعين ومائتين • محمد بن إدريس الرازي أبا حاتم يقول : يقدم عليكم رجلاً من أهل خراسان لم يخرج منها أحفظ منه ولا قدم العراق أعلم منه. فقدم علينا محمد بن اسماعيل بعد شهر • وهكذا كانت مكانة البخاري في عصره ينتظر قدومه ويحتفل به قبل شهر من زيارته ، وقد عقد امتحان معضل في بغداد مدينة العلم والعلماء فاجتازه بمهارة رائعة مذهلة •

عن أحمد بن الحسن الرازي قال : سمعت أبا أحمد بن عدي يقول : سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمداً بن اسماعيل البخاري

(١) تاريخ بغداد — طبقات السبكي ج ٢ •

(٢) مقدمة فتح الباري ج ٢ ص ٢٠٠ •

تقدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر واسناد هذا المتن لمتن آخر *

ودفعوا الى عشرة أنفس الى كل رجل عشرة أحاديث وأمروهم اذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى وأخذوا العدة للمجلس فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن اليعنانيين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب اليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخارى « لا أعرفه » فسأله عن آخر فقال : « لا أعرفه » فما زال يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول : لا أعرفه فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون : الرجل فهم ، ومن كان منهم غير ذلك يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الفهم ثم انتدب آخر من العشرة ، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخارى : لا أعرفه فسأله عن آخر فقال لا أعرفه فلم يزل يلقى عليه واحدا بعد الآخر حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول : لا أعرفه ثم انتدب اليه الثالث والرابع الى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخارى لا يزيدهم على ألا أعرفه فلما علم البخارى أنهم قد فرغوا التفت الى الأول منهم فقال : أما حديثك الأول ، فهو كذا والثانى فهو كذا * * * والثالث والرابع على المولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن الى أسناده ، وكل أسناد الى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها الى أسانيدها وأسانيدها الى متونها فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل (١) قال الحافظ بن حجر : وهنا يخضع للبخارى فما العجب من رده الخطأ الى الصواب * فانه كان حافظا بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما القوه من مرة واحدة وإذا علمنا أن الامتحان كان

(١) طبقات الشافعية ج ٢ ، ص ٦٠

من علماء بغداد في عصرها الذهبي الزاهر بعلماء الاسلام ازداد تقديرتنا لمواهب البخاري العلمية ، ومن هذا الامتحان الذي اجتازه البخاري يتبين بوضوح أن البخاري كان موسوعة علمية بمعرفة جميع الأحاديث بأسانيدھا ومتونها ولھذه المقدرة العلمية حاز ثقة العلماء فالتف حول مجلسه عشرات الآلاف ينهلون من فيضه وشهدوا له بالحفظ والسبق ، عن صالح بن محمد البغدادي يقول : كان محمد بن اسماعيل يجلس ببغداد وكنت استملي عليه ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا ، وقال أبو بكر محمد بن حريث : وسألت الفضل ابن العباسي الرازي أيھما أحفظ ؟ أبو زرعة أم محمد بن اسماعيل ؟

فقال : لم أكن النقيت مع محمد بن اسماعيل فاستقبلني بين حلوان وبغداد فرجعت معه مرحلة وجهدت على أن أجيء بحديث لا يعرفه فما أمكنني وأنا أغرب على أبي زرعة عدد شعره (١) .

وقال : عمرو بن علي : حديث لا يعرفه محمد بن اسماعيل ليس بحديث . وقال محمد بن أبي حاتم : سمعت حاشد بن اسماعيل وآخر يقولان : كان أبو عبد الله محمد بن اسماعيل يختلف معنا الى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام وكنا نقول له : انك تختلف معنا ولا تكتب فما معنك فيما تصنع ؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوما انكما أكثرتما على وألحمتما فأعرضا على ما كتبتما فأخرجنا ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم على حفظه ثم قال : أثرون اني أختلف هذرا وأضيع أيامي ؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد .

وكان أهل المعرفة من البصرة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه ، على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه . وكان أبو عبد الله عند ذلك شابا لم يخرج وجهه (٢) .

(١) مقدمة فتح الباري لابن حجر ج ٢ ص ١٩٩ .

(٢) تهذيب الاسماء واللغات للنووي ج ١ ص ١٠ .

معرفة البخارى بعلوم الحديث

وكما أن البخارى حجة في الحفظ فهو حجة في فهم علل الحديث
ومرجع لكبار علماء عصره • وموضع اكبارهم واجلالهم قال ابراهيم
الخواص :

رأيت أبا زرعة كالصبي جالسا بين يدي محمد بن اسماعيل يسأله
عن علل الحديث (١) • وقال حاشد بن عبد الله : رأيت محمد بن رافع
وعمر بن زرارة عند محمد بن اسماعيل وهما يسألانه عن علل الحديث
فلما قاما قال لأبى زرعة : لا تخدعوا ابن أبا عبد الله أفقه منا وأبصر (٢) •
ويقول أبو حامد الأعمش : رأيت محمد بن اسماعيل في جنازة ومحمد
ابن يحيى الذهلي « امام نيسابور وشيخ البخارى » يسأله عن الأسماء
والكنى وعلل الحديث والبخارى يمر فيها مثل السهم كأنه يقرأ « قل
هو الله أحد » (٣) •

وقد شهد للبخارى تلميذان من تلامذته طبقت شهرتهما الآفاق ••
هما الامام مسلم بن الحجاج والامام أبو عيسى الترمذى •

قال أحمد بن حمدون : جاء مسلم بن الحجاج الى البخارى فقبل
بين عينيه وقال : دعنى أقبل رجلىك يا أستاذ الأساتذة ويا سيد المحدثين
ويا طبيب الحديث فى علله (٤) •
ويقول له : لا يبغضك الا حاسد وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك •
قال أبو عيسى الترمذى : « لم أر بالعراق ولا بخراسان فى معنى
العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل » (٥) •

(١) الحديث المعلن هو الذى اطلع فيه على علة تقدر فى صحته مع أن الظاهر السلافة
منها • مقدمة ابن الصلاح ص ٩٨ وذلك كالارسال فى الموصول والوقف فى المرفوع •

(٢) التهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٥٣ •

(٣) البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٦ •

(٤) البداية والنهاية ج ١١ ص ٩٦

(٥) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٧ •

نهج البخارى فى قراءة القرآن

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودليل رسالته * والداعى الى السنة والتزامها « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » *

والسنة هى المبينة للقرآن (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) من هذين المصدرين أشرقت الرسالة المحمدية فمن درس القرآن عرف مكانة السنة وشغف بها ومن عرف السنة فهم القرآن أدق فهم ، فأمر المؤمنين فى الحديث من الطبيعى أن يكون أعرف الناس بدلالة القرآن ومعانيه وتفسيره فى ضوء السنة ومن هنا ينبع شعوره بعظمة القرآن وجلاله فلم يرتله بلسانه فقط ويقصره على حنجرته وإنما يعمل فيه بصره وفكره ويشغل به قلبه وسمعه ويدقق فى أمثاله ويعرف حلاله من حرامه وهذه هى القراءة المجيدة المفيدة * التى جعل الله فيها الشفاء والرحمة *

سئل الدرامى عن حديث وقيل له ان البخارى قد صححه فقال : محمد بن اسماعيل أبصر منه ، وهو أكيس خلق الله ، عقل عن الله ما أمر به ونهى عنه فى كتابه ، وعلى لسان نبيه اذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه وتفكر فى أمثاله وعرف حلاله من حرامه (١) *

(١) ترجمة البخارى طبع المنيرية ص ٢١ *



الباب الثاني

حياة البخاري العامة

« محمد بن اسماعيل كان أمة من الأمم
ديننا فاضلا يحسن كل شيء »

العجلي

مكانة البخارى فى الصلاح والورع

ان سبر نبوغ البخارى ووصوله الى المكانة العلمية الفريدة انما هو حبه لله ورسوله ولو لم يكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعاليمه • لما استطاع أن يصل الى هذه المكانة العلمية فى الأحاديث فمن المعلوم أن طالب العلم لا ينبغ النبوغ القوى الا غيما حبيب الى نفسه وانشرح له صدره •

وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم كلها غياضة بالدعوة الى التقوى ومكارم الأخلاق •

ولا يكون مبالغا من يقول بأن البخارى رحمه الله اتخذ الرسول قدوته • وطبق تعاليمه على نفسه فاجتمعت فيه كل المعانى الكريمة •

فهو مكثر العبادة ، يصلى فيسلم وجهه وقلبه لله وينصرف بكليته اليه فى خشوع المؤمن السعيد بعبادته وقراءته •

عن محمد بن أبى حاتم الوراق قال : دعى محمد بن اسماعيل الى بستان بعض أصحابه فلما حضرت صلاة الظهر صلى القوم ثم قام للتطوع فأطال القيام فلما فرغ من صلاته رفع ديل قميصه فاذا زنبور قد أبره فى ستة عشر موضعا وقد تورم من ذلك الجسد وكان آثار الزنبور فى جسده ظاهرة • فقال له بعضهم : كيف لم تخرج من الصلاة فى أول ما أبرك ؟

فقال : كنت فى سورة فأحببت أن أتمها وعن نسج بن سعيد قال(١):

(١) فى الطبقات وتاريخ بغداد وأما فى المقدمة « مقسم » •

كان محمد بن اسماعيل البخارى اذا كان أول ليلة من رمضان يجتمع اليه أصحابه فيصلى بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية وكذلك الى أن يختم القرآن ، وكان يقرأ القرآن في السحر في كل ثلاث ليال • وكان يختم بالنهار في كل يوم ختمة ويكون ختمه عند الافطار في كل ليلة ويقول عند كل ختم دعوة مستجابة (١) ، وهذا الاتصال الدائم بالله عن طريق العبادة أضفى عليه حسن المعاملة مع الناس فكان شديد الورع في معاملته يخاف الشبهات •

قال أبو سعيد « بكر بن منير » : كان حمل الى محمد بن اسماعيل بضاعة انفدها اليه فلان اجتمع بعض التجار اليه بالعشية ، فطلبوها بربح خمسة آلاف درهم فقال لهم : انصرفوا الليلة فجاءهم من البغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردهم وقال : انى نويت البارحة أن أدفع الى الذين طلبوا منى أمس بما طلبوا أول مرة وقال : لا أحب أن أغير نيتي (٢) ، وعن عبد الله بن محمد الصيارفي : كنت عند محمد بن اسماعيل في منزله فجاءته وأرادت دخول المنزل فعثرت على محبرة بين يديه فقال لها : كيف تمشين ؟ قالت : اذا لم يكن طريف كيف أمشي ؟ فبسط يديه وقال : اذهبي فقد أعتقتك • فقيل له يا أبا عبد الله أغضبتك ؟ فقال : أرضيت نفسي بما فعلت (٣) •

فما أروع هذا السمو في المعاملة ، شعر احساسه الدينى المرفه بأنه أغضب الجارية باعتراضه التائيب الرقيق اليها ، فكفر عن ذلك باعتاقها حتى يرضى نفسه الطيبة الفقية ويقول : وراقه سمعته يقول لأبى معشر الضير : اجعلنى في حل يا أبا معشر فقال : من أى شىء ؟ فقال : رويت حديثا يوما عنك • فنظرت اليك وقد أعجبت به وأنت تحرك

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١١ •

(٢) طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٠ •

(٣) مقدمة الفتح ج ٢ ص ١٩٥ لابن حجر •

رأسك ويديك ففتبست من ذلك قال : أنت في حل — يرحمك الله يا أبا عبد الله (١) *

وعن وراقة : سمعته يقول ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة حرام *

قال بكر بن منير : سمعت محمد بن اسماعيل البخاري يقول : اني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني اني اغتبت أحدا (٢) * وسمعه وراقه يقول : لا يكون لى خصم في الآخرة فقال له : ان بعض الناس ينقمون عليك التاريخ ويقولون فيه اغتاب الناس فقال : انما روينا ذلك ولم نقله من عند أنفسنا * وقد قال : النبي صلى الله عليه وسلم بتس أخو العشيبة (٣) ويقول ابن حجر : كان البخاري في كلامه في الرجل توق زائد وتحر بليغ فمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل فان أكثر ما يقول : سكتوا عنه ، فيه نظر ، تركوه ، ونحو هذا *

وقل أن يقول : كذاب أو وضاع وانما يقول كذبه فلان « ورماه فلان » يعني بالكذب وهذا من شدة ورعه *

وعن الذهبي : أبلغ تضعيفه في المجروح منكر الحديث * ويقول البخاري : (٤) كل من قلت عنه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه ، وأكسبه ورعه التحري في الدقة والأمانة العلمية قال وراقة سئل عن خبر حديث فقال : يا أبا فلان تراني أدلس وقد تركت عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر وتركت مثلها أو أكثر منها لغيره لى فيه نظر ؟ وقد نفى النوم عن عينيه نفس أبيه مشغولة بالعلم والعبادة ومكارم الأخلاق ، قال وراقة : اذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد الا في القبط ، فكنت أراه يقوم في الليلة الواحدة خمسة عشرة مرة الى عشرين

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٣ *

(٢) الطبقات ج ٢ ص ٩ لابن السبكي *

(٣) البداية والنهاية ج ١١ ص ١١٩ *

(٤) الطبقات ج ٢ ص ٩ لابن السبكي *

مرة • وفي كل مرة يأخذ القداحة فيرى نارا في يده ويسرج ويخرج أحاديثه فيعلم عليها ثم يضع رأسه • فقلت : انك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني ؟ فقال : أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك وكان يصلى وقت السحر ثلاث عشرة ركعة ويوتر منها بواحدة • وكان معه شيء من شعر النبي صلى الله عليه وسلم (١) •

وهذه الحالة النفسية من قيامه مرات بالليل تمثل مدى اهتمامه بالعلم وتركيز الذهن فيه فكما تذكر شيئا سجله وهذا خلق العلماء المنصرفين للتأليف والعلم ، وما أكرم خلقه وشعوره في معاملته لتابعه وراقه في محافظته على راحته فلا يقلقه ويؤثر أن يصلح المصباح لنفسه وما أتقاه وأصفى نفسه فقبل أن يبدأ حياته العلمية في الليل يصفى نفسه بركعات تقربا الى ربه في وقت الصفاء في السحر وهذا هو نهج المحدث الذي يعيش مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم •

كريم البخارى وزهده

ورث البخارى عن والده ثروة ضخمة مطهرة فلم يستغلها في التمتع والتلذذ بالملذات الدنيوية بل عاش متقشفا زاهدا في الترف الدنيوى ، أكثر ما ينعم به في طعامه أن يأكل مع الخبز سكرة ولم يكن هذا التقشف كاذبا وطريقا خداعا الى الشح بالمال وادخاره كما يتوارى فيه بعض الناس وانما كان التقشف الصادق « ودليله الزهد في المال وانفاقه في أوجه البر والاحسان مؤمنا بقوله تعالى : « وما عند الله خير وأبقى » « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » •

يقول البخارى : كنت أستغل في كل شهر خمسمائة درهم • فأنفقها في الطلب وما عند الله خير وأبقى (٢) •

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٣ •

(٢) الطبقات ج ٢ ص ١١ •

وقال : وراقته كنا بفريز وكان أبو عبد الله يبنى رباطا (١) مما يلي بخارى فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك وكان ينقل اللبن فكانت أقول : يا أبا عبد الله انك تكفى ذلك ، فيقول هذا الذى ينفعنى ، وكان ذبح لهم بقرة فلما أدركت انقدور دعا الناس الى الطعام فكان معه مائة نفس أو أكثر ولم يكن علم انه يجتمع ما اجتمع وكنا أخرجنا معه من « فريز » خبزا بثلاثة دراهم وكان الخبز إذ ذاك خمسة أمان بدرهم فألقيناه بين أيديهم فأكل جميع من حضر وفضلت أرغفة صالحة ، وكان قليل الأكل جدا كثير الاحسان الى الطلبة مقرط الكرم (٢) ويتبين من بين سطور هذا القول مشاركته فى عمل الخير بالمحافظة على شعور المسلمين وكرمه المفرط فاستحق اكرام الله له بوضع البركة فى طعامه •

والبخارى دائما لا يؤثر الدنيا على الآخرة ولا يرضى أن يبيع دينه بدنياه فهو بعيد النظر فى خطواته يضحى بالدنيا الفانية من أجل الآخرة الباقية ، يقول وراقته عنه : انه ورث من أبيه مالا جليلا وكان يعطيه مضاربة (٣) فقطع غريم خمسة وعشرين ألفا ففعل له استعن بكتاب الوالى فقال : ان أخذت منهم كتابا طمعوا ولن أبيع دينى بدنياه ثم صالح غريمه على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم وذهب ذلك المال كله (٤) واستبدل البخارى أمواله أضعاغا مضاعفة فى سجل الحسنات وكان مصير هذه الثروة الجلية التى ورثها أن أقرضها لله ابتغاء وجهه ورضوانه وأصبح غنيا برضاء الله له • وبما هداه اليه من ثروة علمية قال عمر بن حفص الأثقر : كنا مع محمد بن اسماعيل بالبصرة نكتب الحديث ففقدناه أياما : فطلبناه فوجدناه فى بيت وهو عريان وقد نفذ ما عنده ولم يبق شيء فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوبا وكسونا

(١) فى مختار الصحاح الرباط ما تشد به الدابة والرباط ايضا - المراقبة وهى ملازمة اللغور ضد العدو • ورباط الخيل مراقبتها •
(٢) ترجمة البخارى ص ١٣ ط المنيرية •
(٣) مضاربة فى المال وهى القراض « مختار الصحاح » •
(٤) مقدمة فتح البارى ج ٢ ص ١٩٤ •

ثم اندفع معنا في كتابه الحديث (١) * والكريم قريب من الله وهو معه
يرزقه من حيث لا يحتسب تأخرت نفقته حتى جعل يتناول حشيش
الأرض فلما كان في اليوم الثالث يقول : أتانى رجل لا أعرفه فأعطانى
صرة فيها دنانير (٢) *

ووطد البخارى نفسه على أن يكون في ذروة الثقة الأطهار الأبرار
بكل ما تشمله التقوى من المعانى آسامية النبيلة حتى يكون ربانبا
يدعو فيستجاب له :

وهذا المنهج الذى رسمه لحياته وطبقه أتم تطبيق كان ينادى به
ويدعو المسلمين اليه ويريد أن يكون كل مسلم متحلياً بالتقوى التى
تؤهله لاستجابة الدعاء منه ، ولا ينبغى للمسلم أن يكون غير ذلك
يقول وراقة قال البخارى : « ما ينبغى للمسلم أن يكون بحالة اذا دعا
لم يستجب له » والدعوة الى التقوى والعبادة وتذكر الموت وحسن
الخلق كانت طبيعته ودعوته التى دائماً يدعو اليها حتى فيما أثر عنه من
أشعار قليلة قال الحاكم ابو عبد الله (٣) : قرأت بخط أبى على المستملى
وأنشد البخارى :

أغتنم في الفراغ فضل ركوع	فحسى أن يكون موتك بغته
كم صحيح رأيت من غير سقم	ذهبت نفسه الصحيحة فلتته
قال وأنشد أيضا :	
خالق الناس بخلق واسع	لا تكن كلبا على الناس تهر
وقال :	
أن تبق تنفج بالأحبة كلهم	وفناء نفسك لا أبالك أفجع

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٣ *

(٢) الطبقات ج ٢ ص ١١ *

(٣) الطبقات الشافعية ج ٢ ص ١٥ ومقدمة الفتح ج ٢ ص ١٩٦ *

فأشعاره (١) تدعو الى لزوم عدم ضياع الوقت بل ينبغي اشغاله بالعبادة وأن يكون المسلم صاحب خلق حسن يسلم الناس من شرم وضرره « وينتفعون بخيره وبره » •

مهارته واستعداده للجهاد

والبخارى الذى اهتم بحفظ الحديث وفهمه اهتم بتطبيق ما أمر الله به ورسوله فاتخذ هذا منهجا فى سيرته فكانت حميدة للغاية رائعة فى كل جوانبها •

عرف قيمة الجهاد فى الاسلام وشجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومهارته فى الحرب فاتخذ هذه القدوة الحسنة فتعلم استعمال آلات الحرب وأتقن الجهاد ونبغ فى أشق أمور الحرب وأرقاها حينئذ رماء الرمى « وكان فيه الممتاز على غيره بحيث لا يخطئ الهدف اذا رماه مرات عديدة » (٢) واهتم بثغور المسلمين الاهتمام البالغ ولم يشغله العلم عن ذلك وهكذا النفوس الكبيرة كما يقول ابن سينا : لا يشغلها شيء عن شيء والنفوس النقية يبارك الله لها فى وقتها بفضل الاخلاص والعمل • قال وراق البخارى : رأيته استلقى ونحن « بفربر » فى تصنيف كتاب التفسير وكان أتعب نفسه فى ذلك اليوم فى التخريج فقلت له : انى سمعتك تقول : ما أتيت شيئا بغير علم فما الفائدة من الاستلقاء ؟ قال : أتعبت نفسى اليوم وهذا ثغر خشيت أن يحدث فيه حدث من أمر

العدو فأحببت أن أستريح وأخذ أهبة وان غافصنا العدو « فاجأنا على غرة » كان بنا حراك وقال : كان ابو عبد الله يركب الى الرمى كثيرا فما أعلم فيما رأيته فى طول ما صحبتته أخطأ سهمه الهدف الا مرتين ، بل كان يصيب فى كل ذلك ولا يسبق قال : ركبنا يوما الى الرمى ونحن بفربر فخرجنا الى الدرب الذى يؤدى الى الفرضة فجعلنا نرمى فأصاب سهم أبى عبد الله وتد القنطرة التى على النهر فانشق الوتد فلما رأى

(١) ترجمة البخارى المطبعة المنيرية ١٦ •

(٢) ترجمة البخارى المنيرية •

ذلك نزل عن دابته فأخرج السهم من الوتد وترك الرمي وقال لنا : أرجعوا • فرجعنا • فقال لى وهو يتنفس الصعداء : يا أبا جعفر لى اليك حاجة فقلت نعم • قال : تذهب الى صاحب القنطرة فتقول : انا أخللنا بالوتد ، فنحب أن يأذن لنا فى اقامة بدله ، أو تأخذ ثمنه وتجعلنا فى حل مما كان منا • وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر فقال لى : ابلغ أبا عبد الله السلام وقل له : أنت فى حل مما كان منك ، فان جميع ملكى لك الفداء • فأبلغته الرسالة فتהל وجهه وأظهر سرورا كثيرا • وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث وتصدق بثلاثمائة درهم (١) •

قضية البخارى مع محمد بن يحيى الذهلى

محمد بن يحيى الذهلى شيخ المحدثين بنيسابور ومن تلامذته البخارى ومسلم بن الحجاج ومجلسه فى نيسابور قبلة العلماء ومجمعهم العلمى وعندما قدم البخارى بنيسابور كان محمد بن يحيى الذهلى من المرحبين به العارفين قدره فى علمه وصلاحه فأوصى الناس بالاستفادة من علم البخارى — وما كان يدور بخلد : أن مجلس البخارى سيحظى بالاقبال الفائق حتى ينصرف الناس الى مجلسه فيحصل الخل فى مجلس الذهلى •

قال الحسن بن محمد بن جابر « قال لنا الذهلى لما ورد البخارى بنيسابور • اذهبوا الى الرجل الصالح فاسمعوا منه فذهب الناس اليه وأقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخل فى مجلس الذهلى فحسده بعد ذلك وتكلم فيه » (٢) •

وكان أثر فتنة القول بخلق القرآن كما هو رأى القاضى أحمد بن أبى داود المعتزلى ومن معه من المعتزلة الذين ينكرون الصفات القديمة لله ومنها الكلام خوف تعدد القدماء على زعمهم ، وما دروا أن الممنوع هو تعدد الذوات لا الصفات لذات واحدة وكانت هذه الفتنة قد ظهرت

(١) تهذيب الاسماء ج ١ ص ٧٥ والطبقات ج ٢ ص ١٠ •

(٢) طبقات الشافعية ج ٢ ص ١١ لابن السبكي •

في عهد المعتصم والواثق وأوائل عهد المتوكل وكانت مثار خلاف المعتزلة في مقابل أهل السنة القائلين بقدّم القرآن - كلام الله القديم معناه ومدلوله قديم وهو نوع من أنواع صفة الكلام النفسية القديمة القائمة بذاته تعالى *

وكان مع المعتزلة الحكام المتأثرون بهم وعلى رأسهم المأمون. وامتنح فيها كبار أهل السنة ومنهم الامام أحمد بن حنبل وأحمد بن نصر الخزازي وأبو يعقوب البويطي واستعر أوار الفتنة حتى أدت الى مختلف أنواع التعذيب واستمرت من سنة ٢١٨ - ٢٣٤ هـ حتى أخمدها المتوكل وانتصر أهل السنة ونهى عن الكلام في هذه المسألة والنهى عن الكلام في مشاكل علم الكلام هو شأن السلف فقد ضرب عمر بن الخطاب من يتكلم في القدر وطرده وقال مالك للسائل عن معنى الاستواء : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وهذا هو منهج أحمد ابن حنبل كما هو منهج البخاري *

والقرآن كلام الله غير مخلوق كما عليه أهل السنة والحق هو ما ذهب اليه الامام البخاري * وهناك فرق بين القرآن وبين القراءة كما يقول البخاري : يقال فلان حسن القراءة وردىء القراءة ولا يقال حسن القرآن ولا ردىء القرآن فالقديم القرآن وهذا (١) ما قال به السلف وأما التلّفظ فذهب أهل السنة بل جميع الأمة الى أن التلّفظ بالقرآن أى حرفية اللفظ وصوته الذى تنطقه ألسنتنا وتلفظ به وتكتبه أيدينا حادث غير قديم ولا عبرة لما ينسب الى الحنابلة عن طريق جماعة من غلاة الحشوية من أنه قديم أيضا فهي رواية شاذة معارضة لصريح العقل ومنافية لصحيح النقل وما روى عن الامام أحمد رضى الله عنه من رميه من زعم ذلك بالاعتدال والكفر فعلى تسليم صحته وأنه ليس من وضع الحشوية التى انتسبت ظلما اليه وأساءت أبلغ الاساءة لمذهبه ليس محمولا على ظاهره بل المراد منه التنفير من التصريح به والزجر

(١) مقتبس عن كلام مقدمة البخاري لفضيلة الشيخ عبد الغنى يتصرف ص ٨٧ *

عن الخوض فيه خشية أن يتأثر ويجره ذلك الى القول بمذهب الاعتزال وانكار صفة الكلام القديمة أو خشية أن يتأول متأول ويحمله على مذهب المعتزلة ويشنع بقائله ويؤكد ذلك قول ابن السبكي في ترجمة الحسين بن علي الكرابيبي صاحب الشافعي (١) •

قيل للكرابيبي « ما تقوله في القرآن قال كلام الله غير مخلوق فقال إنه السائل فما تقول في لفظ القرآن ؟ فقال : لفظك به مخلوق فمضى السائل الى أحمد بن حنبل فشرح له ما جرى فقال هذه بدعة والذي عندنا أن أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه أشار بقوله هذه بدعة الى الجواب عن مسألة التلفظ اذ ليست مما يعنى المرء وخوض المرء فيما لا يعنيه من الكلام بدعة فكان السكوت عن الكلام فيه أجمل وأولى • ولا يظن بأحمد رضى الله عنه أنه يدعى أن اللفظ الخارج من بين الشفتين قديم • ومقالة الحسين هذه قد نقل مثلها عن البخارى والحارس بن أسد المحاسبى ومحمد بن نصر المروزي وغيرهم فمن جراء فتنة خلق القرآن وما كان لها من أثر في اهانة كثير من الصالحين تغالى بعض العامة واشتبه عليه فبدعوا كل من قال بحدوث ما يمس عوارض القرآن •

وقد استغل محمد بن يحيى الذهلى كراهية النفوس لمن يتكلم في القرآن فأراد أن يوقع البخارى في هذا الأمر حتى ينفر الناس عن مجلسه وينسبوه الى الاعتزال •

قال الحافظ بن عدى (٢) ذكر لى جماعة من المشايخ أن محمد بن اسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عنده حسده بعض ثيوخ الوقت فقال لأصحاب الحديث ان محمد بن اسماعيل يقول : لفظى بالقرآن مخلوق فلما حضر المجلس قام اليه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله ماتقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو ؟ أو غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخارى ولم يجبه ثلاثا • فألح عليه • فقال البخارى القرآن كلام الله

(١) طبقات الشافعية ج ١ ص ٥٢ •

(٢) الطبقات ٢ ص ١١ ومقدمة الفتح ج ٢ ص ٢٠٣ •

غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة فشغب الرجل وقال قد قال لفظي بالقرآن مخلوق وشغب الناس وتفرقوا عنه ، فالبخاري يلتزم لمذهب السلف فيتخرج عن الخوض صراحة فيما يثير الفتن ويعرض عن السائل ويعترض عليه مبينا له بأن الامتحان في مثل هذا الأمر انما هو بدعة وهذا رأى السلف كالامام مالك والامام أحمد فالسكوت عند عدم الاحتياج اليه سنة ولكن عند الاحتياج اليه يضطر العالم لتبين الصواب وهذا هو ما رآه البخاري وقال محمد بن يوسف الفري (١) •

سمعت أبا عبد الله محمد بن اسماعيل يقول ان أفعال العباد مخلوقة فقد حدثنا علي ابن عبد الله حدثنا مروان بن معاوية حدثنا أبو مالك عن ربيع بن حراش عن حذيفة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يصنع كل صانع وصنعه قال أبو عبد الله وسمعت عبيد الله بن سعيد يقول « ما زلت أسمع أصحابنا يقولون أن أفعال العباد مخلوقة قال أبو عبد الله البخاري حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله غير مخلوق قال تعالى « بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » زاد في المقدمة قال : وقال اسحق بن راهوية أما الأوعية فمن يشك انها مخلوقة ؟ وقال في الطبقات وقال البخاري يقال فلان حسن القراءة وردىء القراءة ولا يقال حسن القرآن وردىء القرآن وانما ينسب ذلك الى القرآن لأن القرآن كلام الرب والقراءة فعل العبد وليس لأحد أن يشرع في أمر الله بغير علم زعم بعضهم أن القرآن بالفاظنا وألفاظنا به شيء واحد والتلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء فقليل له أن التلاوة فعل القاريء وعمل التالي فرجع وقال ظننتهما مصدرين فقليل له هلا أمسكت كما أمسك كثير من أصحابك ، ولو بعثت الى من كتب عنك واسترددت ما أثبت وضربت عليه فزعم أن كيف يمكن هذا ؟ وقال قلت

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣١ والطبقات ج ٢ ص ١١ ومقدمة المنتج ج ٢ ص ٢٠٣ .

ومضى فقلت له كيف جاز أن تقول في الله شيئاً لا يقوم به شرح وبيان إذا لم تميز بين التلاوة والتمتو ؟ فسكت إذ لم يجد عنده جواباً •
وقد حقق التاج السبكي في طبقاته (١) موقف البخاري فقال كان البخاري على ما روى فيه ممن قال لفظي بالقرآن مخلوق وقال محمد ابن حسن الزهلي : من قال وزعم أن لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع وإنما أراد محمد بن يحيى والعلم عند الله ما أراد أحمد بن حنبل من النهي عن الخوض في هذا ولم يرد مخالفة البخاري وإن خالفه وزعم أن لفظه الخارج من بين شفتيه المحدثين قديم فقد باء بأمر عظيم والظن به خلاف ذلك وإنما أراد هو وأحمد وغيرهم من الأئمة النهي عن الخوض في مسائل الكلام • وكلام البخاري عندنا محمول على ذكر ذلك عند الاحتياج اليه فالكلام عند الاحتياج اليه واجب والسكوت عنه عند عدم الاحتياج اليه سنة فافهم ذلك ودع خرافات المخرفين واضرب صفحا عن تمويهات الضالين الذين يظنون أنهم محدثون وأنهم عند السنة واقفون وهم عنها مبعدون •

وكيف يظن بالبخاري أنه يذهب إلى شيء من أقوال المعتزلة وقد صح عنه فيما رواه الفربري وغيره أنه قال اني لأستجهل من لا يكفر الجهمية ؟ ولا يرتاب المنصف في أن محمد بن يحيى الذهلي لحقته آفة الحسد التي لم يسلم منها إلا أهل العصمة وقد سأل بعضهم البخاري عما بينه وبين محمد بن يحيى فقال البخاري كم يعتري محمد بن يحيى الحسد في العلم والعلم رزق الله يعطيه من يشاء • • ولقد أبان البخاري عن عظيم ذكائه حيث يقول وقد قال له أبو عمرو بن الخفاف أن الناس خاضوا في قولك فقال : يا أبا عمرو من زعم أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق • فهو كذاب فاني لم أقله إلا أني قلت أفعال العباد مخلوقة قلت : تأمل كلامه ما أذكاه ومعناه والعلم عند الله اني ثم أقل أن لفظي بالقرآن مخلوق لأن الكلام في هذا خوض في مسائل الكلام وصفات الله لا ينبغي الخوض فيها إلا للضرورة ولكن قلت أفعال العباد مخلوقة وهي قاعدة مغنية عن تخصيص هذه المسألة بالذكر فإن كل عاقل يعلم

(١) طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٢ •

ان الفاظنا من جملة أفعالنا وأفعالنا مخلوقة ولقد أفصح بهذا المعنى في رواية أخرى صحيحة عنه رواها حاتم بن أحمد الكندي فقال سمعت مسلم بن الحجاج غذكر الحكاية المتقدمة وفيها أن رجلا قام الى البخارى وسأله عن اللفظ بالقرآن ؟ فقال أفعالنا مخلوقة والفاظنا من أفعالنا وفي الحكاية انه وقع بين القوم اذ ذاك اختلاف على البخارى فقال بعضهم قال : لفظى بالقرآن مخلوق وقال آخرون لم يقل فلم يكن الإنكار الا على من يتكلم في القرآن وقد اضطر البخارى لأن يسكن الفتنة بخروجه من نيسابور الى بخارى وقد روى انه لما قام مسلم بن الحجاج وأحمد بن مسلمة من مجلس محمد بن يحيى بسبب البخارى • قال الذهلى لا يساكننى هذا الرجل في البلد فخشى البخارى وسافر ، فنجد أن البخارى في محنته هذه لم يقترب اثما وأن ما أثير حوله أنما هو وليد الحسد من النفوس البشرية ومحمد بن يحيى رحب بالبخارى عند قدومه ولكن الشيطان للإنسان عدو مبين فحسده عندما رأى أنه احتل مكان الصدارة والتف حوله القوم وتركوا الذهلى فاستغل اثاره النفوس وحساسيتها بالنسبة لفتنة القرآن وتابعه على ذلك الذين انتقدهم البخارى وجرحهم بالتضعيف واستعملوا التشويش على العامة الذين لا يفرقون بين القرآن والقراءة وكان البخارى دقيقا في تعبيره ملتزما مذهب السلف حيث أعرض عن السائل أولا ثم لما ألح عليه بين له أن السؤال بدعة وأجابه اجابة بينة لأن أفعال الرجال مخلوقة والفاظنا من أفعالنا وكان في اجابته الضمنية الدليل على صدق قوله ومع ذلك فقد أثر السفر الى بخارى حتى لا تكون فتنة وهو في ذلك لم يخالف السلف بل كان على مذهب أستاذه الامام أحمد الذى يرى أن التبرع بالكلام فيما يثير الجدل بالنسبة الى صفات الله انما هو بدعة والقرآن عند محمد ابن اسماعيل هو كلام الله غير مخلوق قال محمد بن نعيم (١) سأل محمد ابن اسماعيل لما وقع في شأنه ما وقع عن الايمان فقال قول وعمل يزيد وينقص والقرآن كلام الله غير مخلوق وأفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على وعلى هذا حبييت وعليه أموت وعليه أبعث ان شاء الله •

• (١) التهذيب ج ٩ ص ٥٣ لابن حجر •

اعتزاز البخارى بعلمه

ومحنته مع أمير بخارى خالد بن أحمد الذهلى

ترك البخارى نيسابور ايثارا للسلامة وعدم الفتنة وذهب الى بلدته بخارى واستقبل أروع استقبال « فنصبت له أقباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة اهل البلد حتى لم يبق مذكور ونثر عليه الدراهم والدنانير » (١) •

والتف حوله الناس في مجلسه في المسجد والمنزل والكل عنده سواء في توجيه العناية والاستفادة من علمه ونشر سنة النبي صلى عليه وسلم فوجد فيه العلماء أنه الأمل المرجو والمرجع الأصيل فأقبلوا عليه للاستفادة منه ، ومثل البخارى في اخلاصه للعلم وقوته يهمة أن يرضى عنهم الناس ارضاء الله وأن يكون النفع عاما للجميع وليس لديه من الوقت فسحة للدرس الخاص وليس في نفسه الدافع الى التقرب الى الأمير على حساب مصلحة الغير لأنه استمد جاهه واحترامه من سلطان العلم ، وتشعور العالم برضاء ربه وسيره في طريقه وتأدية رسالته يكسب العالم سعادة كاملة وعزا وسلطانا وكيانا يرى نفسه في وضع كريم غير محتاج الا لله وحده ، فلما طلب أمير بخارى خالد بن أحمد ان يأتيه بكتبه حتى يسمعها له ولأولاده في قصره خاصة رفض البخارى أن يستجيب لطلبه وقال « في بيت العلم والحلم يؤتى » فأفهمه أن العلم يسعى اليه فراسله الأمير طالبا أن يعقد مجلسا لأولاده لا يحضره غيرهم ويحضر الأولاد اليه فامتنع أيضا وقال « لا يسعنى أن أخص بالسماع قوما دون آخرين » • قال أبو سعيد بكر بن منير البخارى « بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلى والى بخارى وخليفة ابن طاهر الى محمد بن اسماعيل أن احمل الى كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما الأسقع منك فقال محمد

(١) مقدمة النتج ج ٢ ص ٢٠٥ •

ابن اسماعيل لرسوله قل له : انى لا أذل العلم ولا أحمله الى أبواب ،
السلطين فان كان لك الى شىء منه حاجة فأحضرنى فى مسجدى أو فى
دارى وان لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعنى من الجلوس ليكون لى
عذر عند الله يوم القيامة لأنى لا أكتنم العلم لقول النبى صلى الله عليه
وسلم من سئل عن علم فكتمه الجم بلجام من نار • فكان سبب الوحشة
بينهما هذا (١) •

فأصر الأمير فى نفسه العداوة للبخارى وصار يتحين له الفرص
حتى وصله كتاب محمد بن يحيى الذهلى الذى لم يكتف بصرف الناس
عن البخارى فى نيسابور فلم يقنع برحيله منها رغبة فى تسكين الفتنة
فواصل عداءه للبخارى بكتاباتة للولاة والعلماء بالتشنيع على البخارى
بمسألة اللفظ وزميه بالاعتزال جذافا وبهتاناً وممن كتب اليهم من العلماء
أبو حاتم وأبو زرعة الرازى كما كتب الى الأمير خالد بن يحيى الذهلى
نائب الطاهرية ببخارى فلما وصل الأمير كتاب الذهلى انتهر الفرصة
لانتقام من البخارى وأراد أن يصرف الناس عن السماع منه وكان
البخارى فى جامع بخارى مجلس يجلس فيه لاملاء العلم اليهم وكانوا
يعظمونه جد التعظيم ويكرمونه أشد التكريم فلم ينفذوا ارادة الأمير
ورغبته واستمروا فى التلقى عنه فأمر الأمير عند ذلك بنفيه وساعده جاهه
على اخراجه من بلده وقال أبو بكر بن أبى عمرو الحافظ وممن ساعد
على ذلك خالد بن أبى الورقاء وغيره من أهل العلم ببخارى حتى تكلموا
فى مذهبه فنفاه عن البلد فخرج رضى الله عنه الى بيكنند « بلده بين
جيحون وبخارى على مرحلة منها » ثم الى خرتنك قرية تبعد عنها
فرسخين أو ثلاثة وعند خروجه دعا عليهم فقال : اللهم أرهم ما قصدونى
به فى أنفسهم وأولادهم وأهائهم فأما خالد فلم يأت عليه الا أقل من شهر
حتى ورد أمر الظاهرية بأن ينادى عليه فنودى عليه وهو على أتان
وأشخص على أكاف ثم صار عاقبة أمره الى ما قد اشتهر وشاع من

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٢ طبقات النسافية ج ٢ ص ١٤ مقدمة البخارى للشيخ
عبد الفتى ص ٩٢ التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٥٢ •

من سجنه في بغداد حتى أن مات ولم يبق أحد ممن ساعده في اخراجه البخارى الا ابتلى شديد اليبلاء وأما حديث ابن أبى الورقاء فإنه ابتلى بأهله فرأى منهم ما يجلب عن الوصف وأما فلان أحد القوم وسماه فإنه ابتلى بأولاده وأراه الله منهم البلى (١) والبخارى في موقفه هذا يمثل عزة العلماء وتوكلهم على الله واستمدادهم القوة والعزة من الله وحده وقد وصل بطهارته وعلمه وصفاته الخلقية الى درجة يدعو الله فيستجيب له .

مكانة البخارى في عصره

ان أبا عبد الله البخارى بعلمه وعقله وخلقه ودينه وصل الى درجة رفيعة في الكمال الانساني أجبرت الدنيا بأن تتطلع اليه وأنطقت الألسن والقلوب بالثناء عليه .

ورغم نباهة شأن شيخه وأقرانه وعلماء عصره الزاهر بالعلم فإنه استطاع أن يصل في سلم الارتقاء الى درجات عالية تصعب على أفاض العلماء .

وقد تتابعت الروايات في نباهة شأنه وتقدمه والشهادة له بالامامة في العلم . واكتظت كتب الطبقات بالاسهاب في هذا المعنى اسهابا لم يتوفر في أى ترجمة من تراجم العلماء .

والمقدرون له الشاهدون بفضلهم على حد تعبير الامام النووى هم الأعلام أئمة المسلمين أولو الورع والدين والحفاظ النقاد المتقون الذين لا يجازفون بالعبارات بل يتأملونها ويحررونها ويحافظون على صيانتها أشد المحافظات .

والناظر يجد أن هذه الروايات انما تمثل اجماع المسلمين في عصر البخارى اذ هي تشع من مراكز اشعاع العلوم بالعالم الاسلامى ولم يقتصر ذلك على أهل بلد بعينه وقد نسق الخطيب البغدادي هذه

(١) التهذيب ج ٦ ص ٥٢ لابن حجر .

الروايات وقسمها بحسب أصحابها الى فصول ممتعة تبين أن مكانة البخارى مكانة عالمية قد طبقت الأساق وان علمه أشرق على دنيا الاسلام فى عصره وان له الأثر الحسن فى كل بلد بما تركه فيه من علم نافع وخلق كريم وذكر هذه الروايات الذهبى فى سير أعلام النبلاء وذكرها باسهاب الخطيب البغدادى تحت العناوين الآتية (وصف البصريين ومدحهم للبخارى) (وصف أهل الحجاز والكوفة) (ذكر البغداديين فضله) (قول أهل الرى فيه) *

(ما حفظ عن أهل خراسان وما وراء النهر من القول فيه) وحسبى أن أمر سريعا قانعا بذكر نماذج من تلك التقارير لكى يعطينا فكرة واضحة عن مكانة البخارى فى عصره وتدلنا على أنه نشأ للعلم عظيمًا مقدرا منذ وجد وهذا انما يثبت فى النفوس قيمة مروياته ويبين لنا جليل عمله وفى طبيعة هذه النصوص القوة المعبرة التى لا تحتاج الى تعليق *

عن حاشد بن اسماعيل يقول كنت بالبصرة فسمعت قدوم محمد بن اسماعيل فلما قدم قال محمد بن يسار : دخل اليوم سيد الفقهاء * ويقول بNDAR محمد بن بشار : ما قدم علينا مثل محمد بن اسماعيل * وعن أبى يوسف بن ريان قال : سمعت محمد بن اسماعيل يقول كان على ابن المدينى يسألنى عن شيوخ خراسان فكنت أذكر له محمد بن سلام فلا يعرفه الى أن قال لى يوما يا أبا عبد الله : كل من أثنت عليه فهو عندنا الرضا — ويقول البخارى ما تصاغرت نفسى عند أحد الا عند على بن المدينى فيقول على زروا قوله هو ما رأى مثل نفسه * ويبلغ من تقدير القوم له وثقتهم به أنه الجامع الحديث ، أن يقول عمرو بن على حديث لا يعرفه محمد بن اسماعيل ليس بحديث * ويقول أبو معشر حمدوية بن الخطاب لما قدم أبو عبد الله محمد بن اسماعيل من العراق قدمته الأخيرة تلقاه من تلقاه من الناس وازدحموا عليه وبالغوا فى بره * فقيل له فى ذلك وفيما كان من كرامة الناس وبرهم فقال كيف ولو رأيتم يوم دخولنا البصرة *

وقد كان معلوماً للقوم أن الحديث إذا انتخبه محمد بن اسماعيل اتسم بالصحة وأصبح ذلك شهادة بصحته •

عن أبي حاتم قال : سمعت محمد بن اسماعيل يقول « كان اسماعيل بن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه وقال هذه أحاديث انتخبها محمد بن اسماعيل من حديثي • وقال أبو حاتم : سمعت حاشد بن عبد الله يقول • قال لي أبو مصعب أحمد ابن أبي بكر المديني : محمد بن اسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل فقال له رجل من جلسائه جاوزت الحد فقال أبو مصعب لو أدركت مالكا ونظرت الى وجهه ووجه محمد بن اسماعيل لقلت كلاهما واحد في الفقه والحديث • وهذه الرواية إنما تعني الشبه في الفقه والحديث والا فملاح وجه والجسم لا تفيد تعظيماً أو تكريماً •

وعن محمود بن النصر أبي سهل الشافعي يقول : دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة وجالست علماءها فكلما جرى ذكر محمد

ابن اسماعيل فضلوه على أنفسهم • وعن عبد الله بن أحمد ابن حنبل عن أبيه الإمام أحمد أنه قال : ما أخرجت خراسان مثل محمد بن اسماعيل ويقول يعقوب بن ابراهيم الدورقي محمد بن اسماعيل فقيه هذه الأمة • وعن موسى بن هارون الحمال ببغداد يقول عندي لو أن أهل الاسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن اسماعيل آخر لما قدروا عليه — وعن أبي العباس محمد بن عبد الرحمن الفقيه يقول كتبت أهل بغداد الى محمد بن اسماعيل •

المسلمون بخير ما بقيت لهم
وليس بعدك خير حين تفتقد

وعن وراقة سمعت محمد بن اسماعيل يقول : قال لي محمد بن سلام أنظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فأضرب عليه كي لا أرويه ففعلت ذلك وكان محمد بن سلام كتب عند الأحاديث التي أحكمها محمد بن اسماعيل رضى الفتى وعند الأحاديث الضعيفة لم يرض الفتى

فقال له بعض أصحابه من هذا الفتى ؟ فقال هو الذى ليس مثله محمد
ابن اسماعيل — والمقصود ليس مثله فى عصره طبعاً •

وبلغ من حب القوم لمحمد بن اسماعيل أنهم يطمنون أن يفدوه
بأنفسهم حفظاً للعلم • عن يحيى بن جعفر يقول لو قدرت أن أزيد فى
عمر محمد بن اسماعيل لفعلت فإن موتى يكون موت رجل واحد وموت
محمد بن اسماعيل ذهاب العلم • ويقول فيه رجاء بن المرعى محمد
ابن اسماعيل آية من آيات الله يمشى على الأرض وعن أبى عيسى
الترمذى تلميذ البخارى صاحب الصحيح يقول : كان محمد بن اسماعيل
عند بن منير فلما قام من عنده قال : يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه
الأمة • قال أبو عيسى فاستجيب له فيه وعن الترمذى أيضاً قال لم
أر أحداً بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ والأسانيد أعلم
من محمد بن اسماعيل ويقول له تلميذه مسلم بن الحجاج لا يبغيضك
إلا حاسد وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك وجاء مرة إليه فقبله بين عينيه
وقال دعنى أقبل رجلك يا أستاذ الأساتذة وسيد المحدثين ويا طبيب
الحديث فى علله وعن حاشد بن اسماعيل يقول : رأيت اسحاق بن راهوية
جالساً على السرير ومحمد بن اسماعيل معه فأنكر عليه محمد بن اسماعيل
شيئاً فرجع الى قول محمد وقال اسحاق بن راهوية يا معشر أصحاب
الحديث انظروا الى هذا الشاب واكتبوا عنه فإنه لو كان فى زمن الحسن
البصرى لاحتاج اليه الناس لمعرفة الحديث والفقه — وعن أبى بكر
محمد بن اسحاق يقول : ما رأيت تحت أديم هذه السماء أعلم بالحديث
من محمد بن اسماعيل البخارى — وعن عبد الله بن عبد الرحمن
السمرقندى يقول رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراقيين
فما رأيت فيهم أجمع من أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى — وعن
عبد المؤمن بن خلف التيمى قال : سمعت الحسن بن محمد يقول : ما رأيت
مثل محمد بن اسماعيل ومسلم الحافظ لم يكن يبلغ محمد بن اسماعيل
ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعون الى محمد بن اسماعيل أى شيء

يقول يجلسون بجانبه فذكرت له قصة محمد بن يحيى فقال ماله ولحمد
ابن اسماعيل •

كان محمد بن اسماعيل أمة من الأمم وكان أعلم من محمد بن يحيى
بكذا وكذا وكان محمد بن اسماعيل ديناً فاضلاً يحسن كل شيء •

ولهذه المكانة السامية المتأصلة في نفوس القوم كانوا يحرصون على
علمه ويجتمع الألوف في مجلسه يتزاحمون عليه للانتفاع منه حتى في
الطرائق يعدون خلفه انتظاراً لمجلسه وكانت له هذه المكانة الممتازة منذ
مقتبل حياته يقول حاشد بن اسماعيل كان أهل المعرفة من أهل البصرة
يعدون خلف البخاري في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه
ويجلسوه في بعض الطريق ويجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه
وكان البخاري إذ ذاك شاباً لم يخرج شعر وجهه • وقال قتيبة بن سعيد
جالست الفقهاء والزهاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد
ابن اسماعيل البخاري وهو في زمانه كعمر في الصحابة — وقال محمد بن
يوسف الهمداني وقد سئل قتيبة عن طلاق السكران فدخل محمد بن
اسماعيل البخاري وقال قتيبة للأسائل هذا أحمد بن حنبل واسحاق بن
راهوية وعلى بن المديني قد ساقهم الله اليك وأشار إلى البخاري ، وعن
ابراهيم بن سلام قال ان الرتوت « الرؤساء » من أصحاب الحديث مثل
سعيد بن مريم المصري ونعيم بن حماد الحميدي والحجاج بن منهال
واسماعيل بن أويس والعدني والحسن الخلال ومحمد بن ميمون صاحب
ابن عيينة ومحمد العلاء والأشج وابراهيم بن المنذر الحزامي وابراهيم
ابن موسى الفراء كلهم كانوا يهابون محمد بن اسماعيل ويقضون له على
أنفسهم بالنظر والمعرفة وذكر أن الحاكم أبو عبد الله النيسابوري قال
رحمه الله تعالى البخاري هو امام أهل الحديث بلا خلاف بين أئمة النقل
وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر سمعت العلماء بمصر يقولون
ما في الدنيا مثل محمد بن اسماعيل في المعرفة والصلاح ثم قال عبد الله
وأنا أقول قولهم — وقال الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد
ابن عقدة لو أن رجلاً كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن تاريخ محمد

ابن اسماعيل ويقول الحافظ بن حجر في نهاية فصل الثناء على البخارى
ولو فتحت باب ثناء الأمة عليه ممن تأخر عن عصره لفنى القرطاس ونفذت
الأنفاس فذاك بحر لا ساحل له •

وبعد ما تقدم من ثناء مشايخه عليه لا يحتاج الى حكاية من تأخر
لأن أولئك أثنوا بما شاهدوا ووصفوا بما عملوا بخلاف من بعدهم فإن
ثناءهم ووصفهم مبنى على الاعتماد على ما نقل اليهم وبين المقامين
فرق ظاهر وليس العيان كالخبر •

الباب الثالث

منهج البخاري في الجامع الصحيح



مكانة صحيح البخارى

هو الكتاب الذى قال فيه العلماء بحق أنه أصح كتاب بعد كتاب الله •

وهو الكتاب الذى أصبح البخارى به أمير المؤمنين فى الحديث وكتب له به الخلود ورفع ذكره مقترنا بالصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وكما هو أسمى كتاب بعد كتاب الله هو أسمى مؤلفات البخارى وتعتبر مؤلفاته الأخرى كمقدمة أهلته لهذا الكتاب العظيم فلم يبدأ البخارى فى كتاب الصحيح الا بعد أن قضى رحلة واسعة النطاق فى مؤلفات تدل على ثباته وتقدمه بمعرفة رجال الحديث وأحوالهم •

وهذا الكتاب كما هو المؤلف الهام فى حياة البخارى وحياة الاسلام عامة هو الجزء المهم فى الكتاب •

فأطلب من الله أن يمدنى بعونه حتى أوفق فى بيان منهج البخارى فى صحيحه مجليا قيمة عمله الدقيق • وبالله التوفيق •

الباعث على تصنيف البخارى للجامع الصحيح

تفاعلت الأسباب الداعية لإبراز هذا المؤلف الجليل *

أولاً — الحاجة الى أفراد الحديث الصحيح حيث كانت الكتب المصنفة قبله منها ما هو ممزوج بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومنها ما هو مشتمل على الصحيح وغيره فكانت الحاجة داعية الى أفراد الحديث الصحيح ليخلص طالب الحديث من عناء السؤال والبحث *

ثانياً — مقدرة البخارى واكتمال نموه في معرفة الحديث *

ثالثاً — شعور العلماء بالحاجة وبمكانة البخارى فوجهت اليه الدعوة من منزل شيخه امام الحديث والفقه اسحاق بن راهوية بدعوة منه في مجلس العلماء *

رابعاً — قوى عزم البخارى وشبر صدره وملا همة واقداماً رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وهو يذب عنه بمروحة في يده وفسرت الرؤيا للبخارى بأنه يذب الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم يقول الحافظ ابن حجر (١) فلما رأى البخارى رضى الله عنه هذه التصانيف (الموجودة في عصره) ورواها وانتشق رياها واستجلى محياها وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منه يشمل التضعيف * فحركت همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين وقوى عزمه على ذلك ما سمعه من أستاذه أمير المؤمنين في الحديث والفقه اسحاق بن ابراهيم الحنظلى المعروف بابن راهوية قال : ابراهيم بن معقل النسفى قال : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى كنا عند اسحاق بن راهوية فقال : لو جمعتم كتاباً مختصراً

(١) المقدمة ج ١ ص ٤ لابن حجر *

لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوق ذلك في قبابي
فأخذت في جمع الجامع الصحيح (١) وروى كنت عند اسحاق فقال بعض
أصحابنا (٢) البخ *

ويمكن الجمع بين الروايتين بأن اسحاق طلب منه أولا ثم طاب منه
بعض الحاضرين تأكيدا لقول اسحاق وقال محمد بن سليمان بن غارس
سمعت البخاري يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأني واقف
بين يديه وبيدي مروحة فسألت بعض المعبرين فقال لي : أنت تذب عنه
الكذب فهو الذي حملني على اخراج الجامع الصحيح (٣) *

الاسم الكامل لصحيح البخاري

ان الاسم الكامل الذي سمي به أبو عبد الله البخاري كتابه هو
(الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسنته وأيامه) (٤) .

ولما كان أسمى ما يتسم به انكتاب ويرفع من شأنه هو واسمه
بالصحيح اشتهر بذلك اختصارا فأطلق عليه « صحيح البخاري » على
أن البخاري نفسه كان يطلق عليه في كثير من الاحيان اختصارا الصحيح *

قال أبو علي الغساني سمعت البخاري يقول خرجت الصحيح من
ستمائة ألف حديث (٥) وقال ابن الصلاح والنووي *

« الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسنته وأيامه » والروايتان متقاربتان وليس بينهما خلاف

(١) تدريب الرازي ص ٢٤ للسيوطي *

(٢) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٨ ونهذب الاسماء للنووي ج ١ ص ٦١ *

(٣) كنز الطالبون ص ٥١٤ شرح البخاري للنووي ص ٧ مقدمة الفتح ج ١ ص ٤ *

(٤) المقدمة لابن حجر وفي كتاب النكت المخطوط لابن حجر بعد المسند المختصر *

(٥) مقدمة ابن صلاح ص ٤ *

جوهري غير أن رواية ابن حجر يبدو أنها أصوب — يؤيد ذلك ما روى عن البخاري في وصف الجامع الصحيح مباشرة في قوله فأخذت في جمع الجامع الصحيح وقوله صنفت الجامع الصحيح لست عشرة سنة وخرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة بيني وبين الله عز وجل (١) وعادة يذكر المصدر ويحذف المتأخر في الاختصار فهذا يدل على أن « المسند » بعد قوله « الصحيح » مما يكسب قول ابن حجر قوة في روايته والله أعلم ♦

مدة تأليف الجامع الصحيح ومكانه

لقد صنف البخاري جامع الصحيح على مكث ومهل رغم محصوله العلمي الذاهر لأنه تَوَخَّى فيه الدقة الفائقة والعناية النادرة فنصفه في ستة عشر عاما وكان يعد نفسه لكل حديث بالغسل والصلاة قال البخاري (ما كتبت في كتاب انصحيح حديثا الا اغتسلت قبل رذلك وصليت ركعتين) (٢) ♦

وقال صنفت الجامع الصحيح لست عشرة سنة خرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة بيني وبين الله عز وجل (٣) ♦

أما مكان تأليفه فقد قال عبد القدوس بن همام سمعت عدة مشايخ يقولون حول انبخاري تراجع جامع بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبرة وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين (٤) وروى عن البخاري أنه قال : صنفت كتاب الجامع في المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثا الا بعد ما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته (٥) وفي شرح البخاري للنووي صنف البخاري صحيحه ببخاري وقييل صنّفه بمكة

(١) مقدمة النووي ص ٧ ومفتاح السعادة ج ٢ ص ٥ .

(٢) الوفيات ج ١ ص ٦٥٠ والتهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٤٩ .

(٣) شرح البخاري للنووي ص ٧ .

(٤) مقدمة الفصح ج ٣ ص ٢٠٢ .

(٥) المقدمة ج ٢ ص ٢٠٢ .

قال الامام النووى والجمع بين هذا كله ممكن بل متعين فانا قد قدمنا عنه أنه صنّفه في ست عشرة سنة فكان يصنف منه بمكة والمدينة والبصرة وبخارى والله أعلم •

ورأى الحافظ في الجمع بين هذه الروايات أنه ابتداء تصنيفه ووضع التخطيط انعام للكتاب كمسودة في المسجد الحرام ثم أكمله وبيّضه في بخارى وغيرها واستدل على قوله بأن البخارى أقام في تصنيفه ست عشرة سنة وأنه لم يجاوز بمكة هذه المدة كلها وهذا هو رأى •

منهج البخارى في رواية حديث الصحيح وشرطه

من أمتع ما قيل في هذا المعنى وأدقه قول الحافظ ابن حجر المتوفى سنة (٨٥٢ هـ) في مقدمة كتاب النكت (١) « مختصر فتح البخارى » فقد استخلص منهج البخارى في شرطه من طريقتين :

الاول : من تسمية البخارى نفسه لكتابه •

الثانى : من الاستقراء من تصرفه •

فأما أولاً فإنه سماه الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه •

فعرفنا بقوله الجامع أنه لم يختص بصنف دون صنف ولهذا أورد فيه الاحكام والفضائل والأخبار المحضة عن الامور الماضية وعن الامور الآتية وغير ذلك من الآداب والرفاق •

وبقوله الصحيح أنه ليس منه شيء ضعيف عنده • ويصرح بذلك قوله ما أدخلت في الجامع الا ما صح • وبقوله المسند أن الأصل تخريج الأحاديث التى اتصل اسنادها ببعض الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم سواء أكان من قوله أو فعله أو تقريره •

وأن ما وقع في الكتاب مما يخالف ذلك انما وقع فيه تبعا عرضا

(١) مخطوط بكتبة الازهر الشريف •

لا أحسلاً مقصوداً فهذا ما عرف من كلامه (١) •
 ثانياً وأما ما عرف بالاستقراء من تصرفه فمحتاج أولاً الى التعرف
 بالصحيح « عنده وعند غيره » •
 وهو أن يكون الاسناد متصلاً وأن يكون كل من رواته عدلاً متصفاً
 بالضبط فإن قصر احتاج الى ما يجبر ذلك التقصير - ويكون الحديث
 مع ذلك قد خلا من أن يكون معاولاً أى فيه علة فادحة وأن يكون شاذاً
 أى خالف رواية من هو أكثر عدداً منه وأشد ضبطاً مخالفة تستلزم التنافي
 ويتعذر معها الجمع الذى لا يكون متعسفاً •
 ثم كان ابن حجر دقيقاً وعظيماً في زيادة ايضاحه بايضاح معنى
 الاتصال عند المحدثين وعند البخارى فبين بذلك شرط البخارى في
 « المعنعن » وما في حكمه من اشتراط اللقاء مع المعاصرة والثقة وعدم
 التدليس فقال « الاتصال عندهم أن يعبر كل من الرواة في روايته عن
 شيخه بصيغة صريحة في السماع منه كسمعت وحدثني وأخبرني أو
 ظاهرة في ذلك « كعن وان غلانا قال » •

ثم بين أن شرط حمل المعنعن (القسم الثانى من الصيغ عند
 البخارى) أن يكون الراوى قد ثبت له لقاء من حدث عنه ولو مرة واحدة
 مع اشتراط أن يكون ثقة فإذا ثبت ذلك عنه حمات عنده « عنعنته » على
 السماع وسبب ذلك أن تقول اذا لم يثبت لقاؤه له وانما عرفنا أنه عاصره
 احتمل أن تكون روايته عنه عن طريق الارسال لما عرف من عادة كثير ممن
 لم يوصف بتدليس أنه يرسل واذا لم يترجح أحد الاحتمالين على الآخر
 لم يحسن الحمل على أحدهما •

فإن قيل فلم يطرد ذلك في جميع عنعنته (مع اللقاء وعدمه)
 فالجواب أن ذلك يخالف فرض المسألة لأنها مفروضة في غير المدلس ولو
 كان بعد أن ثبت لقاؤه لشيخه قد حدث عنه بالعننة بما لم يسمعه لكان

(١) التكت لابن حجر وهو مخنى الفصح بخلوط بكنه الارمر ودل فيه الى كتاب الإبهان
 والعلم وتد الفه بعد كتاب فتح البارى •

بذلك مدلسا والفرض أنه غير مدلس فكان الاتصال ظاهرا في ذلك وعرف
من هذا أن شرط البخارى في الاتصال أقوى وأتقن حيث اشترط عنده
التتقى والمعاصرة بخلاف مسلم فقد اكتفى بالمعاصرة » •

وطريق ثبوت اللقاء عند البخارى (١) •

يدور عنده على التصريح بالسماع في اسناد فاذا ثبت السماع عنده
في موضع يحكم به في سائر المواضع •

ويبدع ابن حجر في تفصيله الدقيق واضعا أمام الباحث منسابع
الكلام ومصادره ومراكزه قائلا :

وكذا عرفنا بالاستقراء في تصرفه في الرجال الذين يخرج عنهم أنه
ينتقى أكثرهم صحبة لشيخه وأعرفهم بحديثه وان خرج من حديث من
لا يكون بهذه الصفة فانما يخرج في المتابعات وحيث يقوم له قرينه بأن
ذلك مما ضبطه هذا الراوى ، بمجموع ذلك وصفه الأئمة قديما وحديثا
بأنه أصح الكتب المصنفة •

(١) نقلا عن صاحب فيض البارى ج ١ ص ٣٥ •

قول الحافظ زين الدين أبي عبد الله محمد بن موسى الحازمي

المتوفى سنة ٥٨٤ هـ في منهج البخاري في شرطه

وقول الحازمي في غاية الدقة والوضوح بل هو أصل لقول ابن حجر واستنباطه ، ويكاد يكون متفقاً معه في المعنى لذا فقد ارتضاه ابن حجر مقتضياً به وموضحاً له في مقدمته حتى نقله الكثير على أنه رأى ابن حجر كما فعل الاستاذ علي الجندی واخوانه في كتاب « أطوار الثقافة والفكر في ظلال الحرية والاسلام » وقد تعرض الحازمي في الكلام على شرط البخاري الى مقارنة بينه وبين الأئمة ، وضع البخاري في قمته الا أن الجديد العظيم في كلام ابن حجر انه أوقف الباحث على منابع استنباط الشروط ومراكزها من كلام البخاري نفسه مما استنبط من كلامه في تسميته للكتاب وما استنتجه من كلامه مباشرة ومن تعريفه الصحيح وما أخذه من كلام البخاري مباشرة من شرطه في الاتصال بالعنونة ثم ما استنبطه منبها عليه بأنه من تصرفه في رجاله ووضع انيقط على الجروف كما يقولون ولم يسبق بهذا النسق • ومع ذلك فكلام الحازمي هو أصل وسابق في فضله ورأى ابن حجر معبر عنه لذا سأذكره مع تعليقات ابن حجر مستعينا بتصرفه ، مع الرجوع الى الاصل والمحافظة على كيانه والجدير بالذكر أن كلام الحازمي وابن حجر لم يرد عليهما اعتراض فكان كلامهما مسلماً به عند العلماء فحسن تقديمه وتصدير الكلام به وتأخير ما اعترض عليه من رأى بن طاهر المقدسي والحاكم •

قال الحافظ أبو عبد الله (١) الحازمي رحمه الله ما حاصله (٢) ان شرط الصحيح أن يكون اسناده متصلًا وأن يكون رواية مسلماً صادقاً غير

(١) في شروط الأئمة أبو عبد الله وعلق الكوثري بقوله هكذا في الاصل وفي الذهبي رعيه أبو بكر وهو المشهور •

(٢) المقدمة للفتح جزء ١ ص ٦ شروط الأئمة ص ٢٩ للحازمي بتصرف •

مدلس ولا مختلط متصفا بصفات العدالة ضابطا متحفظا سليم انذهن قليل الوهم سليم الاعتقاد .

قال ومذهب من يخرج الصحيح أن يعتبر حال الراوى المعدل في مشايخه العدول فبعضهم حديثه صحيح ثابت وبعضه حديثه مدخول قال : وهذا باب فيه غموض وطريق ايضاحه معرفة طبقات الرواة عن راوى الاصل ومراتب مداركهم فلنوضح ذلك بمثال *
وهو ان تعلم أن أصحاب الزهري مثلا على خمس طبقات ولكل طبقة منها مزية على التى تليها فمن كان فى الطبقة الأولى فهو الغاية فى الصحة وهو مقصد البخارى *

والطبقة الأولى :

هى التى جمعت مزية الحفظ والاتقان وطول الملازمة لشيخها الزهري حتى كان منهم من لازمه فى السفر وفى الحضر مثل مالك وابن عيينة وعبيد الله بن عمر ويونس وعقيل الايليين وشعيب بن أبى حمزة وجماعة
ســـــــــــــــــواهم

والطبقة الثانية :

شاركت الأولى فى التثبت الا أنها لم تلازم الزهري الا مدة يسيرة فلم تمارس حديثه فكانوا فى الانتقان دون الأولى وهم شرط ســــــــــــــــام وذلك مثل عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي واليث بن سعد والنعمان ابن راشد وعبد الرحمن بن خالد بن مسافر وغيرهم زاد ابن حجر وابن أبى ذئب وأكمل الحازمي الطبقات الى خمسة هى شروط لغير البخارى قال وقد يخرج البخارى أحيانا عن أعيان الطبقة الثانية ومسلم عن أعيان الطبقة الثالثة وذلك لأسباب تقتضيه وقد وضع الحازمي شرط البخارى فى قمة هذه السلسلة من شروط الأئمة قال فأما الطبقة الأولى فهم شرط البخارى وقد يخرج من حديث أهل الطبقة الثانية ما يعتمد منه من غير

استيعاب وأما مسلم فيخرج أحاديث الطبقتين على سبيل الاستيعاب
ويخرج أحاديث أهل الطبقة الثانية على النحو الذي يصنعه البخاري في
الثانية والمراد من ذلك التنزل إلى الدرجة الأخيرة عند الأعواز •

قال ابن حجر في المقدمة معلقا على هذا قلت وأكثر ما يخرج البخاري
حديث الطبقة الثانية تعليقا وربما أخرج اليسير من حديث الطبقة الثالثة
تعليقا أيضا •

قول الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي

المتوفى سنة ٥٠٧ هجرية ومناقشته

قال في شروط الأئمة الستة : أعلم أن البخاري ومسلما ومن بعدهما من الأئمة لم ينقل عن واحد منهم أنه قال شرطت أن أخرج في كتابي ما يكون على الشرط الفلاني * وإنما يعرف ذلك من سير كتبهم فيعلم بذلك شرط كل رجل منهم (١) يعني (٢) غير ما هو معروف من الخلاف بين الشيوخ في الاكتفاء بثبوت المعاصرة بين الراوي وشيخه بعد كونهما ثقتين كما هو عند مسلم أو اشتراط ثبوت اللقاء بينهما بعد كونهما ثقتين

كما هو عند البخاري *

قال ابن طاهر : وشرط البخاري ومسلم أن يخرجوا الحديث المتفق على ثقة نقلته الى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين اثقتين ويكون اسناده متصلا غير مقطوع فان كان للصحابي راويان فصاعدا فحسن وان لم يكن له الا راو واحد فاذا صح الى ذلك الراوي أخرجاه *

الا أن مسلما أخرج أحاديث أقوام كحماد بن سلمة وسهيل بن أبي صالح وداود بن أبي هند وأبي الزبير الأسدي والعلاء بن عبد الرحمن ترك البخاري حديثهم لشبهة وقعت في نفسه وإنما أخرج مسلم حديثهم لأن هذه الشبهة بالنسبة الى تلك الأحاديث خاصة ذهبت في نظره وقد اعترض عليه الحافظ زين الدين العراقي في شرح ألفيته في علوم الحديث عند ذكر مراتب الصحيح وكان اعتراضه على قوله المجمع أو المتفق على ثقة نقلته الى الصحابي المشهور من غير خلاف بين اثقتين فقال وليس ما قاله ابن طاهر بجيد لأن النسائي ضعف جماعة أخرج لهم الشيوخ

(١) شروط الأئمة للمقدسي *

(٢) تعليقات الكوثري على شروط الأئمة للحارس *

أو أحدهما (١) وأجيب على ما في التدريب بأنهما أخرجنا من أجمع على ثقته الى حين تصنيفهما ولا يقدر في ذلك تضعيف النسائي بعد وجود الكتابين *

وقال الحافظ بن حجر معقبا على ذلك

تصنيف النسائي ان كان باجتهاده أو نقله عن معاصريه فالجواب ذلك وان نقله عن متقدم فلا ، ثم قال ويمكن أن يجاب بأن ما قاله ابن طاهر هو الاصل الذي بنى عليه أمرهما وقد يخرجان عنه لرجح يقوم مقامه فسلم بذلك كلام ابن طاهر فقد رد ابن حجر بثقيق الجواب السابق فنقضه ثم أجاب هو اجابة معقولة ويمكن أن يناقش رده على الجواب السابق في موضع الرد وهو قوله وان نقله عن متقدم فلا ، فالقول بأن نقله ، لو كان متقدما لبينه النسائي ولو غرض أنه رواه عن متقدم ولم يبينه فمن الجائز أن يكون نقلا عن غير الاثبات والاتفاق انما هو بالنسبة للاثبات الثقات فسلم التعريف *

(١) فتح المغيـث ص ١ س ٤ والتدريب ص ٦ وشروط الائمة الستة للمدس تعليقات الكوثري *

**قول الحافظ الحاكم أبي عبد الله النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هـ
ومناقشته :**

قال الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه
النيسابوري الدرجة الأولى من الصحيح اختيار البخاري ومسلم وهو أن
يروى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم صحابي زائل عنه اسم
الجهالة بأن يروى عنه تابعيان عدلان ثم يروى عن التابعي المشهور بالرواية
عن الصحابي وأنه راويان ثقتان ثم يرويه عن اتباع التابعين حافظ متقن له
رواة من الطبقة الرابعة ثم يكون شيخ البخاري أو مسلم حافظا مشهورا
بالعدانة في روايته ثم يتداوله أهل الحديث بالقبول كالشهادة على
الشهادة (١) وقد اعترض عليه أبو الفضل المقدسي قال إن البخاري
ومسلما لم يشترطا هذا الشرط ولا نقل عن واحد منهما أنه قال ذلك
والحاكم قدر هذا التقدير وشرط لهما هذا الشرط عنى ما ظن ولعمري
أنه شرط حسن لو كان موجودا في كتابيهما ، إلا أنا وجدنا هذه القاعدة
التي أسسها الحاكم منتقضة في الكتابين جميعا .

اعتراض الحازمي

واعترض عليه أيضا أبو بكر الحزمي بما في الصحيح من الغرائب
التي تفرد بها بعض الرواة فقد أخرجنا في كتابيهما أحاديث جماعة من
الصحابة ليس لهم إلا راو واحد وأحاديث لا تعرف إلا من جهة
واحدة من ذلك حديث مرداس الأسلمي « ويذهب الصالحون الأول
فالأول » الحديث ، هذا الحديث تفرد به البخاري بأخراجه ولم يرو
عنه غير قيس بن أبي حازم رواه البخاري عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة

(١) سير أعلام النبلاء ج ٨ مخطوط وشروط الأئمة الستة للمقدس ص ١ .

عن بيان عن قيس عن مرداس. وليس مرداس في كتاب البخاري سوى هذا الحديث (١) *

وقال الحازمي في شروط الأئمة :

ولا أعلم أحدا من فرق الاسلام القائلين بقبول خبر الواحد اعتبر العدد سوى متأخرى المعتزلة فانهم قاسوا الرواية على الشهادة فاعتبروا في الرواية ما اعتبروه في الشهادة وما مغذى هؤلاء الا تعطيل الاحكام كما قال أبو حاتم بن حبان وأجاب عن الحاكم أبو علي الغساني (٢) ونقله عياض عنه بأنه ليس المراد أن يكون كل خبر روياه يجتمع فيه راويان عن صحابية ثم تابعة فمن بعده فان ذلك يعز وجوده *

وانما المراد في كلام الحاكم أن هذا الصحابي وهذا التابعي قد روى عنه رجلان خرج بهما عن حد الجهالة *

ولم يرتض هذا القول أبو عبد الله بن المواق فقال ما حمل الغساني عليه كلام الحاكم وتبعه عليه عياض ليس بالبين ولا أعلم أحدا روى عنهما أنهما أخرجا بذلك ولا وجود له في كتابيهما ولا خارجا عنهما فان كان قائل ذلك عرفه من مذهبيهما بانتصفح لتصرفهما في كتابيهما فلم يصب لان الامر بين في كتابيهما وان كان أخذه من كون ذلك أكثريا في كتابيهما فلا دليل فيه على كونهما اشترطاه ولعل وجود ذلك أكثريا انما هو لان من روى عنه أكثر من واحد أكثر ممن لم يرو عنه الا واحد في الرواه مطلقا لا بالنسبة الى من خرج له في الصحيحين وليس من الانصاف الزامهما هذا الشرط من غير أن يثبت عنهما ذلك مع وجود اخلاهما به لانهما اذا صح عنهما اشتراط ذلك كان في اخلاهما به درك عليهما وقال الحافظ ابن حجر وهذا كلام مقبول وبحث قوى *

وقال في مقدمته ما ذكره الحاكم وان كان منتقضا في بعض الصحابة الذين أخرج لهم الا أنه معتبر في حق من بعده فليس في الكتاب حديث أصل من رواية من ليس له الا راو واحد فقط *

(١) شروط الأئمة الخمسة ص ٢٢ *

(٢) تدريب الراوي ٦٥ تعليقات الشيخ عبد الوهاب *

على أن ابن حجر شك في نسبة شرط التعدد للحاكم وعزاه أنه ربما يكون قد اشتبه فهمه على الحازمي من كلام الحاكم ، قال وكان الحازمي فهم ذلك من قول الحاكم كالشهادة لأن الشهادة يشترط فيها التعدد * وأجيب باحتمال أن يريد بالتشبيه بعض الوجوه لا كلها كالاتصال واللقاء وغيرها ثم أوضح ابن حجر غلط من نسب هذا إلى الحاكم في كتاب الفتح (١) *

فبين أن هذا في الواقع ليس شرطا للشيخين إنما هو شرط لبعض العلماء كأبي على الجبائي بالنظر إلى الصحيح عامة ونقل عن المازري. نسبته إلى أبي على الجبائي وبعض متأخري المعتزلة *

واليه يؤول الحاكم في الكتاب (٢) حيث يقول وصفة الحديث الصحيح أن يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابي زائل عنه اسم الجهالة بأن يرويه عنه تابعيان عدلان ثم يتداوله أهل الحديث بالقبول إلى وقتنا هذا كالشهادة على الشهادة فعمم في علوم الحديث شرط الصحيح من حيث هو وخصص ذلك في المدخل بشرط الشيخين ويبدو أنه شرط عام وليس خاصا بالصحيحين *

قال البيهقي في كتابه الزكاة من سنيته عند ذكر حديث بهز عن أبيه عن جده ، فأما البخاري ومسلم فانهما لم يخرجاه جريا على عادتهما في أن الصحابي أو التابعي إذا لم يكن له إلا راو واحد لم يخرجاه حديثه في الصحيحين *

قال الكوثري ويرد على هؤلاء بآخر حديث في البخاري « كلمتان خفيفتان » فهو فرد باعتبار المخرج كما نص عليه البرهان البقاعي فإن أبا هريرة تفرد به عن النبي صلى الله عليه وسلم وتفرد به عنه أبو زرعة وتفرد عنه عمارة بن القعقاع وتفرد به عنه محمد بن فضال وعنه أنثى فرواه عنه أشكاب « الحسين بن إبراهيم العامري » (٣) وغيره *

(١) الحافظ بن حجر في شرح نخبة الفكر ص ٥ والتدريب للسيوطي ص ٦٦ *

(٢) تعليقات الكوثري على شروط الأئمة الخمسة ص ١٠ ومعرفة علوم الحديث ص ٦٢ *

(٣) تعليقات الكوثري على شروط الأئمة الخمسة ص ٢٠ *

وقال صاحب فيض الباري محمد أنور الكشميري الديوبندي (١)
أقول قول الحاكم أكثرى لا كلى ولعله أراد منه أن يصير الراوى
معروفا فلو روى واحد جليل القدر تكفى *

وهو تخريج وجيه من الكشميري ورأى الحاكم كما تبين متعثر الخطأ
ورد عليه الكثير من الاعتراضات والاجابة عنها وكل الاعتراضات انما هى
منصبة على ما نسب اليه من قوله اشتراط تعدد الرواه وماعدا ذلك من
اشتراط اعدالة والثقة والحفظ فمسلم له ومتفق عليه ومع ذلك فله
فضل السبق *

وقد تبين من استعراض الاقوال فى منهج البخارى فى رواية حديث
جامعه الصحيح .

ان الذى قد وفاه وأجاد فيه من غير أن يرد اعتراض عليه لدقته انما
هو ابن حجر والحازمى وهما غير مختلفين فى المعنى كما أشرت غير ان
ابن حجر وان أخذ عن الحازمى الا أنه اكسب الباحث ثقة فى تحقق
استنباط هذه الشروط ونسبتها للبخارى حيث اوقف اباحث على
مصادرها ومنابعها من كلام أبى عبد الله البخارى نفسه وتصرفاته
محددا مركز كل قول اشتراطه وجاء به *

فهو فى الواقع مكمل وموضح وموثق لكلام الحازمى فرأيهما
كرأى واحد متكامل فى وضوحه وثباته وقوته *

وبذلك أصبحت نسبة هذه الشروط الى منهج البخارى فى روايته
أمرا واضحا لا مرية فيه *

هذا وقد روى البخارى غير ما ذكره ابن حجر فى منهجه فى الرواية
فى صحيحه ، أنه لم يذكر فيه حديثا الا بعد أن تيقن من صحته (وقال
البخارى وما أدخلت فى الصحيح حديثا الا بعد أن استخرت الله تعالى
وصليت ركعتين وتيقنت من صحته (٢) وخرجه من ستمائة ألف حديث
وجعله حجة فيما بينه وبين الله (٣) *

(١) فيض الباري ج ١ ص ٣٦ .

(٢) المقدمة ج ٢ ص ٢٠٢ .

(٣) شرح النووى ص ٧ .

وقال وما أدخلت في الجامع الا ما صح وما تركته من الصحيح لأجل الطول^(١) وقد صرح بأنه يروى عن الثقات بقوله كتب عن ألف ثقة من العلماء وزيادة وليس عندي حديث لا أذكر اسناده .

وقد صرح ببيان منهجه في كتابة الحديث عامة فضلاً عن منهجه في كتابه الصحيح الذي هو في الدرجة الاولى من مؤلفاته بما يوقف الباحث على مدى اهتمامه البالغ ودقته في حرصه على معرفة الرواة وكيفية عملهم وحال الرواة العدول مع مشايخهم في طريقة فريدة مبتكرة يقول البخاري (لم يكن كتابتي الحديث كما كتب هؤلاء) كنت اذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته وحمل الحديث ان كان رجلاً فهما (فهو يصرح بالضبط المعبر عنه بضبط الصدر) .

فان لم يكن سألته أن يخرج الى أصله ونسخته (فهو هنا يصرح بالضبط المعبر عنه بضبط الكتاب) ويقول وأما الآخرون فلا يبالون بما يكتبون وكيف يكتبون^(٢) .

ولقد كان البخاري دقيقاً في موازينه وحكمه .

يقول ابن حزم أن البخاري اذا أنكر السماع لا يقول ان فلانا لم يسمع من فلان بل يقول لم يثبت سماع فلان من فلان والناس لا يميزون بينهما فيحكون عنه أنه قائل بعدم سماعه منه مع أنه ينكر اثبوت عنه دون السماع في نفس الامر وهذا يدل على أن أمر السماع عنده انما يحكم به نظراً لثبوت اسناد عنده^(٣) .

وبلغت به الدقة الى ترك الرواية عن كل راو فيه نظر من المحدثين. مهما كان عنده من كثرة في الحديث ولا يكتفى بذلك بل له نظرة فيمن سلم في نظرهم وهو بمسلكه هذا لا يكتفى بتوثيق الثقات حتى بطل من لهذا التوثيق بنفسه .

(١) سير اعلام النبلاء مخطوط بدار الكتب الجزء الثاني - ٨ هـ ٢٣٨ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٥ .

(٣) فيض الباري .

وتبلغ الثقة ذروتها في مقدرة البخارى على تنفيذ منهجه في رواية الجامع الصحيح وغيره ومدى معرفته للرواة واحوالهم بدراسة مؤلفاته التي سأعقد لها فصلا مستقلا •

وحسبه في ذلك كتاب انتاريخ الكبير الذي ألفه قبل أن يبدأ في جامع الصحيح •

قال فيه أبو أحمد الحاكم الكبير المتوفى سنة ٣٧٨ •

« وكتاب محمد بن اسماعيل في التاريخ كتاب لم يسبق انيه ومن ألف بعده شيئا في التاريخ أو الاسماء أو الكنى لم يستغن عنه فمنهم من نسبته الى نفسه مثل أبى زرعه وأبى حاتم ومسلم ومنهم من حاكاه عنه فالله يرحمه فانه الذى اصل الاصول » (١) •

موضع الجامع الصحيح

وموضوع الجامع الصحيح هو الحديث الصحيح المجرد وقد استبان موضوعه هذا في ضوء ما قيل في شرطه أنه اشترط فيه الصحة وأنه لا يدخل فيه الا حديثا صحيحا •

قال ابن الصلاح والنووى وابن حجر والنص له : وهذا أصل موضوعه وهو مستفاد من تسميته إياه الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأيامه ، وقد تقدم المراد بالمسند كما بين ابن حجر بأن موضوعه الاصلى تخريج الأحاديث التي اتصل اسنادها ببعض الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم سواء أكان قولا أو فعلا أو تقريرا وأن ما وقع في الكتاب مما يخالف ذلك انما وقع فيه تبعا عرضا لا أصلا ولا مقصودا (كالمعلقات والموقوفات) ويقول ابن الصلاح ويرجع الى هذا الخصوص قول البخارى : ما أدخلت في الجامع الا ما صح ، وكذلك يطلق قول الحافظ أبى نصر الوايلى

(١) الطبقات الكبرى لابن السبكي ج ٢ ص ١٠ •

يقول محمد أبى حاتم سئل محمد بن اسماعيل عن خبر حديث فقال يا فلان أترانى أدنس ؟ تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر وتركت مثله أو أكثر لغيره لى فى نظر (١) وهذا صريح فى أنه لا يروى عن المدلس ولا عن اتصف بأفات الجرح عامه ويصرح البخارى ايضا بأنه لا يروى الا عن سليم الاعتقاد يقول كتبت عن ألف وثمانين رجلا ليس فيهم الا صاحب حديث كلهم يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص *

فمن هذه التصريحات فضلا عما نقل من كلام ابن حجر الذى وفى المقام حقه يمكن أن يطمئن الباحث بأن البخارى رسم منهجه وشرطه فى رواية صحيحة خاصة وهو الدرجة الاولى كما أنه رسمه فى كل مروياته عامة مثل الأدب المفرد وغيره فهى صحيحة أيضا الا أن كتابة الجامع الصحيح كانت له المكانة الأولى فألزم نفسه فيه بأعلى مراتب الصحة *

لذا فقد اشترط ثبوت اللقاء (السماع) بخلاف مسلم فاكتمفى فى صحيحه بالمعاصرة ومع هذا فلم يخرج ذلك كتاب مسلم عن الصحة كما أن هذا لا يخرج أحاديث البخارى فى غير الصحيح عن الصحة وقد بين الكشميرى بأن خلاف البخارى مع غيره فى اشتراط السماع انما هو فى انجام الصحيح خاصة لا فى الصحيح لذاته * قال وكيفمبا كان شرطه هذا انما هو فى كتابه خاصة لا للصحيح مطلقا فلا يخرج حديثا فى صحيحه الا بعد ثبوت السماع فيه : وان كان صحيحا فى نفسه عنده أيضا فمخالفته للجماهير ليس فى نفس تعريف الصحيح بل هو شرط التزم به للصحيح فى كتابه فهذا تشديد فيه على نفسه فى هذا الكتاب فقط ولكل ذى همة وعزم أن يشدد على نفسه بما شاء ولا مساغ لاحد للطعن فيه ذق هذا فاسترح عما يختلف فى الصدور والله تعالى ولى الامور (٢) *

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٥ *

(٢) مقدمة الفيض ج ١ ص ٣٥ *

السجزي ، أجمع أهل العلم الفقهاء وغيرهم على أن رجلا لو حلف بالطلاق أن جميع ما في كتاب البخاري مما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قد صح عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاله لاشك فيه أنه لا يحنث والمرأة بحالها في حبالته ، وكذلك ما ذكره أبو عبد الله الحميدي في كتابه الجمع بين الصحيحين من قوله : لم نجد من الأئمة الماضين رضي الله عنهم أجمعين من أفصح في جمع ما جمعه بالصحة * إلا هذين الإمامين (الشيخين) فانما المراد بكل ذلك مقاصد الكتاب وموضوعه ومتون الأبواب دون التراجم ونحوها وهذا بالنسبة الى شرط الاتصال بالصحة فالقصد من موضوع الجامع انما هو الصحيح وليس معنى ذلك أن كله كذلك فقد ذكر تبعا واستثناسا المعلقات والموقوفات فلا يخرجها ذلك عن أصل موضوعه *

مكانة الموطأ من الجامع الصحيح

كتاب الموطأ للإمام مالك أمام دار الهجرة ومهبط الوحي أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي إمام الحديث والفقه معا ولد بالمدينة حوالى سنة ٩٣ هـ وتوفي سنة ١٧٩ هـ استغرق في تأليفه أربعين سنة قيل في سبب تسميته بالموطأ لأنه تجنب فيه شذائد ابن عمرو ورخص ابن عباس ووطاة للناس كما أشار عليه المنصور فسماه الموطأ وذكر السيوطي في سبب تسميته مما روى عن مالك أنه قال عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة فكلهم واطأنى عليه فسميته الموطأ *

والإمام مالك بتأليفه الموطأ أسس منهجا في جمع الحديث وتأليفه وخطا بتأليف خطوة فعالة منهجية لها أثرها في كيان تصنيف الحديث فقد كان التدوين قبل مالك غير محبوب على أبواب العلم الجامعة ، كما فعل محمد بن مسلم بن شهاب الزهري سنة ١٢٤ هـ في بدء التدوين الرسمي بأمر عمر بن عبد العزيز فجمع بغير تبويب على أبواب العلم ثم نهض التأليف في الجيل الذي يلي الزهري فكان أول من ألف الحديث ورتبه على الأبواب مالك بن أنس بالمدينة وابن جريح بمكة ومن جرى على نهجهم *

يقول ابن حجر والعراقي وكان هؤلاء في عصر واحد فلا يدرى أيهم أسبق وذلك في سنة بضع وأربعين ومائة ويقول صاحب مفتاح السنة وكل هؤلاء من أهل القرن الثاني وكان جمعهم للحديث مختلطا بأقوال الصحابة وغناوى التابعين وأشهر الكتب المؤلفة في المائة الثانية وأسيرها ذكرا وأبعدها صيتا وأجلها قبولاً الموطأ لمالك بن أنس أمام دار الهجرة *

ويقول ولي الله الدهلوى :

أن المدينة المنورة كانت في عهد الامام مالك ومن قبله مرجع الفضلاء ومحط رجال العلماء ولهذا كان ينبغ عن عهد النبى صلى الله عليه وسلم علماء الفتيا الذين كانوا قبة العالم فورثهم جميعا الامام مالك واطلع باعباء هذا الامر الجليل فأخذ منهم العلم تداولا كما يأخذ أحدنا من الآخر شيئا ملموسا لا مجال لشك فيه أخذا وعطاء ، وأدرج في كتاب الموطأ ما حفظ عنهم وصار كتابه مرجعا لطوائف العلماء من المحدثين والفتهاء ♦

درجة الموطأ والصحيحين

ثم بين ولي الله الدهلوى مكانة الموطأ والصحيحين من كتب السنة فيضعه في درجة واحدة مع صحيح البخارى ومسلم وهى الدرجة الاولى في الصحة في كتب الحديث وفي ذلك يقول ولي الله المحدث الثقفي عبد الرحيم الدهلوى (١) وطنا العمري نسبنا وكتب الحديث على طبقات وهى باعتبار الصحة والشهرة على أربع طبقات ♦♦ فالطبقة الاولى منحصرة في ثلاثة كتب الموطأ وصحيح البخارى وصحيح مسلم وقال الشافعى أصح الكتب بعد كتاب الله موطأ مالك واتفق اهل الحديث على أن جميع ما فيه صحيح على رأى مالك ومن وافقه أما على رأى غيره فليس فيه مرسل ولا منقطع الا وقد اتصل السند به من طرق أخرى ، فلا جرم أنها صحيحة من هذا الوجه وقد صنف في زمان مالك موطآت كثيرة في تخريج أحاديثه ووصل منقطعه مثل كتاب ابن أبى ذئب وابن عيينه والثورى ومعر وغيرهم ممن شارك مالك في الشيوخ وقد رواه عن مالك بنغير واسطة أكثر من ألف رجل وقد ضرب الناس فيه أكباد الابل الى مالك من أقاصى البلاد وتحقق قول النبى صلى الله عليه وسلم في حديثه (يوشك أن يضرب الناس أكباد الابل فيطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة على ما قاله ابن عيينه وعبد الرازق وناهيك بهما) ♦

(١) حجة الله البالغة ج ١ ص ١٣٢ لولى الله الدهلوى باب طبقة كتب الحديث مراجعة بعض فضلاء الهند المطبعة المنيرية بالقاهرة .

أثر الموطأ في صحيح البخارى

وباقى كتب أئمة الحديث

يقول الدهلوى أن الكتب المصنفة في السنن كصحيح مسلم وسنن أبى داود وما يتعلق بالفقه من صحيح البخارى وجامع الترمذى مستخرجات على الموطأ تحوم حومه وتروم رومه مطمع نظرهم فيها ونزل ما أرسله ورفع ما أوقفه واستدرك ما غابته وذكر المتابعات والشواهد لما أسنده وأحاطه بجوانب الكلام بذكر ما روى خلافه ، ويعلق الشيخ محمد الشنقيطى على هذا القول بقوله : وهو كلام فى غاية الانصاف فله در من لقبه بولى الله ولم أقل هذا تعصيا لكتاب مالك ولله الحمد بل لاطلاعى على الحقيقة وتتبعى لروايته والوقوف على أعيان حديثه بأسانيدها فى الكتب الستة وغيرها فى كتب الأحاديث الموجودة بأيدي الناس وممن هو ضرورى عند المحيدين أن مشايخ أصحاب الكتب الستة ومن عاصرهم كالامام أحمد فى مسنده أغلبهم تلامذة الامام مالك الذين روى عنه الموطأ بروايات عديدة قبل أن تخلو واحدة عن زيادة تنفرد بها ولم يتركوا شيئا من أحاديث الموطأ بل أخرجوها فى مصنفاتهم ووصلوا كثيرا من مراسلاته ومنقطعاته وموقوفاته وبذلك يتضح ما نقله ولى الله (١) هـ .

وبالنظر الى كلام الدهلوى يجد الباحث أن الدهلوى منصف لغاية أنصف حماة الاسلام فأعطى الموطأ مكانته العالية السامقة وأعطى الصحيحين مكانتهما العالية السامقة وجعلهما فى طبقة واحدة من الصحة وبالنسبة لى كلامه فى أثر كتاب مالك أيضا بالنسبة للصحيحين وغيرهما

(١) دليل السالك الى موطا الامام مالك مقدمه موطأ مالك للزرقانى .

كان منصفاً ومدققاً ومتحرياً في قوله فكما بين الاستفادة من موطأ مالك ، بين العمل الجاد للمستفيد من الموطأ بما يثبت المقدرة العالية والشخصية القوية لمن أخذ من أصحاب الكتب شيئاً من موطأ مالك عامة وما أخذه البخاري خاصة مما يتعلق بأبواب الفقه حيث بين أن عملهم في هذا الجزء المأخوذ هو وصل ما أرسله ورفع ما أوقفه واستدرك ما غاته وذكر المتابعات والشواهد لما أسنده وأحاطه جوانب الكلام بذكر ما روى خلافه ، فمن يستطيع أن يصل المرسل ويرفع الموقوف ويستدرك على ما فات ويذكر المتابعات والشواهد ويحيط بجوانب الكلام غير الملم بالسنة ورجالها وغنونها المختلفة لأعمالهم متممة لأعماله الإمام مالك ، ويرى ابن الصلاح وابن حجر العراقي *

(أ) تقديم صحيح البخاري ومسلم على موطأ مالك *

(ب) ورتبوا على ذلك أن صحيح البخاري أول من صنف في الصحيح قال ابن الصلاح (أ) أول من صنف في الصحيح أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي مولاهم وتلاه مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري من أنفسهم ومسلم مع أنه أخذ عن البخاري واستفاد منه يشاركة في أكثر شيوخه وكتابهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز ، وأما ما روينا عن الشافعي رضي الله عنه من أنه قال ما أعلم في الأرض كتاباً في العلم أكثر صواباً من موطأ مالك وروى بلفظ أصح كما في مقدمة الفتح فانما قال ذلك قبل وجود كتابي البخاري ومسلم ، ثم إن كتاب البخاري أصح الكتابين صحيحاً وأكثرهما فوائد * ووافق ابن حجر ابن الصلاح ونقل هذا النص في مقدمة الفتح *

وأورد اعتراض بعض الأئمة اطلاق أحقية كتاب البخاري على مالك ورد عليه قال في المقدمة قال وقد استشكل بعض الأئمة

(١) متدبه ابن الصلاح (علوم الحديث وشرحه التقييد والاضاح في النكت على مقدمة ابن الصلاح للعراقي) *

اطلاقاً أضحى كتاب البخارى على كتاب مالك مع اشتراكهما فى اشتراط الصحة والمبالغة فى التحرى والتثبت وكون البخارى أكثر حديثاً لا يلزم منه أفضلية الصحة قال والجواب عن ذلك أن ذلك محمول على أصل اشتراك الصحة فما لك لا يرى الانقطاع فى الاسناد قادحا لذلك يخرج المراسيل والمنقطعات والبلاغات فى أصل موضوع كتابه والبخارى يرى الانقطاع عليه فلا يخرج ما هذا سبيله الا فى غير أصل موضوع كتابه كالتعليقات والتراجم ولا شك أن المنقطع وإن كان عند قوم من قبيل ما يحتاج به فالمتصل أقوى منه إذا اشترك كل من رواتهما فى العدالة والحفظ ، فبان بذلك شفوفاً كتاب البخارى ، وعلم أن الشافعى إنما أطلق على الموطأ أفضلية الصحة بالنسبة الى الجوامع الموجودة فى زمنه كجامع سفيان والثورى ومصنف حماد بن مسلمة وغير ذلك وهو تفضيل مسلم لا نزاع فيه ٥٠ هـ .

ويلاحظ أن كلام ابن حجر هذا إنما يفيد فى دعوى شدة البخارى فى الصحة على الموطأ ولكن لا يفيد أن الموطأ غير صحيح حتى يكون أول من صنف فى الصحيح الامام البخارى كما نقله عن ابن الصلاح ، وقال مغلطاي إنما مثل ذلك موجود فى كتاب البخارى وقال شيخ الاسلام ابن حجر أيضاً على ما فى التدريب كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما لا على الشرط الذى تقدم التعريف به ، قال والفرق بين ما فيه من المنقطع وبين ما فى البخارى أن الذى فى الموطأ مسموع لمالك غالباً وهو حجة عنده والذى فى البخارى قد حذف اسناده عمداً لقصد التخفيف ان كان ذكره فى موضع آخر موصولاً أو لقصد التنويع ان كان على غير شرط ليخرجه عن موضوع كتابه وإنما يذكر ما يذكر من ذلك تنبيهاً واستشهاداً وتفسيراً لبعض الآيات وغير ذلك قال السيوطى فظهر بهذا أن الذى فى البخارى لا يخرج عن كونه جرداً منه الصحيح بخلاف الموطأ وقد سجل الشيخ السنقيطى دفاعاً وجيهاً للسيوطى (١)

(١) منهج الحديث قسم المصطلح للاستاذ فضيلة الشيخ السباحى ص ٣٢ .

بتعليق علي ما قال ابن حجر وكما ذكر في مقدمة شرح الاسيوطي للموطأ قال الاسيوطي ان ما في الموطأ من المراسيل مع كونها حجة عنده بلا شرط وعند من وافقه من الأئمة على الاحتجاج بالمرسل فهي أيضا حجة عندنا لأن المرسل عندنا حجة اذا اعتضد ، وما من مرسل في الموطأ الا وله عاضد أو عواضد . فالصواب اطلاق أن الموطأ صحيح لا يستثنى منه وقد علق الشيخ عبد الغنى على كلام السيوطي بأن البخاري جرد في كتابه ما جمع على أنه صحيح بذاته غير مفتقر الى تقوية غيره . هـ وأنت ترى أن هذا انما يفيد في دعوى أصحية كتاب البخاري على كتاب مالك ولا يفيد عدم اصحية كتاب مالك حتى يكون كتاب البخاري هو أول صحيح ألف ونحى الحافظ العراقي منهج ابن حجر وقال بأن مالكا لم يفرد الصحيح وقال ان من بلاغاته أحاديث لا تعرف كما ذكره ابن عبد البر فلم يفرد الصحيح اذن ، وأجاب الجلال السيوطي بأنه ما من مرسل في الموطأ الا وله عاضد أو عواضد وقد صنف ابن عبد البر كتابا في وصل ما في الموطأ من المرسل والمنقطع والمعضل قال وما فيه من قوله بلغنى ومن قوله عن الثقة عنده مما لم يكن يسنده واحد وستون حديثا كلها مسندة من طريق مالك الا أربعة لا تعرف .

وقد نقل الشيخ محمد حبيب الشنقيطي في كتابه دليل السالك الى موطأ مالك أن ابن الصلاح وصل هذه الاربعة قال :

وقد رأيت بعض متقني السنن من حاز في كل العلوم خير فن
عزا الى نجل الصلاح أن وصل أربعة الأخبار فالكامل اتصل
وبين بأن المراد من بعض متقني السنن الى آخره هو الشيخ
الفلاني شهره العمرى نسبه المدنى مهاجرا في حواشيه على شرح زكريا
الأنصاري على ألفية العراقي قال ما نص المراد فيه وما ذكر العراقي
من أن من بلاغاته ما لا يعرف مردود وبأن ابن عبد البر ذكر أن جميع
بلاغاته ومراسيله منقطعة الا أربعة أحاديث وقد وصل ابن الصلاح
الأربعة في تأليف مستقل وهو عندي وعليه خطه فظهر بهذا أنه لا فرق

بين الموطأ والبخارى وصح أن مالكا أول من صنف في الصحيح كما ذكره ابن عبد البر وابن العربي القاضى والسيوطى ومغلطاي وابن ليون وغيرهم فافهم انتهى بلفظه منقولا بخط صاحب الحواشى الشيخ صالح الفلانى المحدث المذكور كما ذكر الشنقيطى بأن ابن حجر رجع عن قوله وقرر بأن أول من ألف الصحيح هو الامام مالك وذلك في كتابه النكت قال الشنقيطى :

أول من ألف في الصحيح مالك الامام في الصحيح
كما له ابن حجر قد رجعا في نكت كان لها قد جمعا
ورأى الشنقيطى أن ما في الموطأ من الموصول تضمنه الصحيحان
الا ندورا قال :

وكل ما اسناده فيه اتصل كيف رواه عنه من عنه نقل
أخرجه الشيخان وفقا أو أحد زين فكل واحد قد انفرد
بل أخرجوا المرسلات وما أشبهها مع اتصال سلما
وبذلك تبين صحة الموطأ وانه أول صحيح ألف وهذه دعوى
مستقلة ، لا تتنافى مع أن صحيح البخارى أصح ، ولا يعارض ذلك ما قاله
الشنقيطى في دعوى أخرى وهى أن الموطأ أقدم وأصل للصحيحين أى
مجموعة ، ولا تتنافى هذه الدعاوى مع ما ذكره الدهاوى من أن الطبقة
الأولى في الصحة هى كتاب موطأ مالك وصحيح البخارى وصحيح مسلم
ويبدو لى أنه ليس أمر مشكلة الأولية فيما ألف في الصحيح أهو الموطأ
أو الجامع الصحيح للبخارى بالأمر الخطير الذى نستطيع من أجله
أن ننحى سمة الصحة عن موطأ مالك لكى نثبت للبخارى أولية
التأليف للصحيح فليس بالأمر الهين أن نغض من قيمة بناء شامخ له
أثره في حياة السنة وفي حياة الاسلام عامة ، وأن التفاضل والمقارنة بين
هذين الكتابين الجليلين انما يجب أن تقتصر على أيهما أصح ، ولا تتعدى
الى أيهما صحيح وأيهما غير صحيح ، وفي ضوء تفسير ابن حجر لمعنى
الجامع في تسميته^(١) كتاب البخارى بأنه لم يختص بصنف دون صنف ،

(١) النكت لابن حجر بخطوط بالازهر .

ولهذا أورد فيه الأحكام والفضائل والأخبار المحضنة عن الأمور الماضية والأمر الآتية وغير ذلك من الآداب والرقائق * * نستطيع أن نقول بأن البخارى أول من ألف الجامع الصحيح وإن مالكا أول من ألف الصحيح والحق أن صحيح البخارى جامع بالمعنى العام لأحاديث الفقه وغيرها من الأغراض بخلاف الموطأ فإنه لا يتوفر فيه هذا المعنى فإن معظمه وغالبه في الأحاديث التى تدور على أحكام الفقه وعلى ذلك يمكن أن يقال بحق أول من ألف في الصحيح الإمام مالك وأول من ألف الجامع الصحيح الإمام البخارى ويمكن أن يقال أن الموطأ أو صحيح في القرن الثانى وصحيح البخارى أول صحيح في القرن الثالث ، ورأى الإمام النووى في غاية الدقة حينما زاد على ابن الصلاح كلمة المجرى في صحيح البخارى ملاحظا معنى الصحة في كتابى الإمام مالك والإمام أحمد وهو بهذه الزيادة يعتبر قد حل الاشكال قال أول من صنف الصحيح المجرى البخارى (١) ثم مسلم وهما الكتب بعد القرآن وبين السيوطى (٢) في تنبيهاته في التدريب بأن قول النووى (المجرى زيادة على ابن الصلاح احترز بها عما اعترض عليه من أن مالكا أول من صنف الصحيح وتلاه أحمد بن حنبل وتلاه مسند الدارمى وقال الدهلوى في كتاب حجة الله البالغة أن مسند الدرامى إنما صنف لاسناد أحاديث الموطأ وفيه الكفاية لمن اكتفى وهذا هو رأى الواضح الذى يحفظ على السنة كيانها ويحمى عليه النووى *

رواية البخارى للموطأ

وقد روى البخارى موطأ مالك عن بعض رواة الموطأ فأخذ عن عبد الله بن يوسف الدمشقى الأصل التنيسى المسكن (٣) وهو ثقة وثقة البخارى وأبو حاتم وأكثر عنه البخارى في صحيحه وغيره من كتبه

(١) التدريب ص ٣٩ والتهذيب ١/ ٧٢ *

(٢) التدريب ٤١ *

(٣) نسبة الى تنيس بلدة بجزيرة بحر الروم قرب دمياط « القاموس » *

وأخذ عن سعيد بن عفير وهو سعيد بن كثير بن عقيد بن مسلم الانصارى أخذ عن مالك والليث روى عنه البخارى وغيره وهو من أحد المحدثين الثقات توفى في رمضان سنة ٢٢٦ هـ ويقال بأن مصر لم تخرج أجمع للعلوم منه وعن ابن بكير اشتهر لجده وهو يحيى بن بكير أبو زكريا الموصوف بأخبار شوارد العلوم وجمع شتاتها المصرى أخذ عن مالك والليث وروى عنه البخارى ومسلم بواسطة في صحيحهما وعن أبى مصعب الزهرى اشتهر بكنيته واسمه أحمد بن أبى بكر القاسم ابن الحارث بن زرار بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى الصوفى قاضى المدينة وأحد شيوخ أهلها لازم مالكا وتفقه عليه وروى عنه. موطأه أخرج عنه أصحاب الكتب الستة وقد قالوا أن موطأه آخر الموطآت التى عرضت على مالك ويوجد في موطئه زيادة مائة حديث على سائر الموطآت الأخرى وقال بعض الفضلاء اختار أحمد بن حنبل رواية عبد الرحمن بن مهدي والبخارى رواية عبد الله بن يوسف التنيسى ومسلم رواية عبد الله بن يحيى التميمى الحنظلى النيسابورى أبو زكريا ، وأبو داود رواية القعنبي والنسائي رواية قتيبة بن سعيد وقال الزرقانى وهذا كله أغلبى والا فقد روى كل ممن ذكر عن غير من عينه وقد عقب على ذلك المحدث الفاضل محمد حبيب الشنقيطي وكان مسرغا ومغاليا في تعقيبه حيث قال ومن هنا نعلم بالضرورة أن أصحاب كتب الحديث عالة على مالك وأصحابه وهو شيخ الجميع لأن مدار الحديث اليوم على الكتب الستة ومسند أحمد وقد رأيت تعويل الجميع على روايات الموطأ والسماع من أصحابه أ • ه •

وكونهم عالة عليه دعوى فيها اسراف وغمط للمجهودات الجبارة التى قام بها حماة الاسلام ، والحق أنهم تأثروا به وانتفعوا من منهجه ومادته ولكنهم ابتكروا في المنهج وفي جمع المادة فملأوا رياضهم من كل غرس طيب يأنع عنده أو عند غيره •

وقد قال صاحب شرح تراجم أبواب صحيح البخارى ولى الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى في مقدمة كتاب تراجم البخارى كان

أول ما حسنت أهل الحديث في علم الحديث جعلوه مدونا في أربعة فصول من السنة أعنى الذى قالوا له الفقه مثل موطأ وجامع سفيان ومن التفسير مثل كتاب ابن جريج ومن السير مثل كتاب محمد بن اسحاق ومن الزهد والرقائق مثل كتاب ابن المبارك فأراد البخارى رحمه الله أن يجمع الفنون الأربعة في كتابه ويجرده للحديث المرفوع المسند وما فيه من الآثار وغيرهما إنما جاء فيه تبعا لأصالته هـ فالحق أن الامام مالك له فضل المسبق وقد دفع بمنهجه التصنيف دفعه قوية وطوره غوفر على الباحثين عناء البحث في مظان الحديث حينما ابتكر منهجه في التأليف على طريقة جمع الأبواب وكتابته حسب ما مدحه ناصر السنة الامام الشافعى ومما امتاز به لسبقه في الزمن علو الاسناد فأعلى أسانيد ثنائيه وأعلى أسانيد البخارى ثلاثيه ومما لا شك فيه أن البخارى سار على نهجه في طريقة الجمع والتأليف على الأبواب وأخذ من مادته في بعض أحاديث أبوابه الفقهية ولكنه ابتكر وجرد الصحيح فكان صاحب منهج له أثره في حياة السنة فالبخارى له شخصيته الباهرة وقوته ومزاياه والعبرى النابه يحافظ على ما ورثه من تراث قيم ويكون لمورثه الفضل في ذلك ويتصرف في هذا التراث وينميه ويبنى هو بمجهوده وشخصيته القوية صروحا خالدة تتميز بميزات كل الجد جديدة ♦

نبنى كما كانت أوائلنا نبنى ونفعل مثلما فعلوا وهذا هو ما كان من الامام البخارى وان شئت التحديد فكتاب مالك كما يقول الدهلوى انتفع به البخارى بما يتعلق ببعض أحاديث أحكام الفقه خاصة من حيث المادة كما انتفع بغيره من الرواة الثقات وإذا وجدت مادة الحديث في غير أبواب الفقه فإنما هي أحاديث لا تعدو أن تعد على أصابع اليد الواحدة ♦ وباطلاعى ومراجعتى^(١) للموطأ شرح الزرقانى وجدت الامام مالكا

(١) شرح الزرقانى على الموطأ المطبوع بالمطبعة الكستلية بمصر سنة ١٢٨٠ هـ ومقدمة الموطأ تعليق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي • ط عيسى الحلبي •

المحدث العظيم المنصرف الى العناية بما يتعلق بأحاديث أحكام الفقه .
أما البخارى فقد خافه وكانت مهمة الموطأ جزءا من مهمة البخارى
فهو الجامع من غير منازع الى كل أصناف الحديث كما يبدو من النظر
في صحيحه فقد اعتنى بأبواب أحاديث الفقه كما اعتنى بالمغازى والسير
والعقيدة والأدب . الخ . كما قرر الدهلوى فى كلامه السابق
والاسماعيلى فى المدخل وغيرهما من الأئمة .

هذا مع أنه لم يقل أحد بأن أحاديث أبواب الفقه فى البخارى
مقصورة على ما فى الموطأ ولم يتحقق ذلك كاملا حتى فى باب واحد
من أبواب البخارى غالب البخارى له قوته وبراعته وشخصيته فى أبواب
الفقه وغيرها فليس بعالة على غيره ثم هو حتى فيما أخذه من بعض
أحاديث الامام مالك له مجهوده وتصرفه برفع الموقوف ويستدرك على
ما فات ويذكر الملاحظات والشواهد كما أنه يحيط بجوانب الكلام بذكر
ماروى خلافه فأى همة بعد ذلك ؟ .

وإذا كنت قد جرنى الحديث الى القول بأن الموطأ اهتم بالعناية
بأحاديث أحكام الفقه وما فيه غير ذلك فهو قليل للعناية ، وان جامع
البخارى يمتاز بالاستيعاب فالواجب هنا الايضاح حتى لا تختلط هذه
الدعوى البريئة وتلتبس بما ادعى على الامام مالك من غير حق بأنه فقيه
رايس بمحدث فهذه دعوى مجانبية للصلوب وانما أقول ان امادته فى
الفقه انما هى نتيجة لأنه بنى فقهه على أساس متين من الحديث وهو
امام الحديث والفقه معا وقد رد الدكتور السباعى أبغى رد على من قال
بأن الامام مالكا فقيه وليس بنحدث من المستشرقين وأتباعهم فى قولهم
أن الموطأ كتاب فقه لا كتاب حديث (١) .

رأى فؤاد سيزكين

ولقد ذكر فضيلة الشيخ عبد الغنى فى مقدمة البخارى (٢) ان بعض
باحثى المسلمين فى مؤلف خاص باللغة التركية ادعى بأن البخارى أغار

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٤٩١ للدكتور السباعى .

(٢) مقدمة البخارى ص ١٢٠ للمشيخ عبد الله .

على بعض الكتب التي سبقته كالمودنا وما اليه فنقل سائر ما تضمنته،
وخدم ذلك ووعد بالرد عليه ان شاء الله • آ • ه •

ولقد علمت من السيد / مدير المخطوطات بدار الكتب المصرية
الأستاذ فخّاد السيد بأن هذا الباحث اسمه فخّاد سيزكين وهو الآن أستاذ
الأديان في جامعات المانيا ومثل هذا يطمئن اليه الغرب ، ويحتضنه
ليشكك الناس في مجهود حماة الاسلام ويهون من شأنهم وفي ذلك
خطورة وخبث فالتقليل من قيمة صاحب المؤلف ينعكس على مؤلفه
ويقلل من شأن كتابه حتى يصرف الناس عنه •

وكأن استاذ الأديان هذا لم يعرف شيئاً عن تاريخ رحلات البخارى
ولم يتعرف على صحيحه والا فدعواه تنهار تماماً بالنظرة الأولى لصحيح
البخارى أو لفهارة الجامعة وعند التطلع لقسمات تراجمه وأبوابه
وترتيبها وما فيها من دقة لم يسبق اليها تصور دقة العالم الجامع فهو
في مظهر كتابه والتصرف فيه واستنباطه في تراجمه وتبويبه مبتكر لا شك
في هذا ، وفي مادته مطوف على كل روض لم يقتصر على كتاب
ولا عشرات من الرواة والكتب حتى يكون عالة على واحد منهم ولكن
الأمر الذي لا شك فيه أنه لم يبتدع حديثاً من عنده • وهل يعاب على
ذلك ؟ وكأني بصاحب هذه الدعوى وقد نسي مهمة البخارى وغيره من
المحدثين بأنها الجمع من الثقات والدقة في التأليف والتحرى في الصحيح
والتبويب والاستنباط وحسن العرض •

وظن أن على المحدث أن يبتكر أحاديث جديدة من عند نفسه
لم يسبق اليها في العصور التي بينه وبين النبي عليه الصلاة والسلام أو
أن عليه ألا ينظر أو يقدر من سبقه فلا يتعرض الى حديث مسطر في كتب
بل يتعنّت ضد كل مؤلف ؟ وهذا مالا يليق ، فالبخارى في الواقع طالس
صحيح السنة يبحث عنها في كل مكان حاملاً معه المقاييس الصحيحة
الدقيقة راحلاً اثني أئمة السنة قاطعاً الفياقي والقفار مسجلاً لرجال الحديث
وأحوالهم وحسبه في ذلك التاريخ الكبير وغيره من كتب الرجال التي

ألفها قبل تأليف الصحيح وإذا كان لابد من تصحيح لتعبير فؤاد سيزكين الضيق فانا نقول بأنه بغير على كل ثقة ويطوف على كل بستان نضر يمتص منه أسمى رحيقه الصافي ولكنه عالم لا يختص بروض بعينه ولا تتحمله عشرات الرياض حتى يجمع مادته ومن هنا فقد روى عن آلاف المثقات حتى جمع الجامع الصحيح ، الجامع لكل أصناف الحديث وذلك مما يدل على مكانته ومجهوده الجبار الذي يضيف عليه وعلى كتابه كل تقدير وثقة وبهذا العموم في الرجال أيضا تميز على كتاب الموطأ ورجاله وكان هذا مميزا ثانيا فكما كان الجامع لكل صنف من الحديث كان الجامع لكل صنف من الرجال من كل قطر لأي بلد وجد فيه المحدثون قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه في علوم الحديث وجاء محمد ابن اسماعيل البخاري امام المحدثين في عصره وخرج أحاديث السنة على أبوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للحجازيين والعراقيين والشاميين واعتمد منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه أ ه •

كما روى عن أهل الري وواسط وخراسان ومرو وبلخ وهراة ونيسابور وبخارى وغيرها ، أما الامام مالك فلم يرحل عن المدينة التي هي منبع الحديث ومهبط الوحي ولذا نجد معظم روايته عن الحجازيين وكان البخاري فريدا في تراجمه وتقطيعه الحديث وتكراره ثم تجريده الصحيح فكان المميز عن غيره ولكل فضله وسماته التي تجعله فريدا في تأليفه واماما في عصره •

ولقد كان الامام البخاري يقدر رواية الامام مالك رحمه الله فاذا وجد حديثا متصلا مرفوعا برواية مالك لا يعدل عنه الى غيره الا اذا لم يكن على شرطه فيورد له شواهد ومن المعلوم عند البخاري والمحدثين أن السلسلة الذهبية مالك عن نافع عن ابن عمر ولما كان أجل من روى عن مالك الشافعي قالوا الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر •

الموطأ من كتب الأصول في السنة

الموطأ للامام مالك مما لا شك أنه من الكتب الصحيحة ومن أصول السنة • فقد عد رزين بن معاوية في جامع الصحاح الأصول ستة الموطأ

وكتب الأئمة الخمسة • وتابعه ابن الأثير في جامع الأصول ومن ترك الموطأ ولم يعدده من كتب الأئمة فكما يقول الكوثري في تعليقاته على كتاب الأئمة الخمسة لفحازمي (١) ومن لم يجعل من بينها الموطأ فانما ذلك لاندماج أحاديثه فيها الا ما قل أ ه •

وقال الدكتور السباعي (٢) وأما عدم عد الموطأ من الكتب الستة فلأنه أكثر فيه من المراسيل وهو وان كان يرى العمل بها لكن غيره من المحدثين لا يرون ذلك فهذا هو انذى منع عدده في الكتب الستة أ ه • وأقول لعل من عد كتب الأئمة ولم يعد فيها الموطأ فانما يعد كتب الأئمة بالنسبة للعصر الثالث لاجتماعهم فيه ، كما أنه يمكن أن يقال ربما كانت شهرة الامام مالك وامامته في الفقه وكذلك ابن حنبل أغنتهما في نظر بعض العادين عن عددهما في أئمة الحديث رغم امامتهما وبراعتهم فيه •

لكل موقوف أو مقطوع في الموطأ وصحيح البخارى أصل من الكتاب والسنة :

ويزيدنا ثقة بما لم يوصل في كتابي الامامين الجليلين مالك والبخارى أن نعلم فضلا عن جلالتهما وامامتهما في الحديث أنه لا يوجد في الموطأ موقوف صحابي أو أثر تابعي الا وله عاضد من الكتاب والسنة (٣) كما لا يوجد في صحيح البخارى حديث عن الصحابة أو التابعين الا وله أصل من كتاب الله أو سنة رسول الله الصحيحة كما صرح البخارى بذلك • عن أبي محمد (٤) بن أبي حاتم الوراق قال سمعت سليم بن مجاهد يقول كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال لي لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعة آلاف حديث قال فخرجت في طلبه حتى لقيته فقلت أنت الذي تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث قال نعم وأكثر ولا أجيبك بحديث عن الصحابة والتابعين الا عرفت أكثر مولدهم ووفائهم ومساكنهم •

(١) الأئمة الخمسة للحازمي ص ٦ •

(٢) السنة ومكانتها ص ٤٩٣ •

(٣) موطأ مالك شرح الزرقاني تعليق محب الدين الخطيب •

(٤) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤ •

ولست أروى حديثاً من أحاديث الصحابة والتابعين إلا ولى في ذلك أصل أحفظه حفظاً من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم •

أثر صحيح البخارى فى ازهار السنة

فى القرن الثالث وما بعده

لقد تسلم الامام البخارى لواء انحديث فى مطلع القرن الثالث الهجرى وسلك به منهجاً قويا أوصله درجة بالغة فى الصحة والكمال فقد كان كتابه الخالد الجامع الصحيح له فضل السبق فى هذا القرن الذى اذهر بأئمة السنة فالامام مسلم والامام أبو عيسى الترمذى والامام النسائى والامام أبو داود السجستانى وكتب هؤلاء الأئمة التى أصبحت المرجع فى الأحاديث انما ظهرت بعد الجامع الصحيح وقد كان له أثر عظيم فى توجيه مؤلفى هذه الكتب واجادة مصنفىها •

وكان البخارى موضع تقديرهم وامام قافلتهم وأستاذهم جميعاً الذى تأثروا به وشهدوا له •

وليس معنى التأثير أن يكون التلميذ نسخة من الأستاذ مقلداً له فى كل شىء وظيفته المحاكاة فقط والا لو كان الامر كذلك للحق العيب الاستاذ والتلميذ معا ولما كان منهج الاستاذ ناجحاً ولا كان تفكير التلميذ مرناً •

بل قد يتأثر التلميذ النابه بالأستاذ النابه ويظهر فيه ذلك فى لون من ألوان تصرفه وان كان مع ذلك يتسم بخصائص منفردة تحفظ له ذاتيته ومجهوده وقد تقرب أو تبعد عما تأثر به ترتفع أو تنخفض كذلك عن منهجه بعض الخطوات ولا يتسع المقام أن أبين خصائص كتب هؤلاء الأئمة فى السنة • كلهم أو أقارنهم بصحيح البخارى ، امامهم فى منهجه وباعث نهضتهم ، خاصة وأنه لم يضع محدث ما أى كتاب من كتب هؤلاء الأئمة فى كفة محاولاً وضعه فى جوار كفة البخارى أو قريباً منه اللهم الا تلاميذه الأول الذى لحق بشيخه أو قاربه وارتنقى لما يقرب من

مرتبته وأصبح كتابه قرين كتاب البخارى وأطلق عليهما معا انصحيحان وعند الاطلاق يعلم أنهما صحيح البخارى وصحيح مسلم — ووضع في درجة هي الدرجة الأولى من كتب الحديث واقترن ذكر مسلم بالبخارى وقيل لهما في عرف المحدثين الشيوخان ♦

لذا سأكتفى بالحديث عنه مبينا تأثيره بصحيح البخارى وخصائصه ونفيما عداه سأكتفى بنصوص الأئمة التي تبين أثر صحيح البخارى في كتب الأئمة وتقدير الأئمة له ♦

شهد للبخارى تلميذه الأول الامام مسلم ووصفه بأبلغ وصف أطلق عليه أنه سيد المحدثين وطبيب الحديث في علله (١) ويقول أبو عيسى الترمذى (٢) الامام الجليل في فضل الامام وعلمه : لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الاسانيد أعلم من محمد ابن اسماعيل ويذكر الامام النووى أن من رواة البخارى الأعلام الامام مسلما بن الحاج وأبا عيسى محمد بن عيسى بن سـوره الترمذى وأبا عبد الرحمن النسائى وأبا حاتم وأبا زرعة الرازيين وكل هؤلاء أئمة الأعلام (٣) ♦

وقال الاسماعيل عن الامام البخارى في المدخل أنه حاز السبق وبلغ الغاية (٣) وجمع الى ذلك حسن ائنية والقصد الى الخير ونفعه الله ونفع به وقد نحا نحوه في التصنيف جماعة منهم الحسن بن على الحلوانى لكنه اقتصر عن السنن ومنهم أبو داود السجستاني وكان في عصر أبى عبد الله البخارى فسلك فيما سماه سننا ذكر ما روى في الشيء وان كان في المسند ضعف اذا لم يجد في الباب غيره ومنهم مسلم بن الحجاج فكان يقاربه في العصر فرام وكان يأخذ عنه أو عن كتبه الا أنه لم يضابق نفسه مضايقة أبى عبد الله وروى عن جماعة كثيرة لم يتعرض أبوعبد الله

(١) مقدمة شرح البخارى للنووى ص ٧ ♦

(٢) أبو عيسى الترمذى ألف فيه رسالة الدكتوراه الاستاذ نور العتر الدمشقى ♦

(٣) التهذيب للنووى ج ١ ص ٧٤ ♦

للمرواية عنهم وكل قصد الخير غير أن أحدا منهم لم يبلغ من التشدد مبلغ أبي عبد الله ولا تسبب إلى استنباط المعاني واستخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة على ما له صلة بالحديث المروى فيه تسببه ولله الفضل يختص من يشاء وفي تقرير هذا المعنى يقول الحاكم أبو أحمد النيسابوري رحم الله محمد بن اسماعيل فإنه ألف الأصول بمعنى « أصول الأحكام من الأحاديث » وبين للناس وكل من عمل بعده فأنما أخذه من كتابه كمسلم بن الحجاج •

أثر منهج البخاري في صحيح مسلم

من أشرف ما يتسم به الجامعان الصحيحان للبخاري ومسلم ويتفقان فيه باتفاق العلماء • وحسبهما في ذلك شرفا وفضلا وصلة وثيقة أنهما أصبحا الكتب بعد القرآن العزيز وأن الأمة تلقتهم بالقبول وما أروعها وأثبتها من مكانة رفيعة لا يمكن بأي حال أن تغير بما يقال بعد ذلك من تفصيل يراد به إبراز خصائص كل منهما ومزاياه وتأثير اللاحق منهما بالسابق فيما اتفقا فيه ويترتب على ذلك •

أولا - اثبات ذاتية مجهود الامامين في كتابيهما وصلتهما ببعضهما •

ثانيا - أيهما أرجح وأفضل •

الجامع الصحيح للإمام مسلم

مؤلفه أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم انقشيري نسبا النيسابوري وطنا أمام الحديث وتلميذ البخاري وخريجه وصاحبه • ولد مسلم بنيسابور سنة ست ومائتين وكان منهجه في تحصيل العلم نهج البخاري واسع الرحلات جواب الاتفاق طلبا للحديث وعاش حياة علمية حية بالتلقى والرحلة والتدريس والتأليف إلى أن أدركته الوفاة سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور ولم يتجاوز خمسة وخمسين عاما •

موضوع الجامع الصحيح للإمام مسلم

وموضوع الجامع الصحيح للإمام المسلم هو الحديث الصحيح المجرد المسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نهج في تأليفه نهج البخاري في طريقة صحيحه في جمع الحديث الصحيح المجرد وتأليفه على أبواب العلم من فقهه وخلافه متأثراً بطريقته غير أنه اقتصر فيه على سرد المسند من غير أن يذكر الموقوفات إلا نادراً ومن غير أن يذكر فيه تراجم الأبواب وقد قام بالتبويب والترجمة شراح كتابه وكان أعظم من أجاد في ذلك الإمام محيي الدين أو زكريا يحيى النووي •

قال النووي (١) أن مسلم رحمه الله تعالى رتب كتابه على أبواب فهو محبوب في الحقيقة ولكنه لم يذكر تراجم الأبواب فيه لئلا يزداد بها حجم الكتاب أو لغير ذلك ثم قال النووي وقد ترجم جماعة أبوابه بتراجم بعضها جيد وبعضها ليس بجيد أما لقصور في عبارة الترجمة أو ركاكة لفظها وأما لغير ذلك وإن شاء الله أحرص على التعبير عنها بعبارات تليق بها في مواطنها • ه •

وقد جمع مسلم في كتابه أربعة آلاف من الأحاديث الصحاح غير المكرر وقال العراقي هو بالمكرر يزيد على كتاب البخاري لكثرة طريقته وقد قال أبو الفضل أحمد بن مسلمة أنه يزيد عن اثنا عشر ألف حديث أ • ه •

خصائص صحيح مسلم

١ — ليس فيه بعد الخطبة إلا الحديث السرد ولم يتصد لما تصدى له البخاري من استنباط الأحكام وتقطيع الأحاديث وترجمة الأبواب وقد عقد النووي فصلاً في خصائصه قال : فمن تحرى مسلم رحمه الله اعتناؤه بالتمييز بين حدثنا وأخبرنا • وتقيد ذلك على مشايخه وفي روايته وكان من مذهبه رحمه الله الفرق بينهما وإن حدثنا لا يجوز إطلاقه إلا لما سمعناه من لفظ الشيخ خاصة وأخبرنا لما قرئ على الشيخ

(١) مقدمة صحيح مسلم شرح النووي ص ٢١ •

وهذا الفرق هو مذهب الشافعي وأصحابه وجمهور أهل العلم بالمشرق وقال محمد بن الحسن الجوهري المصري وهو مذهب أكثر أصحاب الحديث الذين لا يحصيهم أحد وروى هذا المذهب أيضا عن ابن جريج والأوزاعي وابن وهب والنسائي وصار هو الشائع الغالب على الحديث ومذهب جماعات إلى أنه يجوز أن تقول فيما قرئ على الشيخ حدثنا وأخبرنا وهو مذهب الزهري ومالك وسفيان ويحيى بن سعيد القطان وآخرين من المتقدمين وهو مذهب البخاري وجماعة من المحدثين وهو مذهب الحجازيين والكوفيين ومذهب طائفة إلى أنه لا يجوز إطلاق حدثنا ولا أخبرنا في القراءة وهو مذهب ابن المبارك ويحيى بن يحيى وأحمد بن حنبل والمشهور عن النسائي والله أعلم ، ومن ذلك اعتناؤه بضبط لفظ الرواة كقوله حدثنا فلان وفلان واللفظ لفلان وكذلك إذا كان بينهما اختلاف في حرف من متن الحديث أو صفة الراوي أو نسبته أو نحو ذلك فإنه يبينه وربما كان بعضه لا يتغير به معنى وربما كان في بعضه خلاف في المعنى ولكن كان خفيا لا يتفطن له إلا من هو على اطلاع على دقائق الفقه ومذاهب الفقهاء .

ومن ذلك تحريه في مثل قوله حدثنا عبد الله بن سلمة حدثنا سليمان « يعني ابن بلال » عن يحيى « وهو ابن سعيد » فلم يجوز رضى الله عنه أن يقول سليمان بن بلال ويحيى بن سعيد لكونه لم يقع في روايته منسوبا فأن قاله منسوبا لكان مخبرا عن شيخه أنه أخبره بنسبه ولم يخبره ومن ذلك حسن ترتيبه وترصيفه الأحاديث على نسق يقتضيه تحقيقه وكمال معرفته بمواقع الخطاب ودقائق العلم وأصول القواعد وخفيات علم الأسانيد ومراتب الرواة وغير ذلك .

يقول صاحب كتاب أطوار الثقافة والفكر الإسلامى^(١) وليس لمسلم ميزة في صحيحه على البخاري إلا أنه لم يقطع الحديث في أبوابه كما فعل البخاري في بعض أحاديثه بل أنه روى كل حديث مستكملا غير

(١) كتاب أطوار الثقافة والفكر الإسلامى للنسائي على الجندی وزملائه ج ٢ ص ٣٢١ .

مجزء بأسانيده المختلفة فى مكان واحد واقتصر فيما دونه على الأحاديث المتصلة دون الموقوفات التى ينتهى سندها الى الصحابة من غير أن يذكر فيها قول ، ولا فعل للنبي صلى الله عليه وسلم أ ه •

وهذا الأمر هو الذى استرعى أنظار أئمة الحديث ومنصفيه قال النووى والسيوطى فى التدريب (١) اختص مسلم بجمع طرق الحديث فى مكان واحد بأسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة فسهل تناوله بخلاف البخارى فإنه قطعها فى الأبواب بسبب استنباط الأحكام منها وأورد كثيرا منها فى مظانه •

وقال النووى فى مقدمته شرح مسلم (٢) وقد انفرد مسلم بفائدة حسنة جعلته أسهل متناولا من حيث أنه جعل لكل حديث موضعا واحدا يلىق به جمع فيه طرق الحديث التى ارتضاها واختار ذكرها وأورد منه أسانيده المتعددة وألفاظ الحديث المختلفة فيسهل على الطالب النظر فى وجوه الحديث واستثمارها ويحصل له الثقة بجميع ما أورد مسلم من طريقه بخلاف البخارى فإنه يذكر تلك الوجوه المختلفة للحديث فى أبواب متفرقة متباعدة وكثيرا منها يذكره فى غير بابها الذى يسبق الى الفهم أنه أولى به وذلك لدقيقة يفهمها البخارى منه فيصعب على الطالب جمع طريقه وحصول الثقة بجميع ما ذكره البخارى من طرق الحديث أ • ه •

ويلاحظ أن كلام النووى يشعر بدقة تصرف البخارى وان خفى ذلك على من ليس له قدم راسخة فى الحديث وان هذه الدقة انما يفهمها البخارى والخواص فى معرفة الحديث ومن هنا ربما كان صعب المنال على غير العارفين بالحديث والذى حتم على البخارى ذلك المنهج تقطيع الأحاديث انما هو استنباطه وتراجمه وهذه ميزة لم يضح بها البخارى

(١) التدريب ص ٤٤ •

(٢) مقدمه صحيح ومسلم شرح النووى ج ١ ص ١٤ فى الموازنة بين الصحيحين •

في سبيل مسؤولته على العامة ولذا قال شيخ الاسلام ابن حجر في ذلك (١) •

واذا امتاز مسلم بهذا فليلبخارى في مقابلته من الفضل ما ضمنه في أبوابه من التراجم التي حيرت الأفكار •

وقد بين الامام مسلم نفسه (٢) في أول مقدمته في صحيحه أنه عمد على تلخيص الطرق في موضع واحد بلا تكرار ليسهل على العامة والخاصة كما بين بأن الذي ساقه الى التأليف انما هو تخطب العامة في غير الصحيح وان ضبط القليل واتقانه من الحديث أيسر على المرء من معالجة الكثير منه ولا سيما عند من لا تميز له من العوام الا بأن يوقفه على التميز غيره ويبين بأنه انما يرجى بعض المنفعة في الاستئثار وجمع المكررات من الحديث للخاصة من الناس ممن رزق فيه بعض التيقظ والمعرفة بأسباب الحديث وعمله بخلاف عوام الناس الذين هم بخلاف معاني الخاصة من أهل التيقظ والمعرفة وقال مبينا لسأله ان من سبب تأليفه الحرص على هداية العوام قال وبعد يرحمك الله فلولوا الذي رأينا من سوء ما صنعه كثير ممن نصب نفسه محدثا فيما يلزمهم من طرح الأحاديث الضعيفة والروايات المذكرة ، وتركهم الاقتصار على الأحاديث الصحيحة المشهورة مما نقله الثقات المعروفون بالصدق والامانة بعد معرفتهم واقرارهم بالسنتهم أن كثيرا مما يقذفون به الى الإخبفاء من الناس هو مستنكر ومنقول عن قوم غير مرضيين ممن ذم الرواية عنهم أئمة أهل الحديث مثل مالك بن أنس وشعبة بن الحجاج وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم من الأئمة لما سهل علينا الاستئصال لما سألت من التميز والتحصيل ولكن من أجل ما أعلمناك من نشر القوم الأخبار المنكرة بالأسانيد الضعاف المجهولة وقد ألقى بها الى العوام الذين لا يعرفون عيبها خف على ، اجابتك الى ما سألت أ • ه •

(١) التدريب ص ٤٥ •

(٢) من كلام الامام مسلم نفسه في مقدمة صحيحه بتصريف ص ٤٥ شرح النووي •

ولهذه السهولة في صحيح مسلم شذ أبو على الحسين بن على النيسابورى عن اتفاق العلماء بتقديم صحيح البخارى على صحيح مسلم وقال بتقديم صحيح مسلم على صحيح البخارى أو فهم منه ذلك روى ابن الصلاح (١) عن أبى على الحافظ النيسابورى أستاذ الحاكم أبى عبد الله بن البيع قال « ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم ابن الحجاج » فهذا وقول من فضل من شيوخ المغرب كتاب مسلم على كتاب البخارى قال ابن الصلاح ان كان المراد به أن كتاب مسلم يترجح بأنه لم يمازجه غير الصحيح فإنه ليس فيه بعد خطبته الا الحديث الصحيح مسرودا غير ممزوج بمثل ما في كتاب البخارى فهذا لا بأس به ولا يلزم أن كتاب مسلم أرجح فيما يرجع الى نفس الصحيح وان كان المراد أن كتاب مسلم أصح صحيح فهو مردود على من يقوله والله أعلم •

وعلق العراقي على ذلك بقوله (٢) قلت قد روى مسلم بعد الخطبة في كتاب الصلاة بإسناده الى يحيى بن أبى كثير أنه قال لا يستطيع العلم المراد أن كتاب مسلم أصح صحيح فهو مردود على من يقوله والله أعلم •

وقال شيخ الاسلام ابن حجر (٣) قول أبى على ليس فيه ما يقتضى نصريه بأن كتاب مسلم أصح من كتاب البخارى خلاف ما يقتضيه اطلاق الشيخ محيى الدين في مختصره « التقريب » وفي مقدمة شرح البخارى حيث يقول (٤) البخارى أول من صنف الحديث المجرد واتفق العلماء على أن أصح الكتب المصنفة صحيحا البخارى ومسلم واتفق الجمهور على أن صحيح البخارى أصحهما صحيحا وأكثرهما

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ١٤ والتدريب ص ٤٣ •

(٢) التقيد والايضاح لما اطلق واغلق من مقدمة ابن الصلاح لنسخ الاسلام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ص ١٤ المتوفى سنة ٨٠٦ هـ •

(٣) التدريب ص ٤٣ ومقدمة الفتح ج ١ ص ٦ •

(٤) مقدمة شرح البخارى للنووى ج ١ ص ٧ ومقدمة شرح مسلم للنووى فى الموازنة بين البخارى ومسلم ص ١٤ •

فوائد وقال الحافظ أبو علي النيسابوري شيخ الحاكم أبي عبد الله :
صحيح مسلم أصح ووافق بعض علماء المغرب وأنكر ذلك عليهم
والجواب ترجيح البخاري على مسلم أ . ه .
قال ابن حجر وإنما يقتضى نفى الأصحية عن غير كتاب مسلم عليه
لا اثباتها أما اثباتها له فلا ، لأن إطلاقه يحتمل أن يريد ذلك ويحتمل
أن يريد المساواة في نظره قال .

ومع احتمال كلامه ذلك فهو منفرد به سواء قصد الأول أو الثاني
وعلق ابن حجر في المقدمة على كلام ابن الصلاح بقوله : واقتضى كلام
ابن الصلاح أن العلماء متفقون على القول بأفضلية البخاري في الصحة
على كتاب مسلم إلا ما حكاه عن أبي علي من قوله المتقدم وعن بعض
تسيوخ المغاربة أن كتاب مسلم أفضل من كتاب البخاري من غير تعرض
للصحة « بل إلى المعنى الذي تقدم من السهولة في الرجوع إلى موضع
الحديث وسرد الصحيح » وعارض ابن حجر قول أبي علي هذا بقول
من هو أعظم منه فقال روي بالاسناد الصحيح (١) عن أبي عبد الرحمن
النسائي وهو شيخ أبي علي النيسابوري أنه قال ما في هذه الكتب كلها
أجود من كتاب محمد بن اسماعيل والنسائي لا يعنى بالجودة إلا جودة
الأسانيد كما هو المتبادر إلى الفهم من اصطلاح أهل الحديث ومثل هذا
من النسائي غاية في الوصف مع شدة التحري وتوقيه وتثبتته في نقد
الرجال وتقدمه في ذلك على أهل عصره حتى قدمه قوم من الحزاق
في معرفة ذلك على مسلم بن الحجاج وقدمه الدار قطنى في ذلك وغيره
على امام الأئمة: أبي بكر بن خزيمة صاحب الصحيح وأورد ابن حجر
غير ذلك مما سأعرج عليه عند الكلام على مزايا وخصائص الجامع
الصحيح البخاري وأقول إن سهولة الكشف والتنال في الجامع
الصحيح للإمام مسلم في نظري إنما هي مستفادة وحاصلة بعد التبويب
والتراجم للكتاب وهذا من عمل شراح الصحيح لا من عمل الإمام مسلم

(١) مقدمة الفتح ج ١ ص ٧ .

وأما قبل التبويب والترجمة فان الأحاديث وان كانت متجمعة بطرقها المختلفة وألفاظها في مكان واحد لكنه نظرا الى عدم تبويبها يصعب البحث في جوانب الكتاب حتى يهتدى الباحث الى الموضع الخاص الذى يريده وبعد تصنيف كتب مفاتيح الصحيحين أصبحت طرق حديث البخارى معلومة وكما يقول محب الدين الخطيب في كتابه توضيح البخارى بعد تنبيهه على مواضع تعدد وطرق الحديث قال وبذلك لم يعد فضل وميزة لكتاب مسلم بهذا على كتاب البخارى *

أفضلية صحيح البخارى على صحيح مسلم

أصبح من المعلوم أن الصحيحين هما أصح الكتب بعد كتاب الله وبهما رفعت راية السنة وضاعة في أبهى أدوار أوجهها واتسم العصر الثالث بهما وبأثرهما فيمن بعدهما بأنه أزهى عصور جمع السنة ولم يرق امام من أئمة الحديث بعدهما الى مرتبتهما وفي معرض المفاضلة بين الصحيحين يجد الباحث أن صحيح البخارى مجمع على أفضليته اذا استثنينا رأى أبى على النيسابورى في تقديم صحيح مسلم في الصحة لأن أفضلية البخارى ثابتة بأمرين الأمر الأول : وهو ما عبر عنه ابن حجر بقوله من حيث الاجمال ويرجع الى تقدير شهادة أهل الفن والحديث (١) بعد دراستهم الواعية ان أفضلية الصحيح للبخارى على مسلم ثابتة عن أئمة العلماء وقد نقل الاتفاق على تقدمه الامام النووى وشيخه ابن الصلاح وغيرهما : قال النووى في مقدمة شرحه لصحيح مسلم في الموازنة بين البخارى ومسلم *

اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخارى ومسلم وتلفتتهما الأمة بالقبول *

وكتاب البخارى أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة

(١) ص ١٤ المقدمة للنووى .

وقد صح أن مسلماً كان يستفيد من البخارى ويعترف بأنه ليس له نظير
فى علم الحديث • وتصديقاً لكلام النووى فقد روى فى تاريخ بغداد (١) •

قول الامام مسلم للبخارى لا ييغضك الا حاسد وأشهد أن ليس
فى الدنيا مثلك • وعن أبى عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ يقول سمعت
أبى يقول رأيت مسلماً بن حجاج بين يدى محمد بن اسماعيل البخارى
يسأله سؤال الصبى المتعلم •

وقول النووى فى ترجيح كتاب البخارى هو المذهب المختار الذى
قال به الجماهير وأهل الاتقان والحق بأسرار الحديث •

قال الذهبى وأما جامع البخارى الصحيح فأجل كتب الاسلام بعد
كتاب الله تعالى فلو رحل الشخص لسماعه من ألف فرسخ لما ضاعت
رحلته وقال النووى فى مقدمة شرحه للبخارى ومن أخص ما يرجح
اتفاق العلماء أن البخارى أجل من مسلم وأصدق بمعرفته للحديث
ودقائقه • وقد انتخب علمه ولخص ما ارتضاه فى هذا الكتاب وقال
شيخ الاسلام ابن حجر : اتفق العلماء على أن البخارى أجل من مسلم
ومسلم خريجه ولم يزل يستفيد منه ويتتبع آثاره حتى قال الدارقطنى
لولا البخارى ما راح مسلم ولا جاء وقال مرة أخرى وأى شئ صنع
مسلم انما أخذ كتاب البخارى فعمل عليه مستخرجاً وزاد فيه زيادات
وهو وإن أسرف فى ذلك فانما يؤخذ منه ترجيح البخارى على مسلم
وإثبات أنه قد استفاد منه وهو تلميذه الذى تأثر به فى حياته العلمية وكان
صاحب طاقة طيبة فكان له مجهودات علمية وكان لكتابه خصائصه
الذاتية التى تقدمت فى الحديث على صحيحه •

قال الحاكم أبو أحمد النيسابوري وهو عصرى أبى على النيسابوري
ومقدم عليه في معرفة الرجال •

« رحم الله محمد بن على بن اسماعيل فإنه الذى ألف الأصول »
(يعنى أصول الأحكام فى الحديث) وبين للناس وكل من أتى بعده فإنما
أخذه من كتابه كمسلم بن الحجاج (١) والنقول كثيرة فى هذا المعنى
وحسبنا هذا القدر الذى يكاد يترأى منه اتفاق العلماء كما نقل ذلك
عن أئمة الحديث لأن البخارى أعلم بهذا الفن من مسلم وأنه أنستأذه
وقد شهد مسلم بأنه ليس مثله ولا فى عصره من يدانيه فى فن الحديث
وعلومه كما أنه قد تراءى لنا من كلام الحاكم أبى أحمد وغيره أن منهج
البخارى هو الذى خرج أئمة الحديث بعده وفى مقدمتهم تلميذه الأول
الامام المسلم •

الأمر الثانى :

وهو ما يتعلق بتفصيل الأدلة على مقاييس الصحة •

ومعنوم أن مقاييس الحديث إنما يدور على اتصال السند واثقان
الرجال والسلامة من الشذوذ والعلل فالبخارى أثقن رجالا وأشد
اتصالا وأبعد عن الشذوذ والعلة وبيان ذلك •

أولا : فيما يتعلق باتقان الرواة فصحيح البخارى أرجح على صحيح
مسلم •

(أ) ان الذين انفرد البخارى بالاخراج لهم دون صحيح مسلم
أربعمائة وبضع وثلاثون رجلا — المتكلم فيه بالضعف منهم (٨٠) رجلا
والذين انفرد مسلم بالاخراج لهم دون البخارى (٦٢٠) رجلا المتكلم

(١) مقدمة فتح البارى ٧/١ والتهذيب للنووى ٧٤/١ •

فيه بالضعف منهم (١٦٠) رجلا ، ولا شك أن التخریج عن لم يتكلم فيه أصلا أولى من التخریج عن تكلم فيه وإن لم يكن ذلك الكـلام قـادحا •

(ب) ان الذين انفرد بهم البخارى ممن تكلم فيه لم يكثر من التخریج عنهم وليس لواحد منهم نسخة كبيرة أخرجها كلها أو أكثرها الا ترجمة عكرمة عن ابن عباس •

بخلاف مسلم فإنه أخرج أكثر تلك النسخ كأبى الزبير عن جابر وسهيل عن أبيه والعلاء بن عبد الرحمن عن أبيه وحماة بن سلمة عن ثابت وغير ذلك •

(ج) ان الذين انفرد بهم البخارى ممن تكلم فيه أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم وميز جيدهم من غيره • بخلاف مسلم فإن من انفرد بتخریج حديثه ممن تكلم فيه أكثرهم ممن تقدم عصره من التابعين ومن بعدهم ولا شك أن المحدث أعرف بحديث شيوخه دون غيرهم .

(د) ان البخارى يخرج أحاديث الطبقة الأولى وهى أعلى الطبقات فى الحفظ والانتقان وطول الصحبة عن أخذوا عنه استيعابا وينتقى من أحاديث الطبقة الثانية التى دون الأولى فى الصفات المذكورة • ومسلم يخرج حديث الطبقة الثانية استيعابا وفى أصل موضوع كتابه فكان البخارى أقوى اسنادا وأوثق رجالا • أما بالنسبة بما يتعلق باتصال السند :

فان مذهب مسلم بل نقل الاجماع (١) فى أول صحيحه أن الاسناد المـنعن الذى يقال فيه (فلان عن فلان) له حكم الموصول بسمعت بمجرد كون المـنعن والمـنعن عنه كانا فى عصر واحد وإن لم يثبت

(١) مقدمة صحيح مسلم للإمام مسلم هـ ١٢٧ شرح النووى بابصفة الاحتجاج بالحديث المـنعن اذا أكن لقاء المـنعن ولم يكن فيهم مدلس ومقدمة مسلم للنووى ص ١٤ فى الموازنة بين البخارى ومسلم •

اجتماعهما والبخارى لا يحمله على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما ونحو مرة وقد بين البخارى هذا المذهب في تاريخه وجرى عليه في صحيحه فان روى أحد عن أحد بالنعنة مع عدم المعاصرة واللقاء يكون رواية منقطعة عند الشيخين وان روى مع تحقق اللقاء والمعاصرة يكون رواية مقبولة عندهما •

ويظهر الخلاف بينهما • ان روى الراوى عن معاصرة ولم يثبت لقائوه ، قبله مسلم وورده البخارى لعدم ثبوت السماع عنده فشرط البخارى أكثر في الاتصال • وطريق (١) ثبوت السماع عنده يدور على التصريح في اسناد ثبت السماع عنده في موضع فيحكم به في سائر المواضع وهذا الشرط عنده انما هو للصحيح في كتابه خاصة لا للصحيح مطلقا فمخالفته للجماهير ولمسلم ليس في نفس تعريف الصحيح بل هو شرط التزمه للصحيح في كتابه فهذا تشديد منه على نفسه في هذا الكتاب فقط •

ولكل ذى همة وعزم أن يشدد على نفسه بما شاء •
أما بالنسبة بما يتعلق بالسلامة من الشذوذ والعلّة :
فان الأحاديث التى انتقدت عليهما بلغت (٢١٠) مائتى حديث وعشرة أحاديث (٢) اختص البخارى منها بثمانية وسبعين واختص مسلم بمائة واشتركا في الباقي وهو اثنان وثلاثون وقد وافقه مسلم في تخريجها ولاشك أن ما قل الانتقاد فيه أرجح مما كثر فيه الانتقاد فثبت بذلك قول الامام مسلم بأن البخارى أستاذ الأساتذة وسيد المحدثين وطبيب الحديث •

البخارى المسند فيه صحيح اذاته

وبما فضل به البخارى على مسلم كما في فيض البارى (٣) أن مسلما يشتمل كتابه على الصحيح لذاته والصحيح لغيره الذى هو الحسن.

(١) فيض البارى للكشبرى ١ ص ٥٠

(٢) مقدمة فتح البارى ج ١ ص ٨ ويخبر ٢ ص ٨٢ لابن حجر ٠

(٣) فيض البارى ج ١ ص ٥١ للكشبرى

كما في باب مذمة الشعر — بخلاف البخارى فإنه يشتمل على الصحيح لذاته فقط وذلك لأنه جرى على اصطلاح القدماء ولم يفرق بين الحسن والصحيح وقد قال ابن تيمية أن تقسيم الحديث عند القدماء كان الى قسمين فقط صحيح وضعيف والحسن لذاته كان داخلا في الصحيح واليه جنح غير واحد من الأئمة حتى انعقد الاجماع على ذلك •

قال الكشميرى دعوى الاجماع غير صحيحة لأن البخارى وعلى بن المدينى ممن يفرقان بينهما حتى جاء الترمذى وتبع في ذلك شيوخه البخارى فشهره ونوه بذكره وعليه مشى في جميع كتابه •

الصحيحان لم يستوعبا الصحيح ولا رواته

ان البخارى لم يستوعب الأحاديث الصحيحة (١) وقد صرح بذلك فقال ما أدخلت في كتاب الجامع الا ما صح وتركت من الصحاح لحال أو لأجل الطول : وفي رواية وتركت من الصحاح حتى لا يطول : وقال أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتى ألف حديث غير صحيح وقال الاسماعيلى سمعت من يحكى عن البخارى أنه قال لم أخرج في هذا الكتاب الا صحيحا وما تركت من الصحيح أكثر ومعلوم أن أحاديث الجامع لم تبلغ ما حفظ البخارى من الصحيح ومعنى ذلك أن البخارى لم يثبت كل حديث صحيح حفظه فضلا عن كل حديث صحيح وكل حديث على شرطه بل لم يستوعب الصحيحان معا الأحاديث الصحيحة •

قال السخاوى في فتح المغيب ان انشيوخين لم يستوعبا كل الصحيح في كتابيهما بل لو قيل أنهما لم يستوعبا شروطهما لكان موجهما وقد شرح كل منهما بعدم الاستيعاب فقد روى عن مسلم أيضا أنه قال ليس كل شيء عندي صحيح وضعفته ها هنا أنما وضعت ما أجمعوا عليه قال ابن الصلاح (٢) أراد وألله أعلم أنه لم يضع في كتابه الا الأحاديث

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٨ وتهذيب النووى ج ١ ص ٧٤ •
(٢) التهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٤٩ ومقدمة الفتح ج ١ ص ٤ •

التي وجد عنده فيها شرائط انصحيح المجمع عليه وان لم يظهر اجتماعها في بعضها عند بعضهم •

وقال الحافظ بن كثير : ثم ان البخارى ومسلما لم يلتزما باخراج جميع ما يحكم بصحته من الأحاديث فانهما قد صححا أحاديث ليست في كتابيهما كما ينقل الترمذى عن البخارى تصحيح أحاديث ليست عنده بل في السنن وغيرها ، وبهذا يرد ما زعمه مؤلف فجر الاسلام الدكتور أحمد أمين من أن ما جمعه انبخارى في حديثه وهو أربعة آلاف من غير المكرر هو كل ما صح عنده من عدد الاحاديث التي كانت متداولة في عصره وبلغت ستمائة ألف (١) •

وقال البلقيني على ما في التدريب (٢) قيل أراد مسلم اجتماع أربعة أحمد بن حنبل وابن معين وعثمان بن أبى شيبة وسعيد بن منصور الخراساني ورووا عن مسلم أنه لما عوتب على ما فعل من جمع الاحاديث الصحاح في كتاب وقيل له ان هذا يطرق لأهل البدع علينا فيجدون السبيل لأن يقولوا اذا احتج عليهم بحديث قالوا ليس هذا في الصحيح قال ان ما أخرجت في هذا الكتاب وقيل هو صحاح ولم أقبل ان ما لم أخرجه من الحديث في هذا الكتاب فهو ضعيف •

قال اننوى (٣) ولم يستوعبوا الصحيح ولا التزماء أى الاستيعاب • قال ابن الصلاح : والمستدرك للحاكم كتاب كبير يشمل على ما فاتهما على شيء كثير وان يكن في بعضه مقال فانه يصفو له منه صحيح كثير •

قال النوى والصواب • انه لم يفت الأصول الخمسة وهى الصحيحان وسنن أبى داود والترمذى والنسائى — الا انيسير • وبناء على ذلك فلا يسوغ لمن اعترض على الشيخين وألزمهما أحاديث لم

(١) اختصار علوم الحديث ص ٩ •

(٢) التدريب ص ٤٧ •

(٣) مقدمة مسلم ص ٢٤ •

يخرجها مع كونها صحيحة على شرطهما أن يعترض عليهما حيث لم يلتزما استيعاب انصاح وصرحا بعدم التزامه •

قال النووي ألزم الامام الحافظ أبو الحسن علي بن عمر اندارقطني رحمه الله وغيره البخاري ومسلما رضى الله عنهما اخراج أحاديث تركا اخراجها مع أن أسانيدنا أسانيد قد أخرجوا لرواتها في صحيحهما بها وذكر الدارقطني وغيره أن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم رويوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورويت أحاديثهم من وجوه صحاح لا مطعن في ناقلها ولم يخرجوا من أحاديثهم شيئا فيلزم اخراجها على مذهبيهما •

وذكر البيهقي أنهما اتفقا على أحاديث من صحيفة همام بن منبه وأن كل واحد منهما انفرد عن الآخر بأحاديث منها مع أن الاسناد واحد • وصنف الدارقطني وأبو ذر الهروي في هذا النوع الذي ألزموهما • قال النووي : وهذا الالتزام ليس بلازم في الحقيقة فانهما لم يلتزما استيعاب الصحيح بل صححتهما تصريحهما بأنهما لم يستوعبا كما أنه لا يلزم من عدم تخريج الشيخين لراو من الرواة سقوطه أو ضعفه فانهما لم يستوعبا الرواة الثقات المتوفرة فيهم صفات القبول والصحة •

قال الحازمي (١) ان قصد البخاري وضع مختصر في الحديث وانه لم يقصد استيعابا لا في الرجال ولا في الحديث • وقد قال لم أخرج في هذا الكتاب الا صحيحا ولم يتعرض لأمر آخر وكذلك الأمر في كتاب مسندهم فلم يستوعب الثقات كلهم وهم كثرة : ففي تاريخ البخاري أكثر من أربعين ألفا من الثقات •

وقد قال المحدث الشيخ محمد زاهد الكوثري في تعليقه على شروط الأئمة الخمسة (٢) :

(١) شروط الأئمة الخمسة ص ٤٤ •

(٢) شروط الأئمة الخمسة للحازمي ص ٤٢ •

ومما يلفت اليه النظر أن التسيخين لم يخرجاً في الصحيحين شيئاً من حديث الامام أبي حنيفة مع أنهما أدركا صغار أصحاب أصحابه فأخذا عنهم ولم يخرجوا أيضاً حديث الامام الشافعي مع أنهما لقياهما بعض أصحابه ولا أخرج البخاري من حديث أحمد إلا حديثين أحدهما تعليقا والآخر نازلاً بواسطة مع أنه أدركه ولازمه ولا أخرج مسلم في صحيحه عن البخاري شيئاً مع أنه لازمه ونسج على منواله . ولا عن أحمد إلا قدر ثلاثين حديثاً ولا أخرج أحمد في مسنده عن مالك عن نافع بطريق الشافعي وهو أصح الطرق أو من أصحابها إلا أربعة أحاديث وما رواه أحمد عن الشافعي بغير هذا الطريق لا يبلغ عشرين حديثاً مع أنه جالس الشافعي وسمع منه موطأ مالك وعد من رواة مذهبه القديم .

قال الشيخ الكوثري معللاً ذلك بقوله والظاهر من ديدنهم وأمانتهم ان ذلك من جهة انهم كانوا يرون أن أحاديث هؤلاء في مأمن من الضياع لكثرة أصحابهم القائمين بروايتها شرقاً وغرباً وجل عناية أصحاب الدواوين بأناس من الرواة ربما كانت تضع أحاديثهم أولاً عنايتهم بها لأنه لا يستغنى من بعدهم عن دواوينهم في أحاديث هؤلاء دون هؤلاء ومن ظن أن ذلك لتحاميتهم عن أحاديثهم أو لبعض ما في كتب الجرح من الكلام في هؤلاء الأئمة كقول الثوري في أبي حنيفة وقول ابن معين في الشافعي وقول الكرابيسي في أحمد وقول الذهلي في البخاري ونحوها فقد حملهم شططا أ . ه .

وكما كان السبب في بعض الاحيان في ترك بعض الرواة الثقات هو الاطمئنان على حفظ مروياتهم كذلك قد يكون السبب طلب علو الاسناد فقد يكون الحديث من طريق ذلك الامام نازلاً ومن طريق غيره من الثقات عالياً فيختار صاحب الصحيح الطريق العالى اقربه من الرسول صلى الله عليه وسلم .

تحقيق معنى كون الحديث على شرط الشيخين أو أحدهما

رأى النووى وابن الصلاح وابن دقيق العيد أن معنى كون الحديث على شرط الشيخين أو أحدهما أن يكون رجال أسنده في الكتاب الذى على شرطه • ورأى العراقي : أن معنى كون الحديث على شرط الشيخين أو أحدهما أن يكون روايته متوفرة فيهم صفات الرواة في الكتاب الذى على شرطه • وقد اعترض العراقي على النووى ومن معه فقال : ليس ذلك منهم بجيد فان الحاكم خرج في خطبته للمستدرك بخلاف ما فهموه عنه فقال : وأنا استعين الله تعالى على اخراج أحاديث روايتها ثقات قد احتج بمثلها الشيخان أو أحدهما فقله بمثلها أى بمثل روايتها لا بهم أنفسهم ويحتمل أن يراد بمثل تلك الاحاديث وإنما تكون مثلها اذا كانت بنفس روايتها وفيه نظر وتحقيق المثلية أن يكون بعض من لم يخرج عنه في الصحيح مثل من خرج عنه فيه « في صفات انقبول والصحة » أو أعلى منه عند الشيخين •

طريق معرفة المثلية

وتعرف المثلية عندهما اما ينصهما على أن فلانا مثل فلان أو أرفع منه وقل ما يوجد ذلك واما بالالفاظ الدالة على مراتب التعديل كأن يقولوا في بعض من احتجابه ثقة أو ثبت أو صدوق أولا بأس به أو غير ذلك من الفاظ التعديل ثم يوجد عنهما أنهما قالا ذلك أو أعلى منه في بعض من لا يحتج به في كتابيهما •

فيستدل بذلك على أنه عندهما في رتبة من احتجابه لأن مراتب الرواة معيار معرفتها ألفاظ الجرح والتعديل •

واعترض بأن هذا القدر لا يكفي فانهم لا يكتفون بالتصحيح بمجرد حال الراوى في العدالة والاتصال من غير نظر انى غيره بل ينظرون في حالته مع من روى عنه في كثرة ملازمته له أو قلبيها أو كونه من بلده ممارسا لحديثه أو غريباً عن بلد من أخذ عنه وهذه أمور تظهر بتصفح كلامهم وعملهم في ذلك أ • هـ (١) •

(١) فيض البارى ج ١ ص ٣٦ للتيسيرى •

وفي هذا المعنى أيضا قال الحافظ الزيلعي فان هذا القدر لا يكفي لكون الحديث على شرط البخاري لأن البخاري لا ينظر الى ثقة الراوى فقط بل ملازمته لشيخ روى عنه أيضا ويمكن أن يكون الراوى ثقة في نفسه ومن رجاله ومع هذا لا يكون ملازما لهذا الشيخ الذى يروى عنه فحينئذ كيف ينبغى أن يحكم مطلقا أنه على شرطه :

ثم ثقة الراوى وضعفه قد يكون في نفسه وقد يكون بالنسبة الى شيخ معين فيكون ثقة في نفسه وضعيفا في هذا الشيخ مثل هشيم بن بشير ثقة في نفسه وضعيف في الزهرى لانه لما كتب عنه أحاديث ورجع اشند الريح في الطريق وطارت بأوراقه فكتبها عن حفظه •

وقال الكشميري ينبغى أن يوسع الأمر من ذلك فان هذا التضييق انما يناسب شأنه وعلمه وعندى يحكم عليه أنه على شرطه مالم توجد فيه علة في خصوص هذا المقام من أهل انشأان في هذا الفن — ولايلفت انى هذه الاحتمالات ليتوفر ذخيرة الحديث ولا يفقد كثير من الاحكام كما وقع على مذهب من رد الاحاديث المرسلة فانه يلزم منه أن يضيع حصة كثيرة من الدين فاعلمه •

وعلى هذا ينبغى أن يحكم على حديث من كان له امام ثقة • الخ • • أنه عنى شرط الشيخين كما حكم به الشيخ ابن الهمام رحمه الله تعالى وأرضاه أه •

اما رأى شيخ الاسلام ابن حجر فلم يرقه رأى العراقي واعترض على اعتراضه وقال ان الحاكم استعمل لفظ مثل في أعم من الحقيقة والمجاز في الأسانيد والمتون دل على ذلك صنعه فانه تارة يقول على شرطهما وتارة على شرط البخاري وتارة على شرط مسلم وتارة صحيح الاسناد ولا يعزوه لأحدهما وأيضا فلو قصد بكلمة مثل معناها الحقيقي حتى يكون المراد احتج بغيرها ممن فيهم من الصفات مثل ما في الرواة الذين خرج عنهم — لم يقل قط على شرط البخاري فان

شرط مسلم دونه فما كان على شرطه فهو على شرطهما لأنه حوى شرط مسلم وزاد *

وقال ابن حجر ووراء ذلك كله أن يروى اسنادا من فوقا من رجالهما كسماك عن عكرمة عن ابن عباس فسماك شرط مسلم فقط وعكرمة انفرد به البخاري * والحق أن ليس على شرط واحد منهما *

وأدق من هذا أن يروى عن أناس ثقات ضعفوا في أناس مخصوصين من غير حديث الذين ضعفوا منهم فيجىء عنهم حديث من طريق من ضعفوا فيه رجال كلهم في الكتابين أو أحدهما * فنسبة أنه على شرط من خرج له غلط كان يقال في هشيم عن أنزهرى وكل من هشيم وأنزهرى أخرجا له فهو على شرطهما : فيقال بل ليس على شرط واحد منهما * لأنهما إنما أخرجا له هشيم في غير حديث أنزهرى فإنه ضعف فيه وكذا همما ضعيف في ابن جريج مع أن كلا منهما أخرجا له لكن لم يخرج له عن ابن جريج شيئا *

فعلى من يعزو إلى شرطهما أو شرط واحد منهما أن ييسر ذلك السند بنسب رواية من نسب إلى شرطه ولو في موضع من كتابه * وكذا قال ابن الصلاح (١) في شرح رواية مسلم من حكم لشخص بمجرد رواية مسلم عن أنه في صحيحه وأنه من شرط الصحيح فقد غفل وأخطأ بل ذلك متوقف على النظر في كيفية رواية مسلم عنه وعلى أي درجة اعتمد عليه *

ونستخلص من كل ذلك بأنه يمكن أن يقال إن المراد بكون الحديث على شرطهما أعم من أن تتوفر في روايته صفات القبول عندهما مع مراعاة حال الراوى فيمن روى عنه وإن لم يكن الاسناد في كتابهما أو إذا توافرت الصفات مع مراعات حال الراوى في مثايخه وذكر في كتابيهما من باب أولى والله أعلم *

(١) التدريب ص ٦٧ للسيوطي *

الاتفاق على وجوب العمل بما في الصحيحين والخلاف في افادة أحاديثهما القطع أو الظن؟؟

رأى النووى أن أحاديث الصحيحين التى لم تتواتر ثابته بالظن لا بالعلم القطعى ويجب العمل بها وهو رأى الأكثرين ومحققى الأصول •
قال (١) أن المحققين والأكثرين قالوا أحاديث انصحيحين التى ليست بمتواترة تفيد الظن فانها آحاد والآحاد انما تفيد الظن : ولا فرق بين البخارى ومسلم وغيرهما فى ذلك وتلقى الامة بالقبول انما أفادنا وجوب العمل بما فيها وهذا متفق عليه ، فان أخبار الآحاد التى فى غيرها يجب العمل بها اذا صحت أسانيدها ولا تفيد الا الظن فكذا الصحيحان •
وانما يفترق الصحيحان عن غيرهما من الكتب فى كون ما فيهما صحيحا لا يحتاج الى النظر فيه بل يجب العمل به مطلقا وما كان فى غيرهما لا يعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح •
ورأى ابن الصلاح وابن حجر والسيوطى أن أحاديث الصحيحين تفيد القطع واليقين — فضلا عن الاتفاق مع النووى وغيره بأنه يجب العمل بها .

قال الحافظ أبو عمرو بن الصلاح جميع ما حكم به الشيخان مقطوع بصحته والعلم النظرى حاصل بصحته فى نفس الامر لأن الأمة تلقت ذلك بالقبول سوى من لا يعتد بخلافه ووافقه فى الاجماع قال والذى نختاره أن تلقى الامة للخبر المنحط عن درجة التواتر بالقبول يوجب العلم النظرى بصدقه خلافا لبعض محققى الأصوليين حيث نفى ذلك بناء على أنه لا يفيد فى حق كل منهم الا الظن وانما قبله لأنه يجب عاينه العمل بالظن والظن قد يخطئ •

قال ابن الصلاح وهذا مندفع لأن ظن من هو معصوم من الخطأ لا يوجد خطأ والامة فى اجماعها معصومة من الخطأ •

(١) مقدمة شرح مسلم صفحة ١٩ للنووى •

وقد قال أئمة الحرمين الجويني أو حلف انسان يطلق أمراته ان ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكم بصحته من قول النبي صلى الله عليه وسلم لما ألزمته الطلاق ولا حنث فيه لاجماع علماء المسلمين على صحتهما •

قال : ولقائل أن يقول أنه لا يحنث ولو لم يجمع المسلمون على صحتهما لشك في الحنث فانه لو حلف بذلك في حديث ليست هـذه صفته • لم يحنث وان كان راويه فاسقا فعدم الحنث حاصل قبل الاجماع فلا يضاف الى الاجماع — والجواب أن المضاف الى الاجماع هو القطع بعدم الحنث ظاهرا وباطنا • وأما عند الشك فعدم الحنث محكوم به ظاهرا مع احتمال وجوده باطنا • فعلى هذا يحمل كلام امام الحرمين فهو اللائق بتحقيقه •

فاذا علم هذا فما أخذ على البخاري ومسلم وقدح فيه معتمد من الحفاظ فهو مستثنى مما ذكرنا • لعدم الاجتماع على تلقيه بالقبول وما ذلك الا في مواضع قليلة •

قال : على ما في التدریب (١) ان ما روياه أو أحدهما فهو مقطوع بصحته والعلم القطعي حاصل فيه — خلافا لمن نفى ذلك محتجا بأنه لا يفيده الا الظن وانما تلقته الأمة بالقبول لأنه يجب العمل بالظن والظن قد يخطئ قال وقد كنت أميل الى هذا وأحسبه قويا ثم بان لي ان الذي اخترناه أولا هو الصحيح لأن ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطئ والأمة في اجماعها معصومة من الخطأ ولهذا كان الاجماع المبني على الاجتهاد مقطوعا به • وقال البلقيني ما قاله النووي وابن عبد السلام ومن تبعهما ممنوع •

فقد نقل بعض الحفاظ المتأخرين مثل قول ابن الصلاح عن جماعة من الشافعية كأبي اسحاق وأبي حامد الاسفراييني والقاضي أبي الطيب والشيخ أبي اسحاق الشيرازي — وعن السرخسي من الحنفية والقاضي عبد الوهاب من المالكية — وأبي يعلى وأبي الخطاب وابن الزاغوني

(١) ص ٧٠ تدریب الراوى •

من الحنابلة وابن فورك وأكثر أهل الكلام من الأشعرية وأهل الحديث قاطبة ومذهب السلف عامة بل بالغ ابن طاهر المقدسى فى صفة النصف فالحق ما كان على شرطهما وان لم يخرجاه •

وقال شيخ الاسلام ابن حجر ذكره النووى من جهة الأكثرين أما المحققون فلا ، فقد وافق ابن الصلاح أيضا بعض المحققين .

وقال فى شرح النخبة . الخبر المحتف بالقرائن يفيد العلم خلافا لمن أبى ذلك قال وهو أنواع منها ما أخرجه الشيخان فى صحيحهما مما لم يبلغ التوتر • فانه احتف به قرائن منها جالتهما فى هذا الشأن • وتقدمهما فى تمييز الصحيح على غيرهما وتلقى العناء لكتائبيهما بالقبول . وهذا التلقى وحده أقوى فى افادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصر عن التواتر الا ان هذا مختص بما لم ينتقده أحد من الحفاظ • وبما لم يقع التجاذب بين مدلوليه حيث لاترجيح لأحدهما على الآخر وما عدا ذلك فالاجماع حاصل على تسليم صحته •

قال وما قيل من أنهم اتفقوا على وجوب العمل لا على صحته فممنوع لأنهم متفقون على وجوب العمل بكل ما صح ولو لم يخرجاه فلم يبق للصحيحين مزية والاجماع حاصل على ان لهما مزية فيما يرجع الى نفس الصحة ويحتمل أن يقال المزية المذكورة كون أحاديثهما أصح الصحيح ثم قال ولا يحصل العلم الا للعالم المتبحر فى الحديث العارف بأحوال الرواة والعزل • وكون غيره لا يحصل له العلم لقصوره عن الأوصاف المذكورة لا ينفى حصول العلم للمتبحر المذكور أ • ه •

وقال ابن كثير فى الباعث الحثيث (١) وأنا مع ابن الصلاح فيما عول عليه وأرشد اليه قال السيوطى وهو الذى اختاره ولا أعتقد سواه •

وقال الكشميرى فى كتابه فيض البارى (٢) ان رأى ابن الصلاح ومن وافقه هو رأى قال صرح الحافظ ابن حجر رضى الله عنه ان

(١) الباعث الحثيث صفحة ٢٣ •

(٢) فيض البارى ج ١ صفحة ٤٥ •

افادتهما القطع نظريا كاعجاز القرآن فانه معجز قطعاً الا أنه نظري لا يتبين الا لمن كان له يد في العلوم العربية عن آخرها •
فان قيل ان فيهما أخبار ، آحاداً وقد تقرر في الاصول أنها لا تفيد غير الظن قلت لا خير فان هذا باعتبار الاصل وذلك بعد احتفاف الفرائن واعتراض الطرق فلا يحصل القطع الا لأصحاب الفن الذين يسرلهم الله سبحانه التميز بين الفضة والفضة ورزقهم عاماً من أحوال الرواة والمجرح والتعديل فانهم اذا مروا على حديث وتتبعوا طرقه وفتشوا رجاله وعلموا من أحوال أسناده يحصل لهم القطع • وان لم يحصل لمن لم يكن له بصر ولا بصيرة •

ثم قال ألا ترى ان الواحد جليل انقدر اذا أخبرك بأمر فنظرت الى حالته وثقافته وعلمه ودينه أيقنت بخبره كقلق الصبح ولا يبقى في نفسك قلق واضطراب وكفاك عن جماعة فان واحداً قد يزن جماعة بل يرجحهم والآخر قد يكون كريشة طائفة لا يوازي جناح بعوضة وان ابراهيم كان أمة قانتاً ومن أمته من يجيء يوم القيامة أمة واحدة •
وليس على الله بمستنكر

ان يجمع العالم في واحد •

فهذا تفاوت واختلاف بين الناس فخير الواحد مثل الأول يفوق على خبر الذين ليسوا بمثابته قطعاً ويقتينا الا أن تلك الافادة تكون لمن له معرفة في نقد الرجال وصفة الحديث وبمثله أجابوا مما كان يرد على أهل قباء حيث استنداروا الى الكعبة في صلواتهم بخبر الواحد مع أن قبلتهم كانت ثابتة بالقاطع فلم يكن التحول عنها جائزاً لهم الا بالقاطع ولم يجد غير خبر الواحد • وحاصل الجواب أنه كان عندهم خبر من قبل أن النبي صلى الله عليه وسلم يجب أن يوجه الى البيت وأنه يقلب وجهه في السماء طمعا في الوحي وأن ربه سيسارع الى مايرضاه حتى اذا جاءهم ممن وثقوا به واحتف خبره بالفرائن أذعنوا به وعلموا أن ربه ولاء وحصل لهم اليقين لأن الخبر بعد تلك الاحتفافات صار يفيد اليقين بعد ما كان ظنياً من أصله ونعم ما قال بعض العلماء ان أكثر

الاحاد كان مفيدا للعلم فى عهده صلى الله عليه وسلم ولما كان هذا أمرا لا يستطيع انكاره أحد جعل الحافظ هذا النزاع راجعا الى النزاع اللفظى فلم يبق فى نفس افادة القطع خلاف ولا شقاق وانما هو فى أن تلك الافادة — بديهية أو نظرية فمن ذهب الى أنها تفيد القطع أراد به النظرى ومن أنكرها أراد به الضرورى فإنه تحقيق تحقيق بالقبول ومن حاد فقد عدل عن المسلك القويم ♦

فان قيل وفيهما أحاديث شك فيهما الراوى بنفسه ورتدد فيها فكيف سبيل العلم بها ؟؟؟ ♦

قلت هذا الوهم نم يوجد فى نفس الحديث الذى هو مدار المسألة وانما وجد فى الأمور الزائدة التى ليست لها دخل فى الحكم كتعيين اسم الراوى أو القصة ونحوها فلا يضر فى افادة القطع وهو تحليل رائج فثبت بذلك المقطع فى افادة أحاديث النصحيحين والاتفاق على وجوب العمل بها ♦

تفاليق البخارى

المعلق وهو الذى حذف من مبدأ اسناده واحد أو أكثر وقد أكثر منه البخارى فى صحيحه فتراه يذكره فى تراجمه •
وقد يكون التعليق بلفظ فيه جزم يفيد الحكم على من علقه عنه
قال ابن الصلاح والعراقى والنووى وغيرهم فى حكمه ما كان بهـ
الصيغة بلفظ فيه جزم وحكم به على من علقه عنه فقد حكم البخارى
بصحته عنه والمعلق يشمل المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم
بغير اسناد مثل :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا والموقوف على
الصحابى مثل قال ابن عباس كذا وكذا وروى أبى هريرة كذا وكذا
والمقطوع على التابعى مثل قال سعيد بن المسيب عن أبى هريرة كذا
وكذا وعموما فهو يشمل كل ما رواه البخارى عن شيوخه
فما فوقهم مثل قال الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة
عن النبى صلى الله عليه وسلم كذا وكذا •

وأما ما أورده البخارى كذلك أى بصيغة قال وروى وذكر ونحوها
من صيغ الجزم عن شيوخه فلا ييس حكمه حكم التعليق عن شيوخه
ومن فوقهم بل حكمه حكم العنعنة من الاتصال بشرط اللقاء والسلامة
من التدليس كما قال ابن الصلاح •

ولا يقال (١) فى رواية البخارى عن شيوخه مما لم يسمعه أنه نوع
من التدليس فى الاسناد (وهو أن يروى عن عاصره ما لم يسمعه منه
— لأن فيه إيهام — لأن البخارى التزم فى كل ما يسمعه من شيوخه فى
حال التلقى والأخذ حدثنا وما يماثلها من أخبرنا أو سمعت ثم اضطلع
لنفسه فى غير ذلك حيث لم يسمع أو لم يعول على السماع) قال (وأن
يقول فى الاجازة والمناولة والمذاكرة) (قال لنا) ونحوها وبذلك يتبين
مراده ، وإذا تبين المراد فلا تدليس ولا إيهام وإنما التدليس حيث

(١) المنهج تسم المصطلح لفضيلة الشيخ السبكي ص ١٢٨ •

يسوقها الراوى ولم يكن لنفسه اصطلاح معلوم فيوهم أنه سمع ولم
يسمع) •

حكم تعاليقه المرفوعة في صيغ التمرىض

أما الصيغة الثانية فهى صيغة التمرىض مثل يذكر عن النبى صلى
الله عليه وسلم ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم كذا • وأنه روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم أو ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم كذا
وسلم كذا أو فى الباب عن النبى صلى الله عليه وسلم كذا وكذا
فلا تستفاد منها الصحة الى من علق عنه لكن فيه ما هو صحيح وفيه
ما ليس بصحيح فأما ما هو صحيح فلم يوجد فيه ما هو على شرطه
الا مواضع يسيرة جدا ووجدناه لا يستعمل ذلك الا حيث يورد ذلك
الحديث المعلق بالمعنى كقوله فى الطب :

ويذكر عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الرقى
بفاتحة الكتاب فإنه أسنده فى موضع آخر من طريق عبيد الله بن الأحنس
عن أبى مليكة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن نفرا من أصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم مروا بحى فيهم لديغ فذكر الحديث فى رقيتهم
الرجل بفاتحة الكتاب وفيه قول النبى صلى الله عليه وسلم لما أخبروه
بذلك •

ان أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله « فهذا كما ترى لما أورده
بالمعنى لم يجزم به اذ ليس فى الموصول انه صلى الله عليه وسلم ذكر
الرقية بفاتحة الكتاب انما فيه انه ام ينهم عن فعلهم فاستفيد ذلك من
تقريره وأما ما لم يورد فى موضع آخر مما أورده بهذه الصيغة فمنه
ما هو صحيح الا أنه ليس على شرطه • ومنه ما هو حسن ومنه ما هو
ضعيف فرد الا أن العمل على موافقته ومنه ما هو ضعيف فرد لا جابر له •
فمثال الأول انه قال فى الصلاة ويذكر عن عبد الله بن السائب قال
« قرأ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم - المؤمنون فى صلاة الصبح
حتى اذا جاء ذكر موسى وهارون أو ذكر عيسى أخذته سبعة ركع » وهو

حديث صحيح على شرط مسلم أخرجه في صحيحه الا أن البخارى لم يخرج لبعض رواته. وقال في الصيام ويذكر عن. أبى خالد عن الأعمش عن الحكم ومسلم البطين وسلمة بن كهيل. عن سعيد بن جبير وسلم ومجاهد « عن ابن عباس قال قالت امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم ان اختى ماتت وعليها صوم شهرين متتابعين » الحديث ورجال هذا الاسناد رجال الصحيح الا ان فيه اختلافا كثيرا في اسناده وقد تفرد أبو خالد سليمان بن حيان الأحمر بهذا السياق وخالف فيه الحفاظ من أصحاب الأعمش .

ومثال الثانى وهو الحسن قوله في البيوع « ويذكر عن عثمان ابن عفان رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له اذا بعث فكل واذا ابتعت فاكتل » وهذا الحديث قد رواه الدارقطنى من طريق عبد الله بن المغيرة وهو صدوق عن منقذ مولى عثمان وقد وثق عن عثمان به وتابعه عليه سعيد بن المسيب ومن طريقه أخرجه أحمد في المسند الا ان في اسناده ابن لهيعة ورواه ابن بى شيبة في مصنفه من حديث عطاء عن عثمان وفيه انقطاع فالحديث حسن لما عضده من ذلك ومثال الثالث وهو الضعيف الذى لا عاضد له الا انه على وفق العمل قوله في الوصايا « ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قضى بالدين قبل الوصية » وقد رواه الترمذى موصولا من حديث أبى اسحاق السببيعى عن الحارث الأعور عن على والحارث ضعيف. وقد استغربه الترمذى ثم حكى اجماع أهل العلم على القول به .

ومثال الرابع وهو الضعيف الذى لا عاضد له وهو في الكتاب قليل جدا وحيث يقع ذلك فيه يتعقبه المصنف بالتضعيف بخلاف ما قبله فمن أمثله قوله في كتاب الصلاة ويذكر عن أبى هريرة رفعه « لا يتطوع » الامام في مكانه ، ولم يصح ، وهو حديث أخرجه أبو داود من طريق ليث بن أبى سليم عن الحجاج بن عبيد عن ابراهيم بن اسماعيل عن أبى هريرة وليث بن أبى سليم ضعيف وشيخ شيوخه لا يعرف وقد اختلف عليه فيه فهذا حكم جمع ما في الكتاب من التعاليق المرشوعة بصيغتي الجزم والتبريض .

وهاتان الصيغتان قد نقل النورى اتفاق محققى المحدثين. وغيرهم على اعتبارهما وأنه لا ينبغى الجزم بشئ ضعيف لأنها صيغة تقتضى صحته عن المضاف اليه فلا ينبغى أن تطلق الا فيما صح قبال وقد أهمل ذلك كثير من المصنفين من الفقهاء وغيرهم واشتد انكار البيهقى على من خالف ذلك وهو تساهل قبيح جدا من فاعله اذ يقول فى الصحيح يذكر ويروى فى الضعيف قال وروى وهذا قلب للمعانى وحيد عـ الصواب قال :

وقد اعتنى البخارى رحمه الله باعتبار هاتين الصيغتين واعطاهما حكمهما فى صحيحه فيقول فى الترجمة الواحدة بعض كلامه بتمريض وبعضه يجزم مراعى ما ذكرنا وهذا مشعر بتحريه وورعه وعلى هذا فيحمل قوله ما ادخلت فى الجامع الا ما صح اى مما سقت اسناده والله تعالى اعلم ، أ • ه •

قال ابن حجر وقد تبين مما فصلنا به أقسام تعاليقه انه لا يفتقر الى هذا الحمل وأن جميع ما فيه صحيح باعتبار انه كله مقبول ليس فيه ما يرد مطلقا الا النادر فهذا حكم المرفوعات •

الموقوفات

أما الموقوفات فانه يجزم منها بما صح عنده ولو لم يكن على شرطه ولا يجزم بما كان فى اسناده ضعيف أو انقطاع الا حيث يكون منجبرا اما بمجيئه من وجه آخر واما بشهرته عن قتاله وانما يورد ما يورد من الموقوفات من فتوى الصحابة والتابعين من تفاسيرهم لكثير من الآيات على طريق الاستئناس والتقوية لما يختاره من المذاهب فى المسائل التى فيها الخلاف بين الأئمة فحينئذ ينبغى أن يقال جميع ما يورد به اما أن يكون مما ترجم له أو مما ترجم به فالقصود من هذا التصنيف بالذات هو الأحاديث الصحيحة المسندة وهى التى ترجم لها والمذكور بالعرض والتبع الآثار الموقوفة والأحاديث المعلقة ، نعم والآيات المكنونة فجميع ذلك مترجم به الا أنها اذا اعتبرت بعضها مع بعض واعتبرت أيضا بالنسبة الى الحديث يكون بعضها مع بعض منها مفسر ومنها مفسر

لهيكون بعضها كالمترجم له باعتبار ولكن المقصود بالذات هو الأصل
قال ابن حجر وذكر السيوطي رأي النووي وابن الصلاح في التدريب
قال :

وما أورده البخاري في الصحيح مما عبر عنه بصيغة التمرّيض وقلنا
لا يحكم بصحته ليس بواه ولا ساقط لا يراده إياه في الكتاب الموسوم
بالصحيح وعبدارة ابن الصلاح ، ومع ذلك في إيراد له في أثناء الصحيح
مشعر بصحة أصله أشعارا يؤنس به ويركن اليه أ . . . ه .

فيقول البخاري ما أدخلت في كتابي الا ما صح (١) .
محمول على مقاصد الكتاب وموضوعه ومتون الابواب المسندة
دون التراجيم وغيرها

على أن وجود هذه التراجيم انما تزيد من قوة الصحيح في كتابه
ومكانته لانها في جملتها مقوية للصحيح ومعضدة له .
ورأى ابن حجر (٢) ان ما جاء من التعليقات التي لم توصل في
موضع آخر من كتابه وان لم يكن على شرطه من الاتصال .

فلا يرد عليها اعتراض لانها ليست من موضوع الكتاب وانما ذكرت
استثناسا واستشهادا الأحاديث الاصلية في الكتاب وأن مراده بذلك أن
يكون الكتاب جامعا لأخذ الأحاديث التي يحتج بها (الا ان منها ما هو
على شرطه فساقه سياق اصل الكتاب ومنها ما هو على غير شرطه فغاير
السياق في إيراده ليمتازا فانتقى : إيراد المعلقات وبقى الكلام في علل
الأحاديث المسندات واذا علمنا أن ابن حجر بعد ذلك قد وصلها . فقد
تحقق وتأكد ما قاله بصورة أوضح من نفى إيراد اعتراض المعلقات .

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٢٠ ، ٧٢ المعلق — مقدمة مسلم للنووي ١ — ٨ التدريب ١
— ٦٢ مقدمة فتح الباري ١ — ١٢ .
(٢) مقدمة ابن الصلاح ص ٢٠ ، ٧٢ المعلق — مقدمة مسلم للنووي ١ — ٨ التدريب ١
— ٢ مقدمة فتح الباري ١ — ١٢ .

قال ابن الصلاح في مقدمة مسلم ما وقع في صحيح البخارى ومسلم
مما صورته صورة المنقطع ليس ملتحقا بالمنقطع في خروجه من حيز
الصحيح الى حيز الضعيف ويسمى هذا النوع تعليقا •

أهمية تعاليق البخارى ووصلها

وقد شعر المتقدمون بأهمية تعاليق البخارى وأنها مفتقرة الى أن
يصنف فيها كتاب خاص تسند فيه تلك المعلقات وتبين درجتها وقد صرخ
بذلك — على ما في مقدمة الفتح أبو عبد الله بن رشيد في كتاب ترجمان
التراجم •

وقد انبرى لهذا الميدان الفسيح الحافظ بن حجر الذى تخصص
في جامعة صحيح البخارى فقدم بذلك للحديث والمحدثين وحماة السنة
ومحبيها أجمل فضل وكان صاحب السبق في وصل المعلقات المرفوعة
ومعها المتابعات في مقدمته قال : وما علمت احدا تعرض للتصنيف في ذلك
وانه لهم لمن له عناية بكتاب البخارى وعقد فصلا في مقدمته سباق
فيه تعاليق الصحيح المرفوعة وأشار الى من وصلها •

وأضاف الى ذلك المتابعات لالتحاقها بها وبدأها على ترتيب ابواب
الصحيح فيقول مثلا (من بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم) متبعة عبد الله بن يوسف عن الليث وصاحب المؤلف في الانبياء
وفي التفسير ومتابعة ابي صالح عنه وصلها يعقوب ابن سيفان في
تاريخه عنه وفي الايمان حديث عبد الله بن عمر •

(والمسلم من سلم) الحديث رواية أبى معاوية فيه وصلها اسحاق
ابن راهوية في مسنده عنه ووصلها ابن حبان في صحيحه وفي (باب
الاستئثار في الوضوء) قوله (ويذكر عن جابر أن النبى صلى الله عليه
وسلم كان في غزوة ذات الرقاع) الحديث هو مختصر من حديث طويل

وصله أبو يعلى في مسنده وابن خزيمة في صحيحه وأبو داود وغيرهم رواية شعبية عن الأعمش وصلها مسلم •
وعلى هذا النمط سار في وصل المتابعات والمعلقات المرفوعة مما يدل على سعة أفقه وقوته العلمية •

ولم يقف ابن حجر عند هذا الحد بل سمت همته فوصل جميع المعلقات من الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة والمتابعات الموجودة في الصحيح وذكرها بإسنادها إلى المكان المعلق في مؤلف خاص سماه (تغليق - التعليق) فجاء كما يقول ابن حجر كتابا حافلا وجامعا كاملا لم يفرد أحد بالتصنيف •

ولكن مع الأسف أن هذا الكتاب الذى أشاد به ابن حجر ونبه على أهميته لم يلق عناية ما من المحدثين والهيئات العلمية على أهميته في توثيق هذه الثروة الفريدة من المعلقات والمتابعات في الصحيح - بل أن كل ما صادفته في كتب الكاتبين في هذا العصر في المعلقات انهم ينقلون اسم الكتاب خطأ نقلا عن المقدمة لوجوده فيها كذلك ولم يكلفوا انفسهم التحقق من اسمه فهم ينقلونه هكذا (تعليق التعليق) وهو تغليق التعاليق كما رأيت ولتسميته بموضوعه علاقة لأنه غلق كل ما علق وما لأ فراغ الاسناد، قال ابن حجر: سميت تغليق التعليق لأن أساسه كانت كالأبواب المفتوحة فغلقت، وقد اطلعت عليه مخطوطا في المكتبة الأزهرية والامل كبير أن تمتد إليه يد مخلص من الهيئات أو الافراد المخلصين للسنة حتى يطبع هذا الكتاب الذى هو في الواقع عماد قوى وسند متين في تقوية الثقة بما وجد من المعلقات والمتابعات في اصح كتاب بعد كتاب الله وكتاب تغليق التعليق لابن حجر موجود مخطوط بالمكتبة الأزهرية السقا تحت رقم ٢٨٥٠٢ •

وقد عقد ابن حجر في مقدمته فصلا ساق فيه رجال من علق البخارى شيئا من حديثهم وتكلم فيهم. قال فيه وما يعلقه البخارى من أحاديث هؤلاء انما يورده في مقام الاسـتـشهاد وتكثير الطرق فلو كان ما قيل فيهم « فرضا » قادحا ما ضر ذلك أه أو على أن هذه التعاليق التى لم

يجعلها البخارى من أصل موضوع كتابه لا لشيء إلا لأنه اشترط الاتصال والزم نفسه به في موضوع كتابه — وهى عند غيره من الصحيح الذى هو من أصول الكتاب وهذا اصطلاح أمام دار الهجرة مالك بن أنس رضى الله عنه حيث جعلها من موضوع كتابه فاعتبرها من الصحيح عامة — فإذا أضيف الى ذلك وصل ابن حجر لها مع ما تقدم من أنه أوردها به استشهادا وتكرارا بما أورده في الاصول ترداد ثباتا وقوة وأصبح لا مجال مطلقا لاعتراض فيها •

اغراض البخارى فيما جزم به عن المضاف اليه في المرفوع

وقد قسم (١) ابن حجر المعلق من المرفوعات الى قسمين .
القسم الأول — ما يوجد في موضع في كتابه الجامع موضوعا فالتسبب ايراده • أنه يورده معلقا حيث يضيق مخرج الحديث اذ من قاعدته أنه لا يكرر الا لفائدة فهمتى ضاق المخرج واشتمل المتن على احكام فاحتاج الى تكرير فانه يتصرف في الاسناد بالاختصار خشية التطويل لضيق المخرج واشتمال المتن على احكام متعددة فاحتاج الى التكرير والتصرف في الاسناد •

الثانى مالا يوجد فيه الا معلقا وها هى اغراضه فيما ذكره بصيغة الجزم وذلك على أقسام •

١ — لا يلتحق بشرطه والسبب في عدم ايصاله اما الاستغناء بغيره عنه مع افادة الاشارة اليه وعدم اهماله بايراده معلقا اختصارا واما كونه لم يسمعه من شيخه أو سمعه مذاكرة أو شك في سماعه فما رأى أنه يسوقه مساق الاصول •

مثاله : قوله في الوكالة : قال عثمان بن الهيثم حدثنا عون بن محمد بن سيرين عن ابي هريرة قال وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة رمضان وأورده في (فضائل القرآن) وفي ذكر ابليس ولم يقل في موضع منها حدثنا عثمان فالظاهر عدم سماعه له منه •

(١) المقدمة د = ص ١٢ •

قال شيخ الاسلام ابن حجر وقد استعمل الصيغة فيما لم يسمعه من مشايخه في عدة أحاديث فيوردها عنهم بصيغة ♦

قال فلان ، ثم يوردها في موضع آخر بواسطة بينه وبينهم كما قال في التاريخ : وقال ابراهيم بن موسى نبأ هشام بن يوسف وذكر حديثا ثم يقول حدثوني بهذا عن ابراهيم ♦

وقال ولكن ليس مطردا في كل ما أورده في هذه الصيغة على أنه سمعه من شيوخه قال السيوطي : قولنا (يلتحق بشرطه) ولم نقل أنه على شرطه لأنه وإن صح فليس من نمط الصحيح المسند فيه نبه عليه ابن كثير ♦

٢ — ما لا يلتحق بشرطه ولكنه صحيح على شرط غيره ♦
مثاله : قوله في الطهارة وقالت عائشة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله عنى احيائه — فإن مسلما قد أخرجه في صحيحه ♦

٣ — ما هو حسن صالح للحجية :
مثاله قوله : وقال بهز بن حكيم عن أبيه عن جده : الله أحق أن يستحى منه ♦ فهو حديث حسن مشهور أخرجه أصحاب السنن ♦

٤ — ما هو ضعيف لا من جهة قدح برجاله ولكن من جهة انقطاع يسير في اسناده ♦

قال الاسماعيلي : قد يضع البخاري ذلك اما لأنه سمعه من ذلك الشيخ بواسطة من يثق به عنه وهو معروف مشهور عن ذلك الشيخ واما لأنه سمعه ممن ليس من شرط الكتّاب فنبه على ذلك الحديث بتسميته من حدث به لا على التحديث به عنه :

مثاله قوله في الزكاة وقال طاووس قال معاذ بن جبل لاهل اليمن أيتوني بعرض ثياب خميض أو لبيس في الصدقة مكان الشعير والذرة اهون عليكم وخير لأصحاب محمد فاسناده الى طاووس صحيح الا أن طاووسا لم يسمع من معاذ فكل ما كان كذلك بصيغة الجزم فانه يفيد الصحة الى من علق عنه ♦

وقد قال الامام ابن حجر (١) غاما ما اعترض به بعض المتأخرين بنقضه هذا الحكم في صيغة الجزم وأنها لا تفيد الصحة الى من علق عنه بأن المصنف أخرج حديثا قال فيه قال عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال لا تفاضلوا بين الأنبياء الحديث فان أبا مسعود الدمشقي جزم بأن هذا ليس بصحيح لأن عبد الله بن الفضل إنما رواه عن الأعرج عن أبي هريرة لا عن أبي سلمة ثم قوى ذلك بأن المصنف أخرجه في موضع آخر موصولا فقال :

عن عبد الله بن الفضل عن الأعرج عن أبي هريرة :
فهذا اعتراض مردود والقاعدة صحيحة لا تنتقض بهذا الايراد المواهى وقد روى الحديث المذكور أبو داود الطيالسي في مسنده عن عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة عن أبي هريرة كما علقه البخارى سواء ، فبطل ما ادعاه ابو مسعود من ان عبد الله بن الفضل لم يروه الا عن الأعرج وثبت أن لعبد الله بن الفضل فيه شخا — فلا اعتراض .

الاعتبارات والمتابعات والشواهد .

والاعتبار (٢) هو سير الحديث والنظر فيه وليس قسيما للمتابعات والشواهد بل هو الطريق الى معرفتها .
فاذا روى حماد مثلا حديثا عن أرب عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضى الله عنه فالاعتبار أن ينظر هل تابع حمادا ثقة فروى ذلك الحديث عن أيوب فان لم يجد الباحث نظر فيمن بعده هل تابع أيوب ثقة عن ابن سيرين والا فثقة غير ابن سيرين عن أبي هريرة والافصجابى غير أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أو ينظر هل وجد حديث آخر بمعناه فاذا وجد ذلك علم ان له أصلا يرجع اليه والا فلا فهذا النظر هو الاعتبار ومنه يعلم المتابعات والشواهد .

(١) المقدمة ١٢/١ .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص ٩٠ وشرح النووى والبخارى ص ١٣ والمعينى ح ١ ص ٨ .

فالمتابعة بأن يروى هذا الحديث عن أيوب غير حماد أو عن ابن سيرين غير أيوب أو عن أبي هريرة غير ابن سيرين أن عن النبي غير أبي هريرة فكل نوع من هذه يسمى متابعة وأفضلها الأولى فتسمى المتابعة التامة ثم على الترتيب وسببه ان المتابعة تقوية والمتأخر الى انتقوية أحوج *

والشاهد بأن يروى حديث آخر بمعنى ذلك الحديث *
ويسمى المتابع شاهدا ولا ينعكس ويدخل في المتابعات والشواهد بعض من لا يحتج به ولا يصلح لذلك كل ضعيف ولهذا يقول الدارقطني وغيره في الضعفاء فلان يعتبر به وفلان لا يعتبر به والسبب في أنه يدخل فيهما من لا يحتج به أنهما للتقوية فقط والاستثناس لا للتأسيس وان الأصل أغنى عنهما ، فالبخاري يأتي بالمتابعة ظاهرة كقوله فيمن رواه حماد عن أيوب عن ابن سيرين تابعه مالك عن أيوب أى تابع مالك حماد فرواه عن أيوب كرواية حماد فالضمير في تابعه يعود الى حماد وتارة يقول تابعه مالك ولا يزيد فيحتاج اذن الى معرفة طبقات الرواة ومراتبهم *

وقال شيخ الاسلام ابن حجر على ما في التدريب (١) قد يسمى الشاهد متابعة أيضا ، والأمر سهل مثال ما اجتمع فيه المتابعة التامة والفاصرة والشاهد ما رواه الشافعي في الام عن مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين فهذا الحديث بهذا اللفظ ظن قوم أن الشافعي تفرد به عن مالك فعدوه من غرائبه لان اصحاب مالك رووه عنه بهذا الاسناد بلفظ فان غم عليكم فتأقذروا له — لكن وجدنا للشافعي متابعا وهو عبد الله ابن مسلمة ، القعنبى ، كذلك أخرجه البخاري عنه عن مالك وهذه متابعة تامة *

وجدنا له متابعة قاصرة في صحيح ابن خزيمة من رواية عاصم

(١) التدريب ص ١٥٥ *

ابن محمد عن أبيه محمد بن زيد عن جده عبد الله بن عمر فأكملوا ثلاثين ورواه البخاري من رواية محمد بن زياد عن أبي هريرة بلفظ فان أغمى عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين وذلك شاهد بالمعنى أ هـ .
ومثال المتابعة من دراسة صحيح البخاري في باب (١) أهل العلم والفضل أحق بالامامة حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثنا ابن وهب قال حدثني يونس عن ابن شهاب عن حمزة بن عبد الله أنه أخبره عن أبيه قال لما استند برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه قيل له في الصلاة فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت عائشة ان أبا بكر رجل رقيق اذا قرأ غلبه البكاء قال مروه فيصل فعاودته قال مروه فيصل انكن صواحب يوسف تابعه الزبيدي وابن أخى الزهري وانشاق بن يحيى الكلبي عن الزهري وقال عقيل ومعمز عن الزهري وعن حمزة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ومثال المتابعة أيضا (باب (٢) ما قيل في شهادة الزور) يقول الله عز وجل (والذين لا يشهدون الزور) وكتمان الشهادة (ولا تكتتموا الشهادة ومن يكتتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) تلوا ألسنتكم بالشهادة حدثنا عبد الله بن منير سمع وهب بن جرير .
وعبد الملك بن ابراهيم قال حدثنا شعبة عن عبيد الله بن أبي بكر ابن أنس عن أنس رضى الله عنه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكبائر قال الاشرار بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور تابعة غندر وأبو عامر وبهز وعبد الصمد عن شعبة .

عدد أحاديث (٣) صحيح البخاري وأبوابه

قال الحافظ بن حجر العسقلاني انى عدتها فبلغت بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعين حديثا قال وجملة ما فيه التعاليق ألف وثلثمائة وواحد وأربعون وأكثرها مخرج في

(١) صحيح البخاري ص ١ - ١١٢ كتاب الجاعة والامام .

(٢) صحيح البخاري ٣ - ١٥٠ - كتاب الشهادات .

(٣) مقدمة الفتح ج ٢ ص ١٨٢ .

أصول متونه والذي لم يخرج مائة وستون قال وفيها من المتابعات والتتبيها على اختلاف الروايات ثلاثمائة وأربعة وثمانون وقال في المقدمة ان ما وقع في صحيح البخارى من الاحاديث الموصولة بدون تكرار الفا حديث وأربع مائة وستون حديثاً ومن المتن المعلقة المرفوعة التي يصلها في موضع آخر من الجامع مائة وتسعة وخمسون حديثاً فجميع ذلك الفا حديث وستمائة وثلاثة وعشرون حديثاً وقال التوقادى صاحب مفتاح الصحيحين جميع أبواب صحيح البخارى على ما أحرزته ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون (١) . وقد أيد كلام ابن حجر بعد أن ذكر فصلا عدد فيه ما لكل صاحب في صحيح البخارى في الموصول بلا تكرير فوجدما ٢٦٠٢ كما قال ابن حجر .

وقد قال ابن حجر في المقدمة فجميع ما في الكتاب على هذا بالمرر تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثاً وهذه العدة خارجة عن الموقوفات على الصحابة والمقطوعات عن التابعين فمن بعده وقد استوعبت وصل جميع ذلك في كتاب تغليق التعليق وهذا ما حررته من عدة أحاديث البخارى تحريراً بالغاً فتح الله به لا أعلم من تقدمنى اليه وأنا مقرر بعدم العصمة والسهو والخطأ والله المستعان .

آدب طالب (٢) الحديث البخارى

قال أبو العباس الوليد بن ابراهيم بن زايد الهمذاني لما بلغت مبلغ الرجال تأقت نفسي الى طلب الحديث فقصدت محمد بن اسماعيل البخارى وأعلمته مرادى فقال لى يابنى لا تدخل فى أمر الا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره — ثم بين له البخارى آداب طالب الحديث وعدته فبين أنه يحتاج الى كتابة أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ونشريعاته والصحابة ومقاديرهم والتابعين وأحوالهم وسائر العلماء وتواريخهم مع اسماء رجالها وكتاهم وامكنتهم وازمنتهم — كما التحميد مع الخطيب والدعاء مع التوسل والبسملة مع الصورة والتكبير

(١) مفتاح الصحيحين للتوقادى ص ٤ .

(٢) تدریب الراوى ص ٣٥٧ ومقدمة التسطلانى ص ٧ .

مع الصلوات مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات في صغره وفي ادراكه وفي شبابه وفي كهولته عند شغله وعند فزاعه وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار وانبلدان والبراري على الاحجار والاصداف والجلود والاكتاف الى الوقت الذي يمكنه نقلها الى الأوراق عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه وعن كتاب أبيه وتيقن أنه بخط أبيه دون غيره لوجه الله تعالى طالباً لمرضاته والعجل بما وافق كتاب الله تعالى منها ونشرها بين طالبها والتأليف في أحياء ذكره بعد ، ثم لا تتم هذه الأشياء الا بمعرفة الكتاية واللغة والصرف وانحو وهذه من كسب العبد ثم هو في حاجة الى اعطاء الله تعالى من الصحة والقدرة والحرص والحفظ فاذا صحت له هذه الأشياء هان عليه الأهل والولد والمال والوطن وابتلى بثماتة الإغذاء ومملامة الأصدقاء وطعن الجهلاء وحسد العلماء فاذا صبر على هذه المحن أكرمه الله تعالى في الدنيا بعز القناعة وبهيبة اليقين وبلذة العلم وبحياة الأبد واثابة في الآخرة بالشفاعة لمن أراد من اخوانه ♦

وبظل العرش حيث لا ظل الا ظله وبسقى من أراد من حوض محمد صلى الله عليه وسلم وبجوار النبيين في أعلى عليين في الجنة فقد أعلنك يا بني بمجملات جميع ما كتبت سمعت من مشايخي متفرقا في هذا الباب فاقبل الآن على ما قصدتني له أو دع ♦

الباب الرابع

فقه البخارى

محمد بن اسماعيل فقيه هذه الأمة
أبو نعيم بن حماد الخزاعي



المحدثون والفقهاء في عصر البخاري وشيوخه (١)

في ذلك العصر كثر تدوين الحديث والأثر في بلدان الاسلام وكتابة النسخ والنسخ حتى قل من يكون من أهل الرواية الا كان لهم تدوين أو صحيفة أو نسخة .

فطاف من أدرك من عظمائهم ذلك الزمان — بلاد الحجاز والشام والعراق ومصر واليمن وخراسان وجمعوا الكتب وتتبعوا النسخ وأمعنوا في غريب الحديث ونوادير الأثر فاجتمع باهتمام أولئك من الحديث والآثار ما لم يجتمع لأحد قبلهم وخلص اليهم عن طرق الحديث شيء كثير حتى كان يكثر من الأحاديث عندهم مائة طريق فما فوقها .

فكشفت بعض الطرق ما استتر في بعضها الآخر وعرفوا محل كل حديث من الغرابة والاستنباط وأمن لهم النظر في المتابعات والشواهد وظهر عليهم أحاديث كثيرة لم تظهر على أهل الفتوى من قبل قال الشافعي لأحمد : أنتم أعلم بالأخبار الصحيحة منا فإذا كان خبر صحيح فأعلموني حتى أذهب إليه كوفيا كان أو بصريا أو شاميا — حكاه ابن الهمام . وذلك بأنه كم من حديث صحيح لا يرويه الا أهل بلد خاصة كأفراد الشاميين والعراقيين أو أهل بيت خاصة كنسخة بريد عن أبي بردة عن أبي موسى : فمثل هذه الأحاديث يغفل عنها أهل الفتوى .

واجتمعت عندهم آثار فقهاء كل بلد من الصحابة والتابعين وكان الرجال فيما قبلهم لا يتمكن من جمع حديث بلده وأصحابه . وأمعنت

(١) مقتبس من كتاب حجة الله البالغة لولي الله الدهلوي ١/١٤٨ .

هذه الطبقة في هذا الفن وجعلوه شيئاً مستقلاً بالتدوين والبحث وناظروا في الحكم بالصحة والانقطاع على من سبقهم فبقد كان سفيان ووكيع وأمثالهما يجتهدون غاية الاجتهاد فلا يتمكنون من الحديث المرفوع المتصل الا من دون ألف حديث كما ذكر أبو داود السجستاني في رسالة الى أهل مكة •

وكان أهل هذه الطبقة يروون دون ألف حديث فما يقرب منها بل صح عن البخاري أنه اختصر صحيحه من ستة آلاف حديث •

وعن أبي داود أنه اختصر سننه من خمسة آلاف حديث • وجعل أحمد مسنده ميزانا يعرف به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فما وجد فيه ولو بطريق منه فله أصل والا فلا أصل له فكان رعوس هؤلاء عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان ويزيد بن هارون وعبد الرزاق وأبو بكر بن أبي شيبة ومسدد وهناء وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية والفضل بن دكين وعلي بن المديني وأقرانهم وهذه الطبقة هي الطراز الاول من طبقات المحدثين فرجع المحققون منهم بعد أحكام فن الرواية ومعرفة مراتب الأحاديث الى الفقه وأحكامه •

منهج المحدثين في استنباط الاحكام

لم يكن في ذلك انعصر من الرأي أن يجتمع على تقليد رجل ممن مضى : مع ما يرون من الأحاديث والآثار والمناقضة في كل مذهب من تلك المذاهب فأخذوا يتتبعون أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة والتابعين والمجتهدين — على قواعد أحكموها في نفوسهم •

قال الدهلوي : وأنا أبينها لك في كلمات يسيرة — كان إذا وجد في المسألة قرآن ناطق فلا يجوز التحول عنه الى غيره •

وإذا كان القرآن محتملاً لوجوه فالسنة قاضية عليه — فإذا لم يجدوا في كتاب الله أخذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء

كان مستفيضاً دائراً بين الفقهاء • أو لم يعملوا به ومتى كان في المسألة حديث فلا يتتبع خلاف أثر من الآثار ولا اجتهد أحد من المجتهدين •

وإذا فرغوا جهدهم في تتبع الأحاديث ولم يجدوا في المسألة حديثاً أخذوا بأقوال مجاعة من الصحابة والتابعين ولا يتقيدون بقوم دون قوم ولا بلد دون بلد كما كان يفعل من قبلهم (١) •

فان اتفق جمهور الخلفاء والفقهاء على شيء فهو المقنع وان اختلفوا أخذوا بحديث أعلمهم وأورعهم ورعا أو أكثرهم ضبطاً أو ما اشتهر عنهم فان وجدوا شيئاً يستوى فيه قولان في مسألة ذات قولين فان عجزوا عن ذلك أيضاً تأملوا في عمومات الكتاب والسنة وإيمائهما وحملوا نظير المسألة عليها في الجواب اذا كانتا متقاربتين بآدى الرأى لا يعتمدون في ذلك على قواعد الاصول ولكن على ما يخلص الى الفهم ويثلج به الصدر كما أنه ليس ميزان التواتر عدد الرواه ولا حائهم ولكن اليقين الذى يعقبه في قلوب الناس — كما كان الحال عند الصحابة — وكانت هذه الأصول مستخرجة عن صنيح الأوائل وتصريحاتهم ، وعن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر اذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به وان لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر سنة قضى بها فان أعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتأني كذا وكذا فهل علمتهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك القضاء ؟ فربما اجتمع اليه نفر كلهم يذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء فيقول أبو بكر : الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ سنة نبينا فان أعياه ان يجد فيه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رعوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به وعن شريح أن عمر بن الخطاب كتب اليه ان جاء لك شيء في كتاب الله فاقض به ولا يلفتك عنه الرجال فان جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر

(١) مقتبس من حجة الله البالغة ١/١٥١ •

سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض به فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر — ما اجتمع عليه الناس فخذ به فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أى الأمرين شئت ان شئت أن تجتهد برأيك ثم تقدم فتقدم وان شئت تتأخر فتأخر ولا أرى التأخير الا خيرا لك *

وبالجملة فلما مهدوا الفقه على هذه القواعد فلم تكن مسألة من المسائل التى تكلم فيها من قبلهم والتى وقعت في زمانهم الا وجدوا فيها حديثا مرفوعا متصلا أو مرسلا أو موقوفا صحيحا أو حسنا أو صالحا للاعتبار أو وجدوا أثرا من آثار الشيخين — (أبى بكر وعمر) أو سائر الخلفاء وقضاة الانصار وفقهاء البلدان أو استنباطا من عموم أو ايماء أو اقتضاء فيسير الله لهم العمل بالسنة على هذا الوجه .. وكان أعظمهم شأنًا وأوسهم رواية وأعرفهم بالحديث مرتبة وأعمقهم فقهًا — أحمد بن محمد بن حنبل ثم اسحاق بن راهوية وهما من أساتذة البخارى ومعاصريه — وكان ترتيب الفقه على هذا الوجه يتوقف على جمع شئ كثير من الأحاديث والآثار حتى سئل احمد : يكفى الرجل مائة ألف حديث يفتى ؟

قال : لا — حتى خمسمائة ألف حديث * قال :

أرجو ، كذا في غاية المنتهى ، مراده الافتاء على هذا الأصل ثم أنشأ الله تعالى قرنا آخر فرأوا أصحابهم قد كفوهم مؤونة جمع الأحداث وتمهيد الفقه على أصلهم فتفرغوا لفنون أخرى كتمييز الحديث الصحيح المجمع عليه بين كبار أهل الحديث كزيد بن هارون ويحيى بن سعيد القطان وأحمد واسحاق وأضرابهم :

وكجمع أحاديث الفقه : اثنتى بنى عليها فقهاء الأمصار وعلماء البلدان مذاهبهم *

وقد حكم على كل حديث بما يستحقه * وكالشاذة من الأحاديث

أتى لم يرووها أو طريقها التي لم يخرج من جهتها الأوائل مما فيه اتصال أو علو سند أو رواية فقيه عن فقيه أو حافظ عن حافظ ونحو ذلك من المطالب العلمية وهؤلاء هم البخاري ومسلم وأبو داود وعبد بن حميد والدارمي وابن ماجه وأبو يعلى والترمذي والنسائي والدارقطني والحاكم والبيهقي والخطيب والديلمي وابن عبد البر وأمثالهم •

وكان أوسعهم علما عندى وأنفعهم تصنيفاً وأوسعهم ذكراً رجال أربعة :

(البخاري ، مسلم ، أبو داود السجستاني ، أبو عيسى الترمذي)
— أولهم — أبو عبد الله البخاري وكان غرضه تجريد الأحاديث الصحاح المستفيضة المتصلة من غيرها واستنباط الفقه والسيرة والتفسير منها فصنف •• بإجماعه الصحيح •• ووفى بما شربط قال الدهلوي : وبلغنا أن رجلاً من الصالحين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه • وهو يقول :

مالك اشتغلت بفقه محمد بن ادريس وتركت كتابي ؟

قال : يا رسول الله وما كتابك ؟

قال : صحيح البخاري — ولعمري انه نال من الشهرة والقبول درجة لا يرام فوقها .

منهج البخاري في تدوين فقهه وأثره

أما منهج البخاري • فهو وان اتفق بالنسبة لمصدره مع الأئمة في الاستنباط من الكتاب والسنة •

الا أنه يختلف عنهم من حيث طريقة تدوين الأحكام فلم ينهج نهجهم في فرز الأحكام عن أصولها • ولكنه يترجم بها للحديث • ولذا قالوا : فقه البخاري في تراجمه وقد يعلق على الأحاديث أحياناً في عقبها بالرأى ويدعم الحكم بمعلقات الصحابة والتابعين وأقوالهم الفقهية • وقد يكتفى بها تعبيراً عن رأيه •

وهى طريقة لها مميزاتها — وهى الاطمئنان الى الأصل الذى أخذ منه الحكم والاطمئنان الى الحكم الذى أيده الصحابى أو التابعى أو قال به — وفتح الباب أمام المجتهد المؤهل : ليرى مدى علاقة الحكم وصلته بالحديث أو الآية ورأيه فى ذلك وإذا امتازت طريقة البخارى فى تدوين فقهه بهذه المميزات فطريقة الفقهاء لها مميزاتها العظمى فهى تمتاز بكثرتها وتفصيلها للأحكام لتفرغهم لهذه الناحية واقتصارهم عليها بخلاف البخارى فإنه كما تعرض للفقه فى أبوابه تعرض — للعقيدة والسيرة والأدب وغير ذلك فلم يبلغ فى كثرة الأحكام وتعريفها مبلغهم * وكلا الطريقتين تعاونتا على حفظ دين الله وأحكامه فقد كان تدوين الحديث فى ذلك العصر الذهبى للسنن الذى كان البخارى هو رائد ازدهاره وجاء هذا العصر عقب عصر الفقهاء الأربعة فكان الهام من الله وتدعيما لآراء الفقهاء وتثبيتا لها على مر الدهور بعرض أحكام ما استنبطوا منه أحكامهم حتى تعطى الأحكام صبغة الثبات والخلود هذا بالاضافة الى ما دون ذلك فى عصر الفقهاء فى كتبهم كالموطأ ومسنند الامام أحمد وهكذا تحقق قول الله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فحفظه كتابا يتلى وسنة موحاه ايضا كما — وتفصيلا لأحكامه — وقوانين مدونة من الوحي قرآنا وسنة — هى الفقه وتحقق قوله عليه السلام : « يحفظ هذا العلم فى كل زمن عدوه فحفظ الحديث بفرز ثماره فى عصر الفقهاء وفى بعض الاحيان مع بعض الأصول » * ثم حفظ بالاضافة الى ثماره كما هو فى صحيح البخارى وحفظ أصولا لم تستخرج أحكامها معها كما فى صحيح مسلم حيث ساق الحديث ولم ييؤب له *

وشاء الله الذى وعد بحفظ دينه هذا النظام البديع — تحفظ السنة ويجمع الكثير منها فى عصر الصحابة والتابعين ثم تجمع الأحاديث وتبويب منها أبواب الفقه وقوانينه ثم تجمع الأصول مرة أخرى فى صورة زاهية مدعمة للأحكام السابقة ثمرة الأحكام الفقهاء مرجحة لبعض جوانب الخلاف الفرعى ومعروضة أمام المجتهد يقتبس منها ويستخلص الحكم

لما يجد في فروع الحياة العامة من مسائل مطبقا على اصول الاسلام
وروح الشريعة ويرجح ما شاء من أحكام الخلاف والرجل وذكاءه والرجل
وفطنته •

وهذا ما لم يتوفر لأي تراث أو قانون على الاطلاق •

هل البخارى من منتسب لمذهب معين ؟

لقد تنازع أتباع الأئمة الأربعة نسبة مذهب البخارى اليهم •
فترجم له ابن السبكي في طبقات الشافعية ترجمة ضافية (١) وروى
أنه سمع من الزعفراني • وأبي ثور • والكرابيبي • وثقفه على
الحميدي وكلهم من أصحاب الشافعي ولم يرو عن الشافعي في الصحيح
لأنه أدرك أقرانه • والشافعي مات مكتهلا فلا يرويه نازلا •
وروى عن الحسين وأبي ثور مسائل عن الشافعي • وذكر الشافعي
في موضعين في جامع الصحيح في باب الركاز الخمس •
وفي باب العرايا والبيوع — ورقم شيخنا المزي في التهذيب
للشافعي بالتعليق وذكر هذين المكانين أ • ه •

كما ترجم له الفراء في طبقات الحنابلة (٢) • ومعلوم بأن من
استأذنه الامام احمد بن حنبل ، وقال المالكية : هو مانكي — روى الموطأ
عن عبد الله بن يوسف التنيسي وسعيد بن عنبر وابن بكير • وقال
الاحناف : ان استأذه الذي أشار عليه بجمع الصحيح اسحاق بن
راهوية وهو حنفي — وقد تلقى عنه البخارى فهو حنفي •

وهذه أدلة لاثبات لها — يشير الى وهنها • تعارضها •
فليست الرواية عن شخص تستلزم أن يكون الآخذ متبعا لمذهب
من أخذ عنه ويكون غير مجتهد — ولو كان الأمر كذلك لكان كل أمام من

(١) طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ٤/٢ •

(٢) طبقات الحنابلة ١/٢٧١ •

الأئمة على مذهب السابق له مع أن الأمر ليس كذلك فمن المعلوم أن الشافعي رضى الله عنه تتلمذ على الامام مالك رضى الله عنه وحفظ موطأه وأخذ الامام أحمد عن الشافعي فقهه وأخذ الشافعي عن الامام أحمد الحديث وكان يقول للامام أحمد : أنتم أعلم بالأخبار الصحيحة منا فإذا كان خبر صحيح فأعمدوني حتى أذهب اليه كوفيا كان أو بصريا أو شاميا •

وأخذ الامام مالك أكثر فقهه عن ربعة الرأي وحكى : أن ربعة تسليم عن أبي حنيفة وأخذ أبو حنيفة عن ابراهيم النخعي ثم ان محمدا ابن الحسن أحد أركان المذهب الحنفي تفقه على أبي حنيفة وأبى يوسف ثم رجع الى نفسه فطبق مذهبه على الموطأ ثم خرج الى المدينة فقرأ الموطأ على الامام مالك •

وكل هؤلاء من الأئمة الاعلام فقهاء مجتهدون واستفادوا ممن سبقهم واجتهدوا في استنباط الأحكام طبقا للكتاب والسنة وما يشيران به من أقوال الصحابة والتابعين والقياس والاجماع فأبرزوا للعلم ثروة فقهية قانونية مرجعا ومادة واسعة للتشريع الاسلامي وهكذا شأن البخاري حفظ الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين وأقوالهم واطلع على الفقه عامة فأصبح صاحب ملكة صافية في استنباط احكام من الحديث باجتهاده مستتيرا بثروته العلمية والفقهية •

يقول الكشميري (١) : ان البخاري مجتهد لا ريب في ذلك وما اشتهر أنه شافعي فلموافقته اياه في المسائل المشهورة والافواظ، تلامذته الاكابر، ليس أقل مما وافق فيه الشافعي وكونه من تلامذة الحميدي • ولا ينفع لأنه من تلامذة اسحاق بن راهوية أيضا وهو حنفي فعده شافعيًا باعتبار الطبقة ليس بأولى من عده حنفيًا وأما الترمذي فهو شافعي المذهب لم يخالفه صراحة الا في مسألة الأبراد والنسائي وأبو داود حنبلان صرح به الحافظ ابن تيمية — وزعم آخرون

(١) نبيض الباري ج ١ ص ٥٨ •

أنهما شافعيان وأما مسلم وابن ماجه فلا يعلم مذهبهما وأما أبواب مسلم
فلنست مما وضعها المصنف رحمه الله تعالى بنفسه ليستدل منها
على مذهبه . أ + ه +

ولا يصح أن يقال أن البخارى مجتهد مذهب يهجة أنه لم يؤثر
عنه أنه أصل الأصول كالشافعى اذ لو صح هذا المقياس لما كان الامام
مالك وأبو حنيفة من المجتهدين على الاطلاق (١) +

ومن الناحية التطبيقية فان الدارس لصحيح البخارى وتراجمه
يجد أنه لم يلتزم مذهبا معينا بل هو دائر مع معنى الحديث يستنبط
منه الحكم المناسب عنده وافق أى مذهب أو خالفه مستدلا على ايضاح
معنى الحديث بما يرويه من المعلقات والآثار الموقوفة على الصحابة
والتابعين ثم هو على معرفة واسعة بفقهاء الصحابة والتابعين وآرائهم
— ويتضح ذلك مع ذكر آرائهم يقول قال : ابن عمر — قل عثمان بن
عفان — قال الحسن — قال عطاء : قال ابن عباس وهذا النهج يدل على
معرفة بفقهاء الصحابة والتابعين فهو يعطى للقارىء فى صحيحه صورة
رائعة ومرآة مجتوبة بها رأيه ورأى الفقهاء وأصل الراى وهو الحديث
مثال ذلك من صحيحه قوله فى كتاب الوضوء (باب لا يجوز الوضوء
بالنبيذ ولا المسكر) (٢) وكرهه الحسن وأبو العالية +

وقال عطاء التميمي أحب الى من الوضوء (ثم جاء بالحديث) انذى
ترجم ما استنتجه فيه من الحكم بعدم الجواز — وذكر فيه كراهية
الزئمة قال حدثنا على عن الله قال حدثنا سفيان قال حدثنا الزهري عن
أبي سلمة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب
أسكر فهو حرام +

قال الكشميري (٣) : اعلم أن محل الخلاف فيما ألقيت فى المساء

(١) مقدمة الشيخ عبد الغنى +

(٢) الجامع الصحيح ٤٨/١ +

(٣) فيض البارى ١/٢٤٠ +

تميرات حتى صار حلوا رقيقا غير مطبوخ ولا مسكر فان أسكر أو طبخ فلا خلاف في عدم الجواز كما في الميسوط وفي البحر نقلا عن (قاضيخان) ان الامام أبا حنيفة رجع عنه الى مذهب الجمهور وهو عدم الجواز مطلقا والطحاوي أيضا تركه ولم ينتصر للمذهب المرجوع عنه أ . ه .

وفي كتاب الاضاحي من الصحيح (باب سنة الأضحية) وقال ابن عمر هي سنة ومعروف؛ وجاء البخاري بالسند المتصل عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : من ذبح قبل الصلاة فانما ذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين .

وفي كتاب الصيد «باب صيد المعراض» (١) وقال ابن عمر في المقتولة بالبندقية تلك الموقوذة وكرهه سالم والقاسم ومجاهد وابراهيم وعطاء والحسن وكره الحسن رمى البندقية في القرى والأحصار ولا يرى بأسا فيما سواه وذكر الحديث بالاسناد المتصل منه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو هنا كما ترى لم يفصح برأى اكتفاء برأى الأئمة تعبيراً عما يهدف اليه الحديث .

وهكذا يجد من أقوال الصحابة والتابعين ومن أخذ عنهم الأئمة الأربعة ثروة طائلة قد يعبر بها عن فهمه للحديث في كثير من الأحيان ويلاحظ أنه لم ينص معتمدا على رأى امام من الأئمة معتمدا عليه وحده في فهم الحديث وان كان يتفق بطبيعة الحال مع أى مذهب منها في كثير مما ذهب اليه في اختيار الحكم كما يختلف معه ويتفق مع غيره حسبما يدل عليه الحديث كما هو الشأن في المذاهب الأربعة بعضها مع بعض اتفاقا واختلافا وقد أكسبه اطلاعه على آراء أصحابه والتابعين والفقهاء عامة مقدرة فائقة وملكة وقادة في استنباط الحكم من الحديث

(١) المعراض خشبة محدودة الطرف أو في طرفها حديدة يرمى بها الصيد وقيل سهم لاريش له ولا نسل — صحيح البخارى ٧٤/٧ .

وأمر اتفاقه في كثير مما ذهب إليه أى امام من الأئمة الأربعة في كثير من الأحيان أمر طبيعى كاتفاق الأئمة في الأصول وكثير من الفروع في كثير من الأحيان فمن المعلوم أن الأصل واحد فمصدر تشريع الأئمة باتفاق — الكتاب والسنة — والسنة مفسرة لمجمل القرآن ولا رأى مع وجود الحكم المبرح به في الكتاب والسنة أو المستنبط من الكتاب والسنة وهذا هو نهج البخارى كما هو نهج جميع المجتهدين وإذا وجد خلاف في هذه الدائرة فانما هو في النوع المستنبط من نص يحتمل الوجوه المختلفة ويتفاوت رأى حسب اجتهاد المجتهد ومقدرته في استنباط الحكم وقد بوب البخارى في صحيحه في الجزء التاسع كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة وبين فيه أن من السنة القدوة بالصحابة وروى عنه وراقة ما يفيد ان عنده المقدرة على تطبيق أحكام المسائل على الكتاب والسنة وما يثيران اليه قال وراقه سمعته يقول لا أعلم شيئاً يحتاج اليه الا وهو في الكتاب والسنة فقئت له يمكن معرفة ذلك ؟ قال نعم (١) فمذهب البخارى هو ما تضمنه الكتاب والسنة وما يثيران به وهو مذهب الأئمة عامة *

وقد روى عن الأئمة الأربعة اذا صح الحديث فهو مذهبي وقال الشافعى في هذا المعنى اذا صح الحديث فاضربوا برأى عرض الحائط فلو وجد امام من الأئمة حديثاً صحيحاً لم يكن معلوماً له ينص على أمر مخالف لرأى من اجتهاده بقياس أو غيره لرجع اليه وهذا من أسباب رجوع الشافعى عن بعض ما دون في مذهبه القديم الى مذهبه الجديد *

فلا رأى مع الكتاب والسنة عند ائجمع وكلهم يقر ما قاله عمر بن عبد العزيز عن الأوزاعى قال كتب أنه لا رأى لأحد في كتاب الله وانما رأى الأئمة فيما لم ينزل فيه الكتاب ولم تمض فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ولا رأى لأحد في سنة سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) مقدمة الفتح ص ٢٠ .

عليه وسلم ، وهم في ذلك ملتزمون بالمنهج المعلوم انذى أقره النبي صلى الله عليه وسلم في القضاء لمعاذ بن جبل ، عثى أنه قد ينتج خلاف يسير غير ذى بال في الفروع المستتبيطة من الكتاب والسنة حسب مقدرة المجتهد في فهمه والمأمة بالآيات والأحاديث التى تفسر بعضها بعضاً فيما هو مبهم غير صريح في النص على الحكم ونظراً لوجود ذلك في الفروع واحتمال أخذه من النص كان الخلاف يسيراً في كثير من الأحيان ومن الممكن أن يعتبر تعدد الأوجه في كثير من المسائل آراء متعددة كلها محتملة ، وفي هذا المجال كان اجتهاد البخارى رضى الله عنه واختلافه واتفاقه مع الأئمة ، ويفيد تصريح الأئمة اذا صح الحديث فهو مذهبي وعملهم بذلك أنهم لو فرض أن امتد بهم الأجل وقد رأوا حديثاً صحيحاً من الأحاديث الصحيحة في البخارى ومسلم وغيرهما لم يظفروا به لأصبح مذهباً لهم ذلك الحديث ، ومما يستحب التنبيه عليه حتى لا يكون أمر التزام البخارى بمذهب أمراً ضرورياً شغل الكثير من الباحثين - أنه لم يكن حتى عصر البخارى بل حتى بعد المائة الرابعة أن يكون الناس مجمعين على التقليد (١) الخالص على مذهب واحد بعينه وانتفقه به .

قال الدهلوى - أعلم أن الناس كانوا قبل المائة الرابعة غير مجمعين على التقليد الخاص لمذهب واحد بعينه قال أبو طالب المكي في قوت القلوب أن الكتب والمجموعات محدثة والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب واحد من الناس واتخاذ قوله والحكاية له من كل شيء والتفقه عثى مذهبه لم يكن الناس قديماً على ذلك في القرنين الأول والثانى ٥٠٠ هـ قال الدهلوى وبعد القرنين حدث فيهم شيء من التخريج غير أن أهل المائة الرابعة لم يكونوا مجتمعين على التقليد الخالص على مذهب واحد وانتفقه له والحكاية لقوله كما يظهر من تتبع بل كان فيهم العلماء والعامّة وكان من خبر العامة أنهم كانوا في المسائل الاجتماعية التى لا اختلاف فيها بين المسلمين أو جمهور المجتهدين لا يقلدون الا

(١) حجة الله البالغة ج ١ ص ١٥٠ و ص ١٥٣ باب حكاية حال الناس قبل المائة الرابعة .

صاحب الشريعة — وكانوا يتعلمون صفة الوضوء والغسل والصلاة والزكاة ونحو ذلك من آباءهم أو معلمى بلدانهم فيمشون حسب ذلك وإذا وقعت لهم واقعة استفتوا فيها أى مفت وجدوا من غير تعيين مذهب وكان من خبر الخاصة أنه كان أهل الحديث منهم يشتغلون بالحديث فيخلص إليهم من أحاديث النبی صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة مالا يحتاجون معه الى شئ آخر فى المسألة ، من حديث مستفيض أو صحيح قد عمل به بعض الفقهاء ولا عذر لتارك العمل به ، أو أقوال متظاهرة لجمهور الصحابة والتابعين مما لا يحسن مخالفتهم ، فان لم يجد أحدهم فى المسألة ما يطمئن به قلبه تتعارض النقل وعدم وضوح الترجيح ونحو ذلك رجع الى كلام بعض من مضى من الفقهاء فان وجد قولين اختار أو ثقهما سواء كان من أهل المدينة أو أهل الكوفة •

وكان أهل التخريج منهم يخرجون فيما لا يجدونه مصرحاً به ويجتهدون ، وكان هؤلاء ينسبون الى مذهب أصحابهم فيقال فلان شافعى وغلان حنفى •

وكان صاحب الحديث أيضا ينسب الى أحد المذاهب لكثرة مرافقته له كالنسائى والبيهقى ينسبان الى الشافعى فكان لا يتولى القضاء ولا الافتاء الا مجتهد ولا يسمى الفقيه الا مجتهدا وقد قال الشافعى مهما قلت من قول أو أصلت من أصل فبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافة ما قلت ، فالحق ما قاله صلى الله عليه وسلم وقال الامام أحمد — نيس لأحد مع الله رسوله كلام وقال أيضا لرجل لا تقلدنى ولا تقلدن مالكا ولا الأوزاعى ولا النخعى ولا غيرهم وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة .

البخارى مجتهد مطلق وفقهه

إذا كان الاجتهاد هو بذل الوسع والجهد فى اندليل التفصيلي السمعى لاستنتاج حكم شرعى فان البخارى قد بلغ فى ذلك المكانة العليا — وقد تجلّى ذلك فى صحيحه على أعظم وجه — ترجمة وتعليقا على

الحديث وله في ذلك تصرفاً فريد لا يبارى فيه فهو مجتهد مطلق لا يشك في ذلك من درس صحيحه *

وإذا كان الفقه هو العلم أو الظن بالأحكام (النسبة التامة الشرعية العملية) باكتساب كما قال المتقدمون هو المستمد من الأدلة التفصيلية الجزئية أو بدون قيد الإكتساب كما عند المتأخرين سواء نظر في الأدلة أم نشأ عن تقليد بعض الأئمة *

فان البخارى فقيه حصل الأدلة التفصيلية كتاباً وسنة على أوسع نطاق واستنبط منها الأحكام مباشرة وحصل آراء الفقهاء عامة من أئمة الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة بما فيهم الأئمة الأربعة دون الاختصار على امام معين *

فهو المجتهد المطلق والفقيه اكتساباً وتحصيلاً أو قد فيه وأزهر فيه ملكة الاكتساب — اطلاعه الواسع على آراء الصحابة والتابعين وحديث رسول الله وعنايته بالقرآن الكريم وليس هذا القول بالأمر المستكشف أو المستحدث بل هذه هي الحقيقة التي شهد له بها وقررها أئمة العلماء في عصره وبعد عصره ولعمري ماذا يكون المجتهد والفقيه اذ البخارى لم يكنه *

مكانة اجتهاده وفقهه في عصره

يقول وراق (١) سمعته يقول : ما جلست للتحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم وحتى نظرت في كتب أهل الرأي وما تركت حديثاً الا كتبتنه :

ويقول : سمعته يقول لا أعلم شيئاً يحتاج اليه الا وهو في الكتاب والسنة فقلت له يمكن معرفة ذلك ؟ قال نعم *

(١) المقدمة ٢/٢٠١ .

ويقول (١) فيه نعيم بن حماد الخزاعي « محمد بن اسماعيل فقيهه
هذه الأمة » •

ويقول بNDAR « محمد بن بشار » في البخاري : هو أفقه أهل زماننا
والدارمي (٢) يقول : انى رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام
والعراق فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن اسماعيل هو أعلمنا وأفقهنا
وأكثرنا طلبا •

ويقول وراقه « محمد بن حاتم » (٣) سمعت محمد بن يوسف يقول
كنت عند أبي رجاء « قتيبة بن سعيد » فسئل عن طلاق السكران فدخل
محمد بن اسماعيل فقال قتيبة للسائل هذا أحمد بن حنبل وابن المديني
وابن راهوية قد ساقهم الله اليك • وأشار الى محمد بن اسماعيل وكان
مذهب محمد انه اذا كان مغلوب العقل لا يذكر ما يحدث في سكره انه
لا يجوز عليه من أمره شيء •

وقال وراقه (٤) راويا عن البخاري قوله : كنت عند اسحاق بن
راهوية فسئل عن طلق ناسيا فسكت طويلا مفكرا : فقلت أنا قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز عن أمته ما حدثت به نفسها
ما لم تعمل به أو تكلم • وانما يراد مباشرة هؤلاء الثلاث العمل •
والقلب أو الكلام والقلب وهذا لم يعتمد قلبه •

فقال اسحاق بن راهوية — وهو الامام الفقيه المحدث — قويتني
قواك الله وأفتى به وقال (٥) صالح بن محمد بن جزره : ما رأيت
خراسانيا أفهم من محمد بن اسماعيل وقال (٦) سليم بن مجاهد : ما رأيت
بعينى منذ ٦٠ سنة أفقه ولا أروع ولا أزهد من محمد بن اسماعيل •

(١) المقدمة ١٩٧/٢ •

(٢) تهذيب الاسماء واللغات •

(٣) طبقات السانعية •

(٤) المقدمة ١٩٨/٢ •

(٥) مقدمة شرح النووى للبخارى ٤/١ •

(٦) طبقات السبكي ١١/٢ •

وقال (١) أبو سهل محمد بن النضر الشافعي :
دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها فكلما
جرى ذكر محمد بن اسماعيل فضلوه على أنفسهم *
ولما قدم (٢) البخاري البصرة قال محمد بن بشار : قدم اليوم
سيد الفقهاء *

وقال عبد الله بن محمد المسندي — محمد بن اسماعيل امام ومن
لم يجعله اماما قاتلهم *
وقال (٣) فيه أبو الطيب حاتم بن منصور كان محمد بن اسماعيل
آية الآيات في بصره ونفاذه في العلم *
ولم تكن هذه المكانة السامية التي تتراءى من شهادة الأئمة
لاجتهاد البخاري وفقهه عن سطحية حتى تكون بالأمر الهزيل الذي
يستطيع الزمن أن يحد من قوته *

ولكنها حقيقة واضحة مرتبطة بصحيحة ومكانته الخالدة *
فاستمرت هذه المكانة على مر الأيام والقرون يزكيها الدارسون
لصحيحة من أقطاب العلم والسنة في كل عصره كالامام النووي من
أعلام القرن السابع المتوفى سنة ٦٧٦ هـ فقد وضع في مقدمة شرحه
للبخاري في أسلوب علمي متين مكانة البخاري في الاجتهاد في صحيحة *

وكما بينها الحافظ ابن حجر من أعلام القرن التاسع المتوفى سنة
٨٥٢ هـ في مقدمته ففتح الباري وهو المتخصص والمرجع في تصرفات
البخاري في صحيحة وقد استغرق في دراسته وتأليف مقدمته وشرحه
فتح الباري ستة عشر عاما قدر المدة التي استغرقها البخاري في تأليف
صحيحة *

(١) تاريخ بغداد ١٩/٢ *

(٢) تهذيب التهذيب ٥/٩ *

(٣) تاريخ بغداد ٢٨/٢ *

واستمرت هذه الماكينة حقيقة سافرة للعلماء في كل عصر وزمن •
يشهد بها كل دارس ومتصد لشرح الصحيح وقد تعرض لها وشهد
بذلك المحدث الكبير محمد أنور الكشميري الديوبندي المتوفى سنة
١٣٢٥ هـ وهو أحد أئمة الحديث في الهند • ومرجع أيضا لدراسة
البخارى وسأشير الى مزيد من آرائهم عند الكلام على تراجمه التى هى
محل فقهه •

تراجم صحيح البخارى

ان تراجم الجامع الصحيح للبخارى تعطى صورة واضحة ان
مصنفه صافى الذهن حاد الذكاء قوى الحفظ يمتاز بفهم عميق للمكتاب
والسنة وله المقدرة التامة على استنباط الأحكام منها وحسن التصرف فى
ترجمته وكأن الكتاب والسنة صفحة مرسومة فى ذاكرته يقطف منها
ما شاء استشهدا واستنباطا •

فحق لامام الحديث النووى (١) أن يقول : ان البخارى رحمه الله
كانت له الغاية المرضية من التمكن فى أنواع العلوم وأما دقائق الحديث
واستنباط اللطائف منه فلا يكاد أحد يقاربه فيها • وقد شهد له اعلام
المحدثين من شيوخه وغيرهم واذا نظرت فى كتابه جزمت بذلك لا شك ثم
ليس مقصوده الاختصار على الحديث وتكثير المتن بل مراده الاستنباط
منها • والاستدلال لأبواب ارادها من الأصول والفروع والزهد
والأدب والأمثال وغيرها من الفنون كما قال الاسماعيلى ان احدا من
المحدثين لم يبلغ من التشدد مبلغ أبى عبد الله ولا تسبب الى استنباط
المعانى واستخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة على ماله
وصلة بالحديث المروى فيه تسببه ولله الفضل يختص به من يشاء •
وقال الحافظ ابن حجر فى شأن صحيح البخارى •• ثم رأى ان
لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكيمة فاستخرج بفهمه من المتن

(١) شرح البخارى للنووى ج ١ ص ٦ •

معانى كثيرة فرقها فى أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى بآيات الاحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك فى الاشارة الى تفسيرها السبل الوسيعة (١) *

ويقول الكشميرى فى تراجمه ان المصنف سباق غايات وصاحب آيات فى وضع التراجم لم يسبق به احد من المتقدمين ولم يستطع ان يحاكيه احد من المتأخرين فهو الفاتح لذلك الباب وصار الخاتم وضع فى تراجمه آيات تناسبها مما يتعاق من هذا الباب ونبه على مسائل مظران الفقه فى القرآن بل أقامها منه ودل على طرق التأنيس من القرآن وبه يتضح ربط الفقه والحديث بالقرآن بعضه مع بعض ومن رفعه اجتهاده ودقته فى الاجتهادات وبسطها فى التراجم قبل ان فقه البخارى فى تراجمه فكان فى تراجم المصنف علوم متفرقة من الفقه وأصوله والكلام أوما اليها بايجاز واختصار أ * ه *

واذكر هنا انماطا من تصرفه فى تراجمه لا على سبيل الاستيعاب محاولا قدر الجهد المحدود ان أدعما بالأمثلة من صحيحه فيما لم أصادف التمثيل عليه من المتقدمين المتكلمين على تراجمه كابن حجر فى مقدمته وولى الله الدهاوى فى تراجم صحيح البخارى والنووى فى مقدمة شرحه للبخارى والكشميرى فى مقدمة فيض البارى على صحيح البخارى *

منهجه فى التراجم

قد يكون من تراجمه ما هو ظاهر والترجمة فيه دالة بالمطابقة لما نرجم له ولا فائدة لها سوى الاعلام بما ورد فى ذلك الباب مثاله باب ذكر هند بنت (٢) عتبة بن ربيعة رضى الله عنها وجاء بالاسناد المتصل

(١) مقدمة نسخ البارى ج ١ ص ٩ *

(٢) صحيح البخارى ٥٩ ص ٣٣ ونسخ البارى ج ٧ ص ٩٧ والعينى ج ٨ ص ٢٤ *

الى عروة أن عائشة رضى الله عنها قالت جاءت هذ بنت عتبة قالت يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب اليه ان يذلوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب اليه أن يعزوا من أهل خبائك *

فهذا وما مثله ليس فيه اجتهاد انما هو مجرد عنوان لما ترجم له وقد يأتي بالترجمة بلفظ المترجم له مثال ذلك (باب قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم علمه الكتاب) وجاء بالحديث المتصل عن ابن عباس قال ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «اللهم علمه الكتاب» (١) وقد يترجم ببعض المترجم له مثاله باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين — وجاء بالاسناد المتصل قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما أنا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله (٢) * وقد يأتي بالترجمة تفسيرا للمعنى المراد من كلمة في الحديث بها يتضح المعنى مثاله «باب الاغتباط في العلم والحكمة» وقال عمر تفقهوا قبل أن تسودوا وجاء بالحديث المسند عن عبد الله بن مسعود قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها (فهو بهذه الترجمة بين ان المراد بالحسد انما هو الغبطة وهى تمنى مثل ما للمغبوط من غير زواله بخلاف أصل الحسد فانع مع تمنى الزوال عنه (٣) فالترجمة هنا بيان بتأويل ذلك الحديث معينة لعناه *

وقد يأتي للحديث الخاص بترجمة عامة فتكون الترجمة كتأويل للحديث نائبة مناب قول الفقيه المراد بهذا الحديث الخاص

(١) كتاب العلم ج ١ ص ٢٢ *

(٢) كتاب العلم ص ٢١ *

(٣) التسميات ج ١ ص ١٧١ *

العموم اشعارا بالقياس لوجود العلة الجامعة مثال ذلك باب التسمية على كل حال وعند الوقاع (١) وجاء بالاسناد المتصل عن ابن عباس يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال (لو أن أحدكم اذا اتى أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا ففضى بينهما ولد لم يضره) *

فمطابقة الحديث لأحد شقى الترجمة الذى هو الخاص وهو قوله ر عند الوقاع وليس فيه ما يطابق الشق الآخر الذى هو العام وهو قوله على كل حال من ذكر اسم الله تعالى ومع ذلك تسن التسمية فيه ففى سائر الاحوال بالطريق الأولى فلذلك أورده البخارى فى باب الوضوء وهو كما قال العينى للتنبيه على مشروعية التسمية عند الوضوء ولم يذكر حيث لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه لأنه ليس على شرطه وان كثرت طرقه وقد طعن فيه الحفاظ واستدركوا على الحاكم تصحيحه بأنه انقلب عليه اسناده واثبتته (٢) *

وقد يأتى الحديث العام بترجمة خاصة وذلك كقول الفقيه المراد بهذا الحديث العام الخصوص مثاله من كتاب الصلاة باب جهر الامام بالتأمين (٣) وقال عطاء أمين دعاء أمن ابن الزبير ومن وراءه حتى أن للمسجد لاجه (ضجيجا) وكان أبو هريرة ينادى الامام لا تفتنى بأمين قال نافع كان ابن عمر لا يدعه ويحضهم وسمعت منه فى ذلك خيرا ... وجاء بالحديث المسند عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أمن الامام فأمنوا غاننه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه فليس فى الحديث الجهر كما فى الترجمة وانما فى التأمين فبين فى الترجمة بأن المراد ليس مطلق التأمين وانما هو التأمين فى الصلاة الجهرية بالجهر بها وأخذ من قوله صلى الله عليه وسلم اذا

(١) المعنى ج ٢ طبع المنيرة ص ٣٦٦ .

(٢) السنى ج ٢ ص ٢٦٦ طبع المنيرة .

(٣) صحيح البخارى ج ١ ص ١٢٩ والصح ج ٢ ص ١٧٧ والمعنى ج ٢ ص ١٠٦ ونص

الارى ج ٢ ص ٢٥٩ .

أمن الإمام فأمنوا فتوثيبتها بحين تأمين الإمام بعد جهر الإمام لتمكين
المقتدى ان يؤمن على تأمين امامه ويكون المأموم على شاكلة امامه *
وقد يأتى بلفظ الترجمة ثم يورد بعدها آية أو أثراً لا حديثاً مسنداً
فكأنه يقول لم يصح في الباب شيء على شرطه مثاله * باب (١) عفو
المظلوم (لقله تعالى) (ان تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء
فان الله كان عفواً قديراً) *

(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ان الله
لا يحب الظالمين) (ولمن اعتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل
انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيعون في الأرض بغير الحق
أولئك لهم عذاب أليم) (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور) وترى
الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل) وانتهى الباب
على ذلك وكأنه يريد ان يبين أن دليل الحكم المستفاد من الترجمة ثابت
بالكتاب لا بالسنة عنده *

وقد يترجم بحديث مرفوع ليس على شرطه ويذكر في الباب حديثاً
شاهداً له على شرطه مثاله *

(باب (٢) لا تقبل صلاة بغير طهور) وجاء بالسند المتصل عن أبي
هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقبل صلاة من
أحدث حتى يتوضأ قال رجل من حضرموت ما الحدث يا أبا هريرة قال
فساء أو ضراط) فهذه الترجمة لفظ حديث رواه مسلم وغيره من حديث
ابن عمر رضى الله عنهما بزيادة قوله (ولا صدقة من غلول) *
وأخرجه أبو داود والنسائي من طريق أبي المليح عن أبيه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يقبل الله صدقة من غلول ولا صلاة بغير

(١) صحيح البخارى ج ٣ ص ١١٣ وفتح البارى ج ٥ ص ٦٢ والعينى ج ٦ ص ١١١
والقسطلانى ج ٤ ص ٥٢٧ والكرمانى ج ١١ ص ٢٠ *
(٢) بن كتاب الوضوء صحيح البخارى ج ١ ص ٣٣ العينى ج ١ ص ١٦٣ والفتح ج ١ ص
١٦٦ والقسطلانى ج ١ ص ٢٢٦ والكرمانى ج ٢ ص ١٦٦ *

ظهور وله طرق كثيرة لكن ليس فيها شيء على شرط البخارى فلهذا عدل عنه مع أن حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مطابقا لما ترجم له وحديث ابى هريرة يقوم مقامه وقد قيل ان الحديث ليس بمطابق للترجمة لأن الترجمة عام والحديث خاص قال العيني والجواب انه وان كان خاصا ولكنه يستدل به على أن الأعم نحوه بل أولى ولما كانت الأحاديث التى تطابق الترجمة حسب الظاهر ليست على شرطه فذلك لم يذكرها وذكر حديث ابى هريرة هذا على شرطه عوضا عنها لأنه يقوم مقامها من الوجه المذكور — وكأنه أراد ان يتابع حديثه بحديث غيره . وقد يترجم بأية ويأتى بعدها بالحديث مثاله من كتاب العلم (١) (باب قول الله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) وجاء بالسند المتصل عن علقمة عن عبد الله قال بينا أنا أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى طريق المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بفنر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه فقال بعضهم لنسألن فقام رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت فقلت انه يوحى اليه وقمت فلما انجلى عنه فقال (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) قال الأعمش هكذا قرأتها ، يريد البخارى أن يفيد اثبات الحكم بالمصدرين الكريمين الكتاب والسنة .

وقد يترجم بلفظ الاستفهام كقوله باب هل يكون كذا أو من قال كذا أو نحو ذلك حيث لا يتجه له الجزم بأحد الاحتمالين وغرضه بيان هل يثبت ذلك الحكم أو لم يثبت فترجم على الحكم ومراده ما تفسر بعد من اثباته أو نفيه أو أنه محتمل لهما وربما كان أحد المحتملين أظهر وغرضه أن يبقى للنظر مجالا مثاله (باب ٢) هل يدخل الجنب يده فى الاناء قبل أن يغسلها ؟ اذا لم يكن على يده قذر غير الجنابة وأدخل

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٣١ .

(٢) صحيح البخارى كتاب النسل ج ١ ص ٥١ القسطلانى ج ١ ص ٣١٥ والعينى ج ٢

ص ٣ والفتح ج ١ ص ٢٥٠ والكرماتى ج ٣ ص ١١١ .

ابن عمر والبراء بن عازب يده في الطهور ولم يغسلها ثم توضأ ونمير
ابن عمر وابن عباس بأسا ينتضح من غسل الجنابة حدثنا عبد الله
ابن مسلمة أخبرنا أفلح بن حميد عن القاسم عن عائشة قالت كنت
أغتسل أنا والنبي صلى الله عليه وسلم من اناء واحد تختلف أيدينا
فيه وحدثنا مسدد قال حدثنا حماد عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اغتسل من الجنابة غسل يده •
قال القسطلاني ومطابقة هذا الحديث للترجمة من حيث جواز
ادخال الجنب يده في الاناء قبل أن يغسلها إذا لم يكن عليها قذر لقولها
تختلف أيدينا فيه واختلافهما فيه لا يكون الا بعد الادخال فدل ذلك
على أنه غير مفسد للماء إذا لم يكن عليها ما ينجس يقينا •

ومما قاله ابن حجر^(١) ومثل له قوله — وكثيرا ما يترجم بأمر
ظاهر قليل الجدوى لكنه إذا حققه المتأمل أجدى كقوله باب قول
الرجل^(٢) ما صلينا فأنه أشار به الى الرد على من كره ذلك ومنه قوله
باب^(٣) قول الرجل فانتتنا الصلاة وأشار بذلك الى الرد على من كره
اطلاق هذا اللفظ •

وكثيرا ما يترجم بأمر مختص ببعض الوقائع لا يظهر في بادئ
الرأى كقوله باب استيثاق^(٤) الامام بحضرة رعيته فانه لما كان
الاستيثاق قد يظن أنه من أفعال المهنة فلعل بعض الناس يتوهم أن اخفاءه
أولى مراعاة للمروءة فلما وقع في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
استاك بحضرة الناس دل أنه من باب التطيب لا من الباب الآخر نبه على
ذلك ابن دقيق العيد •

ومما ذكره ولي الله الدهلوي أحمد بن عبد الرحيم في كتابه شرح
تراجم أبواب صحيح البخاري ، وقد أتممت تمثيل ما ترك الدهلوي

(١) المقدمة ج ١ ص ٩ •

(٢) كتاب الجماعة صحيح البخاري ج ١ ص ١٠٩ •

(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ١٠٨ •

(٤) ذكره ابن حجر على سبيل المثال ولم أجده في الصحيح ثم وجدت الكسيري نبه على

أنه غير موجود في صحيح البخاري •

وغيره التمثيل ومن ذلك أن يترجم بمسألة اختلف فيها الأحاديث فيأتى بتلك الأحاديث على اختلافها ليقرب الى الفقيه من بعده أمرها مثاله :
باب خروج النساء الى البراز ، جمع فيه بين حديثين مختلفين •
وقد ذكر ذلك البخارى فى كتاب الوضوء (١) من صحيحه والحديث الأول عن عائشة قول عمر لسودة ألا قد عرفناك يا سودة ، حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله آية الحجاب •
والحديث الثانى عن عائشة أيضا وفيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال • قد أذن أن تخرجن فى حاجتكن قال هشام يعنى البراز (وهو الفضاء تقضى فيه الحاجة) •
ويمكن أن يجمع بينهما بأنه لا تنافى فانها قد تخرج مغطاة محجبة لا تعرف والمنهى عنه السفور والتبرج •

ومنها انه قد تتعارض الأدلة ويكون عند البخارى وجه التطبيق بينها بحمل كل واحد على محمل فيترجم بذلك المحمل اشارة الى وجه التطبيق مثاله باب خوف المؤمن ان يحبط عمله وما يحذر من الاصرار (٢) على القتاتل والعصيان ، ذكر فيه حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وذكر حديث خرج النبى صلى الله عليه وسلم للاخبار بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبى صلى الله عليه وسلم خرجت لأخبركم بليلة القدر وانه قد تلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم ، الحديث •

فبين البخارى فى الترجمة الجمع بين الحديثين بأن الكفر والفسوق فى القتاتل والعصيان حين الاصرار من غير توبة قال وما يحذر من الاصرار من غير توبة لقوله تعالى « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » •

(١) مقدمة فتح البارى ج ٢ ص ١١٠ •
(٢) صحيح البخارى كتاب الايمان ج ١ ص ١٥ •

ومنها أنه قد يجمع في باب أحاديث كثيرة كل واحد منها يدل على الترجمة ثم يظهر له في حديث واحد فائدة أخرى سوى الفائدة المترجم عليها ويعلم على ذلك الحديث بعلامة الباب وليس غرضه ان الباب الأول قد انقضى بما فيه وجاء الباب الأخير برأسه ولكن قوله باب هنالك بمنزلة ما يكتب أهل العلم على الفائدة المهمة لفظ تنبيه أو لفظ فائدة أو لفظ قف مثاله *

باب قوله (وبث فيها من كل دابة) ثم قال بعد اسطر باب خير (١) مال المسلم غنم يتبع فيها شعب الجبال ثم ذكر حديث (والفخر والخيلاء في أهل الخير ثم ما ليس فيه ذكر الغنم فكأنه اعلم على هذا الحديث بأنه مع دخوله في الباب فيه فائدة أخرى مع حقيقته الغنم) *

ومنها أنه قد يكتب (ح) حيث جاء حديث باسنادين مثاله باب ذكر الملائكة (٢) وأطال في الكلام حتى أخرج حديث الملائكة يتعاقبون ملائكة بالليل وملائكة بالنهار رواية شعيب عن أبي الزناد عن أبي هريرة ثم كتب باب اذا قال أحدكم أمين والملائكة في السماء أمين فوافقت أحدهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ثم أخرج حديث أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صور ثم ما ليس فيه ذكر أمين الا بعد كثير قال الاسماعيلي في موضع (ح) وبهذا الاسناد وكأنه يشير الى لفظ (ح) علامة لقوله وبهذا الاسناد أ * ه *

وبهذه المناسبة أذكر ما قاله النووي في مقدمة صحيح مسلم ان حرف (ح) تستعمل اذا كان للحديث اسنادان أو أكثر فتكتب عند الانتقال من اسناد الى اسناد والمختار أنها مأخوذة من التحول لتحوله من الاسناد الى اسناد وانه يقول القارئ اذا انتهى اليها (ح) ويستمر في قراءة ما بعدها وقيل أنها من أحال بين الشئيين اذا حجز لكونها حالت بين الاسنادين وانه لا يلفظ عند الانتهاء اليها بشيء وليست من

(١) كتاب بدء الخلق صحيح البخارى ج ٤ ص ٤ *

(٢) صحيح البخارى ج ٤ ص ٨٩ *

الرواية وقيل أنها رمز الى قوله « الحديث » وان أهل المغرب كلهم يقولون اذا وصلوا اليها — الحديث • فقد كتب جماعة من الحفاظ موضعها صح فبيشعر بأنها رمز صح وحسن ها هنا كتابه صح لئلا يتوهم أنه سقط من الاسناد الأول ثم هذه الحاء توجد في كتب المتأخرين كثيرا وهي كثيرة في صحيح مسلم (١) قليلة في صحيح البخارى أ • ه •

أمثلة لبعض آراء البخارى الفقهية مع ذكر آراء الأئمة فيها مسح الرأس كله

قال البخارى باب مسح الرأس كله لقوله تعالى « وامسحوا برؤوسكم » وسئل مالك عن عمرو بن يحيى المازنى عن أبيه أن رجلا قال لعبد الله بن يزيد وهو جد عمرو بن يحيى أتستطيع أن ترينى كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ ؟ فقال عبد الله بن زيد : نعم فدعا بماء فأفرغ على يديه مرتين ثم مضمض واستنثر ثلاثا : ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل يديه مرتين الى المرفقين ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما الى قفاه • ثم ردهما الى المكان الذى بدأ منه ثم غسل رجليه • فاستدل البخارى على وجوب مسح الرأس بالآية ووجهه أن الرأس اسم لجميع العضو فلا يكـون المأمور بالمسح الا هو • وهو موافق لرأى الامام مالك ومخالف للشافعى والاحناف ورأيه انما هو اتباع لما استبان له من معنى الآية فى ضوء الحديث فى قوله ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر ، بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذى بدأ منه •

فهذا يفيد استيعاب مسح الرأس كله فهو يسير تجاه الحديث حسب اجتهاد مدعما بأراء الصحابة وان خالف الشافعى والحنفى أو غيرهما وأما وجهة نظر الشافعى وأبى حنيفة فهى : ان الفعل اذا أمر

بأيقاعه على محل فأنه يكفى فيه وقسوه على بعضه فالآية فيها نوع اجمال يفصله ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على بعض رأس يقول الكشميري : فنحن معاصر الاحناف تفحصنا حال النبي صلى الله عليه وسلم في المسح فلم نجد فيه أقل من الربع فقلنا به وعلمنا أن الايقاع على الربع يحكى الكل ويقوم مقامه في نظر الشارع ويؤدي مؤداه عنده نحديث المغيرة رضى الله عنه فانه لا يدل الا على أنه مسح على بعض الرأس وعند أبي داود أنه مسح مقدم رأسه وفيه أبو معقل قيل أنه مجهول قال الكشميري : وقد تبين لى اسمه وهو حسن عندي وهو عبد الله بن معقل كما في الفتح ج ١٤ ص ٤ وفي تهذيب التهذيب *

وعن عطاء بن أبي رباح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر وكان على رأسه عمامة فوضعها على رقبته ثم مسح رأسه ، فلمثل هذه الاحاديث قال الاحناف والشافعية أن الاستيعاب ليس بفرض وقدره الشافعية على ما يسمى مسحاً فعلم بأن الاستيعاب لم يكن شرطاً عند السلف « وقالوا في الآية الباء للتبعيض وقالوا في الحديث أنه ربما يكون ذلك قصد به الأكمل » *

فالشافعية وقد خالفهم البخاري قالوا يكفى مسح بعض الرأس ولو قليلاً واستدلوا بما روى من فعل الرسول ولما لم يثبت حديثهم عند البخاري بشرطه لم يعتبره واقتصر على ما عنده من مسح الرأس كله والحنابلة قالوا (١) بمسح جميع الرأس ومنها الاذنان فيفرض مسحهما مع الرأس فالحنابلة متفقون مع المالكية الا أنهم اعتبروا الاذنين جزءاً من الرأس *

وانما أخذ البخاري بهذا المبدأ نظراً لأن الأدلة الاخرى لم تقم عنده ومن هنا نستطيع أن نقول بأن البخاري لم يكن ملتزماً بمذهب معين وانما مذهبه الحديث *

(١) الفقه على المذاهب الاربعة للجزيري ج ١ ص ٥٦ طبعة ثانية شركة فن الطباعة .

مسح الرأس مرة

قال البخاري : « باب (١) مسح الرأس مرة » حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا وهيب قال : حدثنا عمرو بن يحيى عن أبيه قال : شهدت عمرو بن أبي حسن سأل عبد الله بن زيد عن وضوء النبي صلى الله عليه وسلم فدعا بتور من ماء فتوضأ لهم فكفأ على يديه فغسلهما ثلاثاً • ثم أدخل يده في الاناء فمضمض واستنشق واستنثر ثلاثاً بثلاث غرفات من ماء ثم أدخل يده في الاناء فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده في الاناء فمسح برأسه فأقبل بيديه وأدبر بهما ثم أدخل يده في الاناء فغسل رجليه فحدثنا موسى قال حدثنا وهيب قال فمسح رأسه مرة •

قال الكشميري : جزم الامام البخاري بمذهب أبي حنيفة وترك مذهب الشافعية وقد قال الحنفية أن الاسباغ في المسح هو الاستيعاب لأنه لا يناسبه التثليث وجاء بالرواية مسح برأسه مرة وفهم هذا الراوى عين ما فهمه الحنفية أن الاقبال والادبار حركتان والمسح واحد ولم يحملها على التكرار في المسح كما فهمه الشافعية •

وقال القسطلاني : وهو الشافعي المذهب في قوله مسح برأسه مرة أى واحدة وتمام الاسناد وهيب عن عمرو بن يحيى عن أبيه قال شهدت عمرو بن أبي الحسن سأل عبد الله بن زيد عن وضوء النبي صلى الله عليه وسلم الى أن قال مسح رأسه مرة قال القسطلاني وأحاديث الصحيحين أى المسندة ليس فيها ذكر عدم المسح وبه استدلل في تدعيم رأى الشافعي قال أكثر العلماء : نعم • روى أبو داود وابن ماجه من وجهين صحيح أحدهما ابن خزيمة وغيره من حديث عثمان في تثليث مسح الرأس والزيادة من الثقة مقبولة وهو مذهب الشافعي

ويحتج للتعدد أيضا بظاهر رواية مسلم أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثاً ثلاثاً وبالقياس على المغسول لأن الوضوء طهارة حكيمة ولا فرق في الطهارة الحكيمة بين الغسل والمسح *

وأجيب بما يؤيد رأى البخارى بأن ثلاثاً ثلاثاً مجمل * قد بين في الروايات الصحيحة أن المسح لا يكرر فيحمل على الغالب ويختص بالمغسول وبأن - المسح مبنى على التخفيف فلا يقاس على الغسل الذى المراد منه المبالغة فى الاسباغ فثبت وجاهة رأى البخارى *

لا نقض للوضوء من مس المرأة

قال البخارى : « باب (١) من لم ير الوضوء الا من المخرجين القبل والبر وقول الله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط * وقال أبو هريرة لا وضوء الا من حدث *

وقال ابن عباس لمستم وتمسوهن (٢) النكاح قال (٣) الكشميرى : شرع فى النواقض ووافق أبا حنيفة فى مس الذكر والمرأة ولم ير بهما وضوءا وخالف الشافعى فى ذلك ثم أن الآية عند الشافعى اقامت أصليين فى النواقض *

الأول الخارج من السبيلين وهو المشار اليه بقوله أو جاء أحد منكم من الغائط فقال المراد به الخروج من السبيلين *

والثانى مس المرأة وألحق به مس الذكر أيضا لكونهما من باب الشهوة فى قوله (أو لامستم النساء) فالملامسة عند الشافعية هى لمس المرأة وقد ثبت عنده حديث من مس ذكره فليتوضأ وتفسير الملامسة عند الأحناف هو الجماع *

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٣٩ *

(٢) ج ٦ ص ٤٢ من صحيح البخارى *

(٣) فضى البارى ص ٢٧٨ *

والملاسة كما ذهب اليه ابن عباس وعلى وغيرهما واختاره البخارى هي الجماع ولذا لم يوجب من مس المرأة والذكر وضوءاً ، فالمراد من الملاسة المباشرة بالجماع لأن لفظ الملاسة أصدق على الجماع والمباشرة باللمس وهكذا يجد الباحث أن البخارى يخالف ويوافق جريا وراء اجتهاده وفهمه من اننصوص غير مقيد بامام بعينه •

جواز قراءة القرآن للجنب والحائض

قال البخارى : قال ابراهيم لا بأس أن يقرأ الجنب الآية ولم ير ابن عباس بالقراءة للجنب بأساً وكان النبى صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه •

وقال ابن عباس أخبرنى أبو سفيان أن هرقل دعا بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة » الآية :

فجوز البخارى قراءة القرآن للجنب وخالف فى ذلك جمهور الفقهاء فقد حرموا قراءة شىء من القرآن للجنب لحديث على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يحجبه عن القرآن شىء ليس الجنابة ورواه أصحاب السنن وصححه الترمذى وغيره •

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح وضعف بعضهم بعض روايته وعن على رضى الله عنه أيضا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم « توضأ ثم قرأ شيئاً من القرآن » • ثم قال هكذا ليس للجنب • قال الشوكانى فان صح هذا صلح للاستدلال به على التحريم أما الحديث الأول فليس فيه ما يدل على التحريم لأن غايته أن النبى صلى الله عليه وسلم ترك القراءة على الجنابة ومثله يصلح متمسكا للكرهية فكيف يستدل به على التحريم •

وقال ابن حجر تعليقا على هذا لم يصح عند البخارى شىء من الأحاديث الواردة فى ذلك « منع الجنب والحائض من القراءة » •

فثبت بذلك أن البخارى لا يلتزم مذهب أمام وانما يسير على ضوء
فهمه فى الحديث الثابت على شرطه •

من جامع فى نهار رمضان فعليه الكفارة ولا قضاء عليه

قال البخارى (١) : اذا جامع فى رمضان ولم يكن له شيء فتصدق
عليه فليكفر حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني
حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس
عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل فقال يا رسول الله هلكت
قال مالك ؟ قال : وقعت على امرأتى وأنا صائم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل تجد رقبة تعتقها قال : لا — قال : فهل تستطيع أن
تصوم شهرين متتابعين ؟ قال لا — فقال فهل تجد اطعام ستين مسكينا
قال لا • فمكث النبى صلى الله عليه وسلم — فبينما نحن على ذلك أتى
النبى صلى الله عليه وسلم بعرق فيها تمر « والعرق المكث » قال : أين
السائل ؟ فقال أنا • قال خذها فتصدق به فقال الرجل على أفقر منى
يا رسول الله والله ما بين لابتيها « يريد الحرتين » أهل بيت أفقر من
أهل بيتي ؟ فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال
أطعمه أهلك » فعند الحنفية والشافعية وانحطبة والمالكية (٢) أن الجماع
يوجب القضاء والكفارة ودليلهم أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر
المجامع فى نهار رمضان بالقضاء والكفارة •

قال الكشميرى : واختار البخارى أن لا قضاء وعليه الكفارة فلما
لم يثبت أمر النبى صلى الله عليه وسلم عند البخارى بالقضاء اقتصر
على الكفارة •

وقال ابن حجر (٣) والذى يظهر لى أن البخارى أشار بآثاره التى
ذكرها الى أن ايجاب القضاء مختلف فيه بين السلف وان الفطر بالجماع

(١) صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٩ •

(٢) مذاهب الائمة الاربعة ج ١ ص ٥٦٠ باب ما يوجب القضاء والكفارة •

(٣) فتح البارى ج ٤ ص ١٣٠ •

لا بد فيه من الكفارة فقال البخارى : باب اذا جامع فى رمضان ويذكر عن أبى هريرة رفعه من أفطر يوماً من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر * وان صامه وبه قال ابن مسعود وقال سعيد بن المسيب والشعبي وقتادة يقضى يوماً مكانه ثم قال البخارى اذا جامع فى رمضان فليكفر قال ابن حجر قول البخارى وبه قال ابن مسعود أى بما دل عليه حديث أبى هريرة ، وأثر ابن مسعود وصحة البيهقي قال : حدث عبد الله بن مسعود قال من أفطر يوماً فى رمضان من غير علة لم يجبره صيام الدهر حتى يلقي الله فان شاء غفر له وان شاء عذبه •

وجاء البخارى مرجحاً رأى من قال بالتشديد على من جامع حتى لا يقبل فيه القضاء وهكذا نجد أن البخارى له رأى ترجيحاً وتعليقاً حسب فهمه بما ثبت عنده من الأحاديث وبين الكشميرى أن البخارى رجح التشديد فى ذلك استعظاما لحرمة نقض الصيام بالجماع متعمدا فلا يجبر بالقضاء وأما انتقاء الكفار فلكونها تعذيرا وليس بدلا عن الصوم (١) •

وان الناظر الى ترجمة البخارى يحكم بمذهبه فى الحكم المبوب له •

البخارى وموقفه من الأحناف فى آرائه الفقهية

والبخارى كما تبين يجتهد لاستنباط الحكم من الحديث وقد يستأنس لرأيه بأقوال الصحابة والتابعين بل يذكرها أحيانا مكتفيا بها • ومقتنعا بالموافقة لفهمه من الحديث • ولم يذكر بعض الأئمة الأربعة فى صحيحه الا نادرا للغاية وافق رأيهم أو خالفهم • غير أنه نظرا لتوفر مادة الحديث عنده لم يضطر للاسراف فى الرأى ومن هنا يختلف أحيانا مع آراء أبى حنيفة فيقول عند ذلك « خلافا لبعض الناس » ولم يذكر اسم أبى حنيفة مطلقا فى صحيحه فظن بعض المتعصبين للامام أبى حنيفة أن هذا تجاهلا لأبى حنيفة وتنقيصا من شأن آرائه وليس الأمر كذلك ،

(١) اللبى ج ٢ ص ١٥٩ •

وسيرة البخارى كلها أدب ورقة واحترام الأبطال الاسلام ، وهل يعرف الفضل من الناس الا ذووه ؟ بل انه يفعل ذلك تأديبا وتقديرا لأبى حنيفة ولأن غيره قد يكون مشاركا له في هذا الرأى اذى اعترض عليه البخارى فعبر بعبارة جامعة وهى « بعض الناس » وكلا الامامين حريص على نشر الاسلام وبث تعاليمه .

وقد كان من جراء ذلك أن ألف بعض الهنود (١) كتابا في الرد على البخارى سماه « بعض الناس في دفع الوسواس » وهو اعتراضات على البخارى فيما اعترض به على أبى حنيفة ، وكتاب آخر يسمى « كشف الالتباس عما أورده البخارى على بعض (٢) الناس » ورد على ذلك سلطان الفقهاء والمحدثين مولانا محمد نذير حسين الديلووى في كتاب سماه « رفع الالتباس عن بعض الناس (٣) » قال في مقدمته وبعد فقد وقفت في جزء من هذا الزمان على رسالة وعنوانه « بعض الناس في دفع الوسواس » وأجيب فيها عما وقع في الصحيح للإمام المجتهد المطلق محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله تعالى من بعض تعارضه على الامام أبى حنيفة النعمان الكوفى رحمة الله تعالى بلفظ بعض الناس فنظرت فيها نظرة التأمل فوجدتها جامعة لثبات ما أجاب عنه بعض ناصرى ملة الأحناف من شراح الصحيح ونظاره ولم يأت جامع ذلك الثبتات من عند نفسه بشىء يدافع عن مذهبه أو يدارى عن مسلكه غير أنه أفحش وذهب مذهب الاعتساف واعترض على مسلك الانصاف فأردت حسبة له تعالى وذبا عن أوليائه أن أزيل الالتباس عن بعض الناس كي لا يقعوا في هذا الوسواس .

وجاء مولانا محمد نذير في كتابه بما يقرب من ست وعشرين مسألة أورد منها بعض الأمثلة :

(١) موجود بالمكتبة الازهرية طبع الهند تحت رقم ٧٢٠ خصوصية حديث سنة ١٣١١ بالخط الحجرى .

(٢) مخطوط دار الكتب المصرية ولم يعلم مؤلفه طبع الهند .

(٣) مخطوط بدار الكتب بالخزانة التيمورية .

الركاز دفن الجاهلية وليس المعدن بركاز

قال الامام البخارى رحمه الله تعالى فى باب الركاز من صحيحه قال مالك وابن ادريس : الركاز دفن الجاهلية فى قليله وكثيره الخمس ليس المعدن بركاز وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى المعدن (١) جبار وفى الركاز الخمس وأخذ عمر بن عبد العزيز رحمه الله من المعادن من كل مائتين خمسة ثم قال بعد ذلك وقال « بعض الناس » المعدن ركاز مثل دفن الجاهلية لأنه يقال ركز المعدن اذا أخرج منه شئ قليل له فقد يقال لمن وهب له الشئ أو ربح ربها كثيرا أو كثر ثمره ركزت ، ثم ناقضه فقال لا بأس ان يكتمه ولا يؤدى الخمس أ • ه •

وغرضه من كل ذلك ان الركاز هو دفن الجاهلية كما ذهب اليه الجمهور وليس المعدن ركازا فى ذلك الحكم الشرعى المذكور كما ذهب اليه بعض الناس واحتج على ذلك بحديث أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم العجماء جبار والبئر جبار والمعدن بجبار وفى الركاز الخمس ، وذكر أن عمر بن عبد العزيز أخذ من المعادن من كل مائتين خمسة تقوية لما ادعاه وتعيينا لما أراه النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث من لفظ الركاز وتأبيدا لمذهبه بتعامل الفقهاء العرفاء باللسان العلماء بمراد النبى صلى الله عليه وسلم ، وتفصيله أن النبى قال المعدن جبار وفى الركاز الخمس عطف الركاز على المعدن وفرق بينهما فى الحكم فعلم منه أن المعدن ليس بركاز عند النبى صلى الله عليه وسلم بل هما شيئان متغايران •

ولو كان المعدن ركازا عنده لقال المعدن جبار وفيه الخمس ولما لم يقل ذلك ظهر أنه غيره لأن العطف يدل على المغايرة قال الامام الحافظ ابن حجر فى فتح البارى والحجة للجمهور والبخارى التفرقة من النبى صلى الله عليه وسلم بين المعدن والركاز بواو العطف وتغاير الحكم فصح أنه غيره ومن هنا تبين قوة حجة البخارى •

(١) ومعنى فى المعدن جبار يعنى اذا حفر معدنا فى ملكه أو فى موات فوقع فيه شخص ومات أو استأجره لعب فى المعدن فهلك لا يضمنه به دمه ودر وليس المراد انه لازكاة فيه ، واستدل بفعل عبر بأن حكم هذه فى الزكاة ربع العشر وهو مخالف لحكم الركاز وهو الخمس فى ذنن الجاهلية قسطلانى ج ٢ ص ٨١ •

قبول شهادة القاذف والسارق والزاني بعد التوبة

قال الامام البخارى باب شهادة القاذف والسارق والزاني وقول الله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا، أولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا الآية **وجيلد** عمر أيا بكر وشبل بن معبد ونافعا بقذف المغيرة ثم استتابهم وقال من تاب قبلت شهادته وأجازة عبد الله بن عتبة وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير وطاووس ومجاهد والشعبي وعكرمة والزهرى ومحارب ابن دثار ومعاوية بن قره وقال ابو الزناد والأمر عندنا بالمدينة اذا رجع القاذف عن قوله فاستغفر ربه قبلت شهادته وقال الثوري اذا جلد العبد ثم أعتق جازت شهادته واذا استقضى الحدود ففضايه جائزة . وقال « بعض الناس » لا يجوز شهادة القاذف وان تاب ثم قال لا يجوز نكاح بغير شاهدين فان تزوج بشهادة محدودين جاز وان تزوج بشهادة عبيدين لم يجز « وأجاز شهادة المحدود والعبد والأمة لرؤية هلاك رمضان » أقول غرضه من ذلك أن شهادة القاذف مقبولة في الشرع بعد ما تاب كما ذهب اليه الجمهور لا كما قال به « بعض الناس » انها لا تقبل بعد التوبة أيضا واستدل عليه بقوله تعالى :ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا أولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا الآية وتعامل الفقهاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مثل عمر رضى الله عنه وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من الذين ذكرهم البخارى فانهم كانوا أعلم بكتاب الله وبمراده تعالى بذلك .

لا اسقاط للزكاة بالاحتيال

ومذهب البخارى رحمه الله عدم جواز اسقاط الزكاة قبل تمام الحول بالاحتيال واحتج في ذلك بأحاديث منها حديث « لا يجمع بين المتفرقة ولا يفرق بين المجتمعة خشية الصدقة » ومذهب الامام أبى حنيفة في ذلك انه لا بأس به فلما ثبت عند البخارى أن هذا القول خلاف الأحاديث بينه في كتاب الحيل في باب الزكاة بقوله وقال « بعض الناس » في عشرين ومائة بغير حقتان فان أهلكها متعمدا أو وهبها أو احتال فيها فرارا من الزكاة فلا شيء عليه أ . ه .

قال الامام البخارى فى صحيحه فى كتاب الحيل باب الزكاة وأن لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة ثم قال بعد نقل الأحاديث الواردة فى هذا الباب وقال « بعض الناس » فى عشرين ومائة بغير حقان فان أهلكها متعمدا أو وهبها أو احتال فيها فرارا من الزكاة فلا شئ عليه أ * ه *

وغرضه من ذلك التعريض بأبى حنيفة رحمه الله أنه جوز اسقاط الفرض الذى هو من أركان الدين بتجويز الحيلة لسقوطه ، مع أن النبى صلى الله عليه وسلم صرح بالنهى بقوله لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة .

من غصب جارية فهى حق لصاحبها وإن دفع الغاصب قيمتها

قال الامام البخارى رحمه الله فى كتاب البيوع من الحيل باب اذا غصب جارية رجل فزعم أنها ماتت فقتل بقيمة الجارية الميتة ثم وجدها صاحبها فهى له * وترد القيمة ولا تكون القيمة ثمنا أ * ه *

وقال أبو حنيفة : الجارية للغاصب والقيمة ثمن لا ترد ، فعرض الامام البخارى وقال : قال « بعض الناس » الجارية للغاصب لا هذه القيمة منه وفى هذا احتيال لمن اشتهاى جارية رجل لا يبيعها فغصبها واعتل بأنها ماتت حتى يأخذ ربهها قيمتها فتطيب للغاصب جارية غيره وحكم النبى يخالف ذلك * قال النبى صلى الله عليه وسلم : أموالكم عليكم حرام ولكل غادر لواء يوم القيامة *

لا ينعقد النكاح بشهادة الزور

قال الامام البخارى فى كتاب الحيل من صحيحه فى باب النكاح تحت حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تنكح البكر حتى تستأذن ولا الثيب حتى تستأمر فقل يا رسول الله كيف اذنها قال اذا سكنت وقال « بعض الناس » ان لم تستأذن البكر ونم تتزوج فاحتال رجل فأقام شاهدين زورا انه تزوجها برضاها وأثبت القاضى نكاحها والزوج يعام أن الشهادة باطلة فلا بأس أن يطأها وهو تزويج صحيح أ • ه •

ثم قال بعد ذلك تحت حديث أبى سلمه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا كيف اذنها قال أن تسكت وقال « بعض الناس » ان احتال انسان بشاهدى زور على تزويج امرأة ثيب بأمرها فأثبت القاضى نكاحها اياه والزوج يعلم أنه لم يتزوجها قط فانه يسعه هذا النكاح ولا بأس بالمقام له معها أ • ه •

ثم قال بعد ذلك تحت حديث عائشة رضى الله عنها وقال « بعض الناس » ان هوى انسان جارية ثيبة أو بكرا فأثبت فاحتال فجاء بشاهدى زور على أنه تزوجها فأدركت فرضيت البيئمة فقبل القاضى بشهادة الزور والزوج يعام ببطلان ذلك حل له الوطأ أ • ه •

وقال اجميع التعريض على أبى رحمه الله بتجويزه النكاح بشهادة الزور وحل الوطء بها مع علم الزوج ببطلانها والاذن لم يثبت والرضا لم يوجد والنصوص ناطقة باشتراط الاستئذان فظهر بهذا وجهة رأى البخارى •

جواز انفرد الترجمان الواحد للحاكم

قال البخارى « باب ترجمة الحاكم وهل يجوز ترجمان واحد » وذكر حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه ثم قال : وقال « بعض الناس » لابد للحاكم من مترجمين واستدل البخارى على مذهبه من جواز ترجمان واحد بترجمة زيد بن ثابت رضى الله عنه وحده للنبي صلى الله عليه وسلم وأبى حمزة لابن عباس واعترض على من لم يجوز الاكتفاء على واحد لمخالفته الحديث فقال بعضهم المراد به هو محمد بن الحسن وأبو يوسف وزفر ولم يرد بذلك أبا حنيفة لأن أبا حنيفة يجوز الاكتفاء على واحد وقال الحافظ فى انفتح ونقل الكرابيىسى عن مالك والشافعى رحمهما الله الاكتفاء بترجمان واحد وعن أبى حنيفة رحمه الله الاكتفاء بواحد وعن أبى يوسف رحمه الله اثنين ونزلهما منزلة الشهادة أ . ه .

وهذا يدل على أن الخلاف فى هذه المسألة مع محمد وأبى يوسف وزفر ولم يختلف مع أبى حنيفة فى هذه المسألة .

وقال الديلووى لا ننكر فضائل أبى حنيفة ، كيف وقد أقر الشافعى رحمه الله بنفسه أن الناس فى الفقه عيال لأبى حنيفة وأحاط صـيـت فضائله المشارق والمغارب ولكن كل ذلك لا يثبت منه العصمة وكما أن وجود فضائل الجمة لا يستلزم عصمته كذلك بعض زلاته لا يجوز اساءة الأدب فى حضرته فإنه مجتهد والمجتهد يخطئ ويصيب وقد سـلـك البخارى مسلك الأدب معه حيث لم يصرح باسمه الشريف وقد قال أبو حنيفة اذا صح الحديث فهد مذهبي ولا شبهة أن الأحاديث لم تدون وتجمع انتدوين الكامل والجمع الكامل فى عصره فاحتمل عدم وجدان الحديث وعدم ظهوره للإمام حتى خالفه وهذا عذره ولو وقف على هذه الأحاديث لاتبعها فرضى الله عن الامامين الجليلين .

اعادة البخارى الحديث فى مواضع كتابه

يكرر البخارى الحديث فى مواضعه اللاتقة به لأمر هامه تتعلق
بالاسناد أو المتن أو هما معا *

من ذلك أنه يخرج الحديث عن صحابى ثم يورده عن صحابى آخر
ليخرج به عن حد التفرد والغراة وكذلك يفعل فى أهل الطبقة التالية
للسحابية فمن بعدهم الى مشايخه كما يتضح ذك فى المتابعات *

ومن ذلك أحاديث يرويها بعض الرواة ثامة ويرويها بعضهم
مختصرة فيوردها كما جاءت تحريا للدقة وليزيل الشبهة عن ناقلها *

وليصل المنقطع منها على أصله فيقوى بعضها بعضا ومثال ذلك فى
صحيحه *

باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب قاله ابن عباس عن النبى صلى الله
عليه وسلم وهذا تعليق *

ولكنه أسنده فى كتاب الحج فى باب الخطبة أيام منى عن على بن
يحيى بن سعيد عن سعيد بن غزوان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال : أيها الناس أى
يوم هذا قالوا يوم حرام وفى آخره « اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت » *

قال ابن عباس فو الذى نفسى بيده انها لو صية الى أمتى فليبلغ
الشاهد الغائب وذكر الحديث (١) *

وأورد فى هذا الباب حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنى الليث
قال حدثنى سعيد عن أبى شريح انه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث
البعوث الى مكة أئذن لى أيها الأمير أحدثك قولاً قام به النبى صلى الله
عليه وسلم * * الخ * . الحديث ذكره مطولا ثم ذكر فى كتاب الحج (٢)

(١) كتاب المعنى ج ٢ ص ١٢٨ ط المنيرة شرح صحيح البخارى *

(٢) صحيح البخارى ج ٢ ص ١٢٣ *

باب فضل الحرم باسناد مغاير ومتمن مختصر قال حدثنا علي بن عبد الله حدثنا جرير بن عبد الحميد عن منصور عن مجاهد عن طاووس عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله لا يعصده ثوكه ولا ينفـر صيده ولا تلتقط نقطته الا من عرفها ، وليس في هذا الحديث الجزء الذى بوب له فى الباب السابق ♦

ويشير البخارى بذلك الى أن ترك بعض السند أو المتن اختصارا لا يضر فيزيل الشبهة عن ناقله بذكر ائروايئين ♦
ومنها أحاديث تعارض فيها الوصل والارسال ورجح عنده الوصل واعتمدت وأورد الارسال منها على أنه لا تأثير له لأنه عنده فى الموصول مثال ذلك ما رواه عن مالك عن يزيد بن رومان (١) ♦

عن صالح بن خوات عن صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم صلاة المخوف وأخرجه من حديث شعبة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن صالح بن خوات عن سهل بن أبى حثمة وأخرجه من حديث يحيى ابن سعيد عن القاسم عن صالح عن سهل موقوفا قال ابن حجر تعارض الرفع والارسال فى حديث سهل والرفع مشهور عنه ♦
ومنها أحاديث زاد فيها بعض الرواة فى الاسناد ونقصه بعضهم فيوردها على الوجهين حيث يصح عنده أن الراوى سمعه من شيخ حدثه به عن آخر ثم لقي الآخر فحدثه به فكان يرويه على الوجهين مثال ذلك ♦

حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثنا ابن وهب قال حدثنا يونس عن ابن شهاب عن حمزة بن عبد الله انه أخبره عن أبيه قال لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه قيل فى الصلاة فقال مروا أبأ بكر فليصل بالناس قالت عائشة أن أبأ بكر رجل رقيق اذا قرأ غلبه البكاء قال مروه

(١) مقدمة الفتح ج ٢ ص ١١٠ .

فيصلى فعاودته قال مروه فيصلى انكن صواحب يوسف ، تابعه الزبيدي وابن أخى الزهرى واسحاق بن يحيى الكلبي عن الزهرى وقال عقيل ومعر عن الزهرى عن حمزة عن النبى صلى الله عليه وسلم •

وقد يورد الحديث لتسمية راو أو التنبيه على زيادة فى الرواية ويراعى تقديم الحديث الأولى •

وفى باب هل يجعل للنساء يوم على حدة فى العلم (١) •
قال : « حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال حدثنى ابن الاصبهانى قال سمعت أبا صالح ذكوان يحدث عن أبى سعيد الخدرى قالت النساء للنبى صلى الله عليه وسلم غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن : ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها الا كان لها حجاب من النار فقالت امرأة واثنين قال واثنين » •

ثم قال حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا غندر عن شعبة عن عبد الرحمن بن الاصبهانى عن ذكوان عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا (٢) وعن عبد الرحمن بن الأصبهانى قال سمعت أبا حازم عن أبى هريرة قال ثلاثة لم يبلغوا الحنث •

وقصد من هذه الاعادة فائدتين أحدهما تسمية ابن الاصبهانى لأنه كان مبهما فى الحديث الأول وهذه الرواية فسرته وانما لم يصرح باسمه هناك محافظة على لفظ الشيخ وهو من غاية احتياظه حيث وضعه كما سمعه عن شيخه •

والفائدة الثانية التنبيه على زيادة فى طريق أبى هريرة وهى قوله « لم يبلغوا الحنث » •
وقدم الحديث الأول على الثانى لأنه أعلى درجة من الثانى اذ فيه

(١) المعنى ج ٢ ص ١٣٥ •

(٢) المعنى ج ٢ ص ١٣٥ ط المنيرة •

بين شعبة البخارى رجل واحد وهو آدم بخلاف الثانى فان بينهما رجلين وهما محمد بن بشار وغندر .
وحديث أبى هريرة هذا موصول وليس بتعليق من البخارى كما فهم الكرماني وقد بين ذلك العيني قال :
وذلك لأن شعبة يرويه عن عبد الرحمن باسنادين :

الاسناد الأول حدثني محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن عبد الرحمن الأصبهاني عن ذكوان عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ما منكن امرأة . . الخ الحديث » أثار الى هذا بقوله بهذا الحديث المذكور . . وتقدير الاسناد الثانى حدثني محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن الأصبهاني قال سمعت أبا حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الحديث بزيادة ثلاثة لم يبلغوا الحلم .
والبخارى لا يعتمد أن يخرج في كتابه حديثا معادا لجميع الاسناد ومثته وان كان قد وقع له من ذلك شيء فهو قليل جدا عن غير قصـد كما نبه عليه ابن حجر .

وقال النووى رحمه الله (١) لم يقصد البخارى في كتابه اخراج المسانيد فقط بل أراد التنبيه على المسائل أيضا فلزمه أن يخرجها مكررا في الأبواب وقلما يورد حديثا في موضوعين باسناد واحد فمن أراد أن يأخذ حديثا بريئا عن العلل فليأخذه عن البخارى .
وفي مقدمة شرح القسطلانى قال القسطلانى وقد وجدت ورقة بخط الحافظ ابن حجر تعليقا أحضرها الى المحدث البدر المشهدى نصها نبذة من الأحاديث التى ذكرها البخارى في موضوعين سندنا ومثنا حديث عبد الله بن مغفل رمى انسان بحراب فيه شحم في آخر الخمس وفي الصيد والذبائح .

(١) نيفس البارى ج ١ ص ٤٢ .

حديث في نحر البدن في الحج عن سهل بن بكار عن وهب ذكره في موضوعين متقاربين • وأورد بقية الأحاديث وهي ثلاثة وعشرون بزيادة حديث من ذكر القسطلاني وجده زيادة على ما ذكره ابن حجر •

وأما اقتصار البخاري على بعض المتن في بعض الأحيان مع عدم ذكر الباقي في موضوع آخر لا يقع له ذلك في الغالب الا حيث يكون المحذوف موقوفا على الصحابي وفيه شيء قد يحكم برفعه فيقتصر على الجملة التي يحكم لها بالرفع ويحذف الباقي لأنه لا تعلق له بموضوع كتابه كما وقع في حديث هزيل بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : ان أهل الاسلام لا يسييون وان أهل الجاهلية كانوا يسييون ، هكذا أورده وهو مختصر ، جاء مطوولا في حديث موقوف اوله جاء رجل الى عبد الله بن مسعود فقال اني اعتقت عبدا لى سائبة فمات وترك مالا ولم يدع وارثا . فقال عبد الله ان أهل الاسلام لا يسييون وان أهل الجاهلية كانوا يسييون فأنت ولي نعمته فلك ميراثه فان تأثمت وتخرجت في شيء فنحن نقبله منك ونجعله في بيت المال فاقصر البخاري على ما يعطى حكم الرفع من هذا الحديث الموقوف وهو قوله: أن أهل الاسلام لا يسييون لأنه يستدعي بعمومه النقل عن صاحب الشرع لذلك •

واختصر الباقي لأنه ليس من موضوع كتابه •

وهذا كما قال ابن حجر من أخفى المواضع التي وقعت له في هذا الجنس وبذلك يعلم أن البخاري لا يعيد الا هادفا للفائدة حتى لو سم تظهر لاعادته فائدة من جهة الاسناد ولا من جهة المتن لكانت الفائدة لاعادته من أجل مغايرة الحكم الذي تشتمل عليه الترجمة الثانية موجبا أنه لا يعد مكررا بلا فائدة مع أنه على أي حال هو لا يخلو من الفائدة الاسنادية وهي تعدد الطرق فضلا عن ابراز الأحكام المتعددة •

الدافع للبشار على التزامه هذا المسالك في التراجم

ان البخارى رحمه الله قد أورد في كتابه من الأحاديث الجامعة لجل مقاصد العلم ومن ذلك العقيدة المتمثلة في الوحي وكتاب الايمان في أول كتابه وكتاب التوحيد في آخره والتفسير الرائع بالمأثور من صحاح الأحاديث وفتاوى الصحابة والتابعين المتمثل في كثير من أبوابه وخاصة في كتاب التفسير في صحيحه •

ومن السيرة العطرة الممثلة في كتاب المغازي ومن الأدب النبوى الرائع الممثل في كتاب الأدب ومن تعرضه لطرق التلقى في كتاب العلم وفضله واصلاحات المحدثين الممثلة في كتاب العلم وفيه جاء بصيغ الأداء مثل باب قول المحدث حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا وباب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم وباب كتابة العلم ، ويقيهما على أدلة ثابتة من السنة وتعرض لمسائل أصولية يقيهما على أساس متين ميسر من السنة ككتاب ما جاء في اجازة خبر الواحد ، والى علاقة الكتاب بالسنة والدعوة الى التزامها وأن على موائدهما كل خير كما يتمثل ذلك في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ومن مقاصد الفقه وفروعه وغير ذلك من الأبواب المنبثة في صحيحه متفرقة متعددة عدد فروع العلم الاسلامى •

واستطاع بمهارته أن ينظمها في دقة وافية ويبهرن على أن المحدث المتمكن من سنة رسول الله يجد فيها كل دور العلم ويمكن أن يكون من أقصر الطرق وأوفاهها — مفسرا لكتاب الله ومؤرخا اسلاميا لسيرة رسول الله ومتكلما عن هدى وبصيرة في العقيدة وفقها قانونيا في أحكام الدين وأخلاقيا مؤدبا بأداب النبوة وأخلاقها •

وغير ذلك من فروع العلم التى تشهد أن من الجهل المصريح أن يفهم المحدث المتمكن أنه بمعزل عن فروع العلم خاصة عن التفسير الذى هو أساس بيانه ، وكيف تقتصر همته في شيء وهو المتتبع هدى الرسول الداعى الى الله بأذنه والسراج المنير • ومن أجل هذا العموم الجامع في

صحيح البخارى كان من شروحه ما وصل الى أكثر من أربع وعشرين مجلدا كالكرمانى ومع ذلك سمي البخارى صحيحه مختصرا •

والواقع أنه اختصار انعارف الموجز فى دقة من غير اخلال وان اختصاره انما هو بالنسبة انى كثرة مقاصده وكيف أورده فى هذا الحجم مع أنه موسوعة علمية جامعة مستوفاة •

ان الذى ساعده على ذلك مقدرته وتفننه بمسلكه فى تراجمه فى اعادة الحديث واختصاره وتقطيعه والا لما كفى هذا العدد من الأحاديث التى فيه على كثرتها لأن يوفى هذه الثروة الفريدة العامة الشاملة • ولو لم ينهج هذا النهج لاحتاج الى مجلدات لا نهاية لها حتى يوفى هذه الكتب والأبواب •

وقد ألزم نفسه باخراج الحديث الصحيح لذاته فى مسنده بل ألزم نفسه ألا يخرج كل صحيح عنده أو عند القوم فى صحيحه فالتزم بخالص الصحيح لذاته وصفوته مشددا على نفسه بالشروط وهذا ما جعله امام المحدثين والمجتهد الفقيه •

يقول صاحب الفيض (١) ثم ان المصنف رحمه الله العلام لما شدد فى شروط الأحاديث حتى أغمض عما حسبه حسنا بل صحيحا أيضا قلت ذخيرة الحديث فى كتابه ثم لما أراد أن يتمسك منها على جملة أبواب الفقه اضطر الى التكرار والتوسع فى وجوه الاستدلال وذلك من كمال بداعته ومن لا دراية له بغوامضه ولا ذوق له فى علومه فيتعجب من صحيحه ولا يدري أن التوسع فيه من أجل توضيحه على نفسه فى مادة الأحاديث فيستدل بالايماءات ويكتفى بالايماضات •
أعيا فحول العلم حل رموز ما أبداه فى الأبواب من أسرار

(١) فيض البارى ج ١ ص ٤٠ •



الباب الخامس

نقد المتقدمين لحديث البخاري

نقد المتقدمين لبعض أحاديث صحيح البخارى

ومنذ أن ألف الجامع الصحيح للبخارى اتجهت الهمم اليه وأصبح
ثقله المحدثين وأئمتهم وقد شهد له في عصره بالنصحة •

وحسبك شهادة الأئمة على بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن
معين وتقدير أئمة العلماء له كما تقدم ، وأصبح كتابه قبلتهم ووردهم
المورود ، ومن الأئمة من دعته همتهم العالية وعنايتهم به بعد وفاة
البخارى الى تطبيق أحاديثه على ما التزمه البخارى في صحيحه وما بدا
لهم في أحاديثه أنه لم يوافق شرطه تناولوه بالنقد •

وكان من أعلام هذا الميدان الامام الحافظ أبو الحسين على بن
عمر بن أحمد الدارقطنى المتوفى سنة ٣٨٥ هـ •

ووجه نقده الى أحاديث انفرد بها البخارى وبعضها اتفق فيها معه
الامام مسلم بن الحجاج •

وكذلك كان من النقاد أبو مسعود الدمشقى وأبو على الغسانى
قال الامام النووى محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى
الخزامى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ في مقدمة (١) شرحه للامام مسلم •

قد استدرك على البخارى ومسلم أحاديث أخلا بشرطهما فيها
ونزلت عن درجة ما التزمه ، فقد ألف الامام الحافظ أبو الحسن على بن
عمر الدارقطنى في بيان ذلك كتابه المسمى بالاستدراكات والقتبع وذلك
في مائتى حديث مما في الكتابين •

(١) شرح النووى ج ١ صفحة ٢٧ •

والأبى مسعود الدمشقي أيضا عليهما استدراك والأبى على الغساني الجباني في كتابه تقييد المهمل في جزء العلل منه استدراك أكثره على الرواة عندهما قال النووي وقد أجيب عن كل ذلك أو أكثره • وفي مقدمة شرحه للبخاري (١) قال قد استدرك الدارقطني على البخاري أحاديث وطعن في بعضها وذلك الطعن انذى ذكره فاسد مبنى على قواعد لبعض المحدثين ضعيفة جدا مخالفة لما عليه الجمهور من أهل الفقه والأصول وقواعد الأدلة فلا تغتر بذلك • أ • هـ

وهذه شهادة الامام النووي رجل السنة وأصولها شارح صحيح مسلم والبخاري وصاحب كتاب التقریب في أصول قواعد الحديث ، وقد وضع ابن حجر قاعدة أصلية عامة في الرد على النقاد اعتبرها الجواب الاجمالي المقتنع في الرد على كل ما انتقد على البخاري ومسلم • ومن الأئمة المذكورين الدارقطني وأبو مسعود الغساني وغيرهم • ولا يوفق المجيب •

وفي جواب ابن حجر الاجمالي يتوفر الرد على نقد كل معترض مع ملاحظة أن عدم التوفيق في الاجابة فرضا • في بعض نقاط الاعتراض لا يكون مسوغا للتسليم بالنقد لانه من الممكن أن يخطئ المعترض ولا يوفق المجيب •

ولو كان الاعتراض في حال حياة البخاري ووجه اليه لكان ملزما عند عدم الاجابة عليه وأنت ترى أنه لو لم يوفق الله ابن حجر وأمثاله في قوتهم العلمية لما كان من المعلوم الاجابة على نقد النقاد رغم عدم وجاهتها وعدم ثبوتها في الواقع •

على أن ابن حجر قد وفي ووفق في الاجابة وأنصف في تقديم الدليل الاجمالي ردا على كل نقد موجه للشيخين ثم أعقب ذلك تأكيدا وتبيانا بالأدلة التفصيلية ، ثم تتبع الأحاديث حديثا حديثا بالرد عليه وهي مائة وعشرة •

(١) شرح النووي ج ١ ص ١١ •

على أنه من الطريف الذى لا يدع مجالا لمعتراض أنه قد أثبت ابن حجر، أن جميع ما اعترض على البخارى به قد جاء وورد من طرق أخرى صحيحة غير معترض عليها وبذلك قد بين أن قيمة هذا النقد لا تمس صحة المتن حيث أنه قد ورد بأسانيد أخرى صحيحة •

وقال الحافظ ابن حجر فى الكلام فيما أعل من الأحاديث المسندات •
وعدة ما اجتمع لنا من ذلك مما فى كتاب البخارى وان شاركه مسلم فى بعضها مائة وعشرة أحاديث منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثا •

ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثا .

الجواب الاجمالى

والجواب عنه على سبيل الاجمال أن نقول لا ريب فى تقديم البخارى ثم مسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفن فى معرفة الصحيح والمعل فانهم لا يختلفون فى أن على بن المدينى كان أعلم أقرانه بعلم الحديث • وعند أخذ البخارى ذلك حتى كان يقول ما استصغرت نفسى عند أحد الا عند على بن المدينى • ومع ذلك فكان على بن المدينى اذا بلغه ذلك عن البخارى يقول دعوا قوله فانه ما رأى مثل نفسه • وكان محمد بن يحيى المذهلى أعلم أهل عصره بعلم حديث الزهرى وقد استفاد منه ذلك الشيخان جميعا •

وروى الفريرى عن البخارى قال ما أدخلت فى الصحيح حديثا الا بعد أن استخرت الله تعالى وثيقنت صحته •

وقال مكى بن عبد الله سمعت مسلم بن الحجاج يقول عرضت كتابى هذا على أبى زرعة الرازى فكل ما أشار أن له علة تركته •
فاذا عرف وتقرر أنهما لا يخرجان من الحديث الا مالا علة له أو له علة الا أنها غير مؤثرة عندهما •

فبقدر توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضا

لتصحيحهما • ولاريب في تقديمهما في ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة •

الاجابة التفصيلية وأمثلةها

وأما من حيث الاجابة التفصيلية فيحتاج الامر الى تقسيم الأحاديث المنتقدة أقساما حسب مقاييس المنتقدين فقسمها الى ستة أقسام ثم تتبع الأحاديث حديثا حديثا بالرد عليه وسأكتفى بالتقسيم التفصيلي مع استخلاص التمثيل لكل قسم من الأحاديث المنتقدة •

القسم الاول :

(١) (١) ما يختلف الرواة فيه بالزيادة والنقص من رجال الاسناد فان خرج صاحب الصحيح الطريق المزيده وعله الناقد بالطريق الناقصة فهو تعليل مردود كما صرح به الدارقطني •

مثاله (٢) :

قال الدارقطني : وأخرجنا جميعا حديث ابن جريج عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه وعمه عبيد الله بن كعب عن كعب بن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قدم من سفر ضحى بدأ بالمسجد ، الحديث وقد خالفه معمر فقال عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه وقال عقيل عن الزهري عن ابن كعب عن أبيه وهو يشبه رواية معمر • قال : الدارقطني ورواية ابن جريج أصح ولا يضره من خالفه قال ابن حجر قول معمر وغيره عن عبد الرحمن بن كعب يحمل على أنه نسبة الى جده فتكون روايتهم منقطعة ، وهذا الجواب صحيح من الدارقطني في أن الاختلاف في مثل هذا لا يضر كما قرر .

لأن الراوى (٣) أن كان سمعه فالزيادة لا تضر لأنه قد يكون سمعه

(١) المقدمة صفحة ٨١ من كتاب الجهاد .

(٢) المقدمة صفحة ٩٥ من كتاب الجهاد .

(٣) المقدمة صفحة ٨١ من كتاب الجهاد .

بواسطة عن شيخه في الطريق الزائدة ثم لقيه فسمعه منه مباشرة • وان كان لم يسمعه في الطريق الناقصة فهو منقطع والمنقطع من قسم الضعيف لا يدل الصحيح مثاله :

قال الدارقطني وأخرج جميعا حديث يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله بن عمر عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة المسىء صلاته وقول النبي صلى الله عليه وسلم له ارجع فصل فانك لم تصل ، وقد خالف يحيى القطان أصحاب عبيد الله كلهم منهم أبو أسامة وعبد الله بن نمير وعيسى بن يونس وغيرهم فرووه عن عبيد الله عن سعيد عن أبي هريرة لم يذكروا أباه • ويحيى حافظ ويشبهه أن يكون عبيد الله حدث به على الوجهين والله أعلم • قال ابن حجر ورجح الترمذي رواية يحيى القطان •

وان أخرج صاحب الصحيح الطريق الناقصة وعلله اننا قد بالطريق المزيدة تضمن اعتراضه دعوى انقطاع فيما صححه المصنف • فينظر — ان كان ذلك الراوى صحابيا — أو ثقة غير مدلس قد أدرك من روى عنه ادراكا بينا أو صرح بالسماع ان كان مدلسا من طريق أخرى فان وجد ذلك اندفع الاعتراض بذلك ، وان لم يوجد وكان الانقطاع فيه ظاهرا فمحصل الجواب عن صاحب الصحيح انه انما أخرج مثل ذلك في باب ماله متابع وعاضد أو ما حفته قرينة في الجملة تقوية ويكون التصحيح وقع من حيث المجموع • مثال ذلك (١) :

قال الدارقطني : أخرج البخاري حديث أبي مروان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أم سلمة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها اذا صليت الصبح فطوفي على بعيرك والناس يصلون الحديث ، هذا منقطع وقد وصله حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن زينب عن أم سلمة ،

(١) المقدمة صفحة ٩١ من كتاب الجهاد •

ووصله مالك عن أبي الاسود عن عروة كذلك في الموطأ قال ابن حجر
حديث مالك عند البخارى في هذا المكان مقرون بحديث أبي مروان *
وقد وقع في بعض النسخ وهي رواية الاصيلي في هذا عن هشام عن
أبيه عن زينب عن أم سلمة موصولا وعلى هذا اعتمد المزى في الأطراف
ولكن معظم الروايات على اسقاط زينب قال ابو على الجياني وهو
الصحيح ، ثم ساقه من ريق ابي على بن السككن عن على بن عبد الله بن
مبشر عن محمد بن حرب شيخ البخارى فيه على الموافقة وليس فيه زينب
وكذا أخرجه الاسماعيلي من حديث عبده بن سليمان * ومحاضر وحسان
ابن ابراهيم كلهم عن هشام ليس فيه زينب وهو المحفوظ من حديث
هشام وانما اعتمد البخارى فيه رواية مالك التي أثبت فيها ذكر زينب
ثم ساق معها رواية هشام التي سقطت منها ، حاكيا للخلاف فيه على
عروة كعادته مع أن سماع عروة من أم سلمة ليس بمستبعد *
(ب) وربما علل بعض النقاد أحاديث أدعى فيها الانقطاع لكونها
غير مسموعة * كما في الأحاديث المروية بالمكاتبة والاجازة وهذا لا يلزم
منه الانقطاع عند من يسوغ الرواية بالاجازة بل تخريج صاحب الصحيح
لمثل ذلك دليل على صحة الرواية بالاجازة عنده *

مثاله (١) :

قال الدارقطني : وأخرجنا جميعاً حديث موسى بن عقبة عن أبي النضر
مولى عمر بن عبد الله قال كتب اليه عبد الله بن أبي أوفى ، فقرأته أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمنوا لقاء العدو وإذا لقيتموه فاصبروا
« الحديث » قال وأبو النضر لم يسمع من ابن أبي أوفى وانما رواه عن
كتابه فهو حجة في رواية المكاتبة *

قال ابن حجر فلا علة فيه لكنه ينبغي على أن شرط المكاتبة هل هو
من الكاتب الى المكتوب فقط أم كل من عرف الخط روى به وان لم
يكن مقصودا بالكاتبة اليه *

(١) صفحة ٩٣ من كتاب الجهاد *

الأول هو المتبادر الى الفهم من المصطلح • وأما الثانى فهو عندهم من صور الوجدادة ، لكن يمكن أن يقال هنا أن رواية أبى المنذر هنا تكون من مولاة عمر بن عبيد الله عن كتاب ابن أبى أوفى اليه • ويكون أخذه كذلك عن مولاة عرضا لأنه قرأه عليه لأنه كان كاتبه فتصير والحالة هذه من الرواية بالمكاتبة كما قال الدارقطنى والله أعلم •

القسم الثانى :

ما تختلف الرواية فيه بتغيير رجال بعض الاسناد • فالجواب عنه ان أمكن الجمع بأن يكون الحديث عند ذلك الراوى على الوجهين جميعا فأخرجهما المنصف ولم يقتصر على احدهما حيث يكون المختلفون فى ذلك متعادلين فى الحفظ والعدد مثاله (١) •

قال الدارقطنى أخرج البخارى من حديث اسرائيل عن الأعمش ومنصور جميعا عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار فنزلت والمرسلات الحديث ولم يتابع اسرائيل عن الأعمش عن علقمة أما منصور فتابعه شيبان عنه وكذا رواه مغيرة عن ابراهيم •

قال ابن حجر وقد حكى البخارى الخلاف فيه وهو تعليل لا يضر •
أ ه •

ويجمل أن أبين ما حكاه البخارى قال حدثنى محمود حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبيد الله رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزلت عليه والمرسلات وانا لنتلقاها من فيه فخرجت حية فابتدرناها فسبقتنا فدخلت جحرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتهم شرها حدثنا عبده بن عبد الله أخبرنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن منصور بهذا وعن اسرائيل عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله مثله وتابعه أسود بن عامر عن اسرائيل وقال حفص أبو معاوية وسليمان بن قرم عن الأعمش عن ابراهيم عن الأسود قال يحيى بن حماد أخبرنا

(١) المقدمة ص ٩٦ •

أبو عوانة عن معيرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله وقال بن اسحاق
عن عبد الرحمن بن الاسود عن أبيه عن عبد الله حدثنا قتيبة حدثنا جرير
عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود قال . قال عبد الله بينما نحن مع
النبي الحديث *

وان امتنع بأن يكون المختلفون غير متعادلين بل متقاربين
في الحفظ والعدد فيخرج المصنف الطريق الراجحة ويعرض عن الطريق
المرجوحة أو يشير إليها فالتعليل بجميع ذلك من أجل مجرد الاختلاف
غير قادح إذ لا يلزمه من مجرد الاختلاف اضطراب يوجب الضعف فينبغي
الاعلام أيضا فيما هذا سبيله *

مثاله (١) قال الدارقطني أخرج مسلم حديث الأشج
عن أبي خالد عن الأعمش عن الحكم ومسلم البطيين وسلمة
ابن كهيل عن سعيد وعطاء ومجاهد عن ابن عباس أن امرأة زعمت
أن أختها ماتت وعليها صوم الحديث قال . وقال البخاري ويذكر عن
أبي خالد فذكره قال الدارقطني وخالفه جماعة منهم شعبة وزائدة وابن
نمير وأبو معاوية وجرير وغير واحد عن الأعمش عن مسلم عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس وبين زائده في روايته من أين دخل الوهم على أبي
خالد فقال في آخر الحديث فقال الحكم وسلمة بن كهيل وكانا عند
مسلم حين حدث بهذا الحديث ونحن سمعناه من مجاهد عن ابن عباس
قال ابن حجر قلت قد أوضحت هذه الطريق في كتابي تغليق التعليق
وتبينت أنه لا يلحق الشيخين في ذكرها لطريق أبي خالد لوم لأن البخاري
علقه بصيغة يشير إلى وهمه فيه وأما مسلم فأخرجه مقتصرًا على أسناده
دون سياق متنه *

القسم الثالث (٣) :

ما تفرد بعض الرواة فيه دون من هو أكثر عددا أو أضبط ممن لم
يذكرها فهذا لا يؤثر التعليل به الا ان كانت الزيادة منافية بحيث يتعذر

(١) المقدمة ص ٩١ .

(٢) مقدمة فتح الباري ج ٢ ص ٨٢ .

الجمع أما ان كانت الزيادة لا منافاة فيها بحيث تكون كالحديث
المستقل فلا .

اللهم الا ان وضح بالدلائل القوية أن تلك الزيادة مدرجة في المتن
من كلام بعض رواة فما كان من هذا القسم فهو مؤثر مثاله (١) قال
الدارقطني وأخرج جميعا حديث قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن
نهيك عن أبي هريرة من أعتق شقيصا (٢) وذكر فيه الاستسعاء من
حديث بن أبي عروبة وجريير بن حازم وقد روى هذا الحديث شعبة
وهشام وهما أثبت الناس في قتادة فلم يذكروا في الحديث الاستسعاء
ووافقهما همام وفصل الاستسعاء من الحديث فجعله من رأى قتادة
لا من رواية أبي هريرة قال المقبري عن همام وقال أبو مسعود حديث
همام عندي حسن وعندي انه لم يقع للشيخين ولو وقع لهما لحكم بقبوله
وتابعه معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة وكذا رواه أبو عامر عن هشام
قال الدارقطني وهذا أولى بالصواب من حديث أبي عروبة وجريير بن
حازم قال ابن حجر وقد اختلفت فيه على همام وعلى هشام ولم يفسح
بالاجابة ابن حجر وجاء بها العيني وحكى العيني (٣) احتجاج أبي حنيفة
بما رواه البخاري من الاستسعاء قال احتج أبو حنيفة بما رواه البخاري
من أعتق شقيصا له في مملوك فخلاصه عليه في ماله ان كان له مال والا
قوم عليه واستسعى به غير مشقوق أى لا يشدد عليه ورواه مسلم
أيضا وقال ابن حزم على ثبوت الاستسعاء ثلاثون صاحبيا .

وقد رواه البخاري عن مسدد عن يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة
وتابعه حجاج بن حجاج وابن موسى بن خلف عن قتادة أى تابع سعيد
ابن أبي عروبة في روايته عن قتادة حجاج .

قال العيني : أراد البخاري بذكر متابعة هؤلاء الرد على من زعم
أن الاستسعاء في هذا الحديث غير محفوظ بل مدرج وأن سعيد بن أبي

(١) الحديث رقم ٣٤ ص ٩٣ من الشرب من كتاب البيوع من مقدمة المنع .

(٢) شقيصا - نصيبا .

(٣) شرح البخاري للعيني ج ٥ ص ١٧٥ .

عروبة تفرد به فاستظهر له بمتابعتة هؤلاء المذكورين وكذلك رواه حجاج بن أرطاة عن قتادة كما أخرجه الطحاوي وأخرج رواية أبان أبو داود ورواه النسائي برواية الطحاوي وبرواية موسى بن خلف أخرجه الخطيب في كتاب الفصل والوصل وكل ذلك بذكر الاستسعاء فلا وجه للاعتراض •

القسم الرابع :

ما تفرد به بعض الرواة ممن ضعف من الرواة وليس في الجامع الصحيح للبخاري من هذا القبيل غير حديثين وتبين أن كلا منهما قد توبع وهما •

الأول ، قال الدارقطني (١) وأخرج البخاري حديث أبي بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم فرس يقال له اللحيث قال وأبى هذا ضعيف وترجم له ابن حجر في الرجال (٢) قال أبي بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي الانصاري المدني ضعفه احمد وابن نعيم وقال النسائي ليس بالقوى قال ابن حجر له عند البخاري حديث واحد في ذكر خيل النبي صلى الله عليه وسلم وهو الحديث المذكور الذى معنا وقد تابعه عليه أخوه عبد المهيمن ابن العباس وروى له الترمذى وابن ماجة فاندفع الاعتراض عليه •

الحديث الثانى :

قال الدارقطني (٣) ووجده ابن حجر بخطه أخرج البخاري حديث اسماعيل بن أبي أويس عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر رضى الله عنه استعمل مولى يدعى هنيا • على الخمس الحديث بطوله قال واسماعيل ضعيف قال ابن حجر (٤) وروينا في مناقب البخاري بسند صحيح أن اسماعيل أخرج للبخاري أصوله وأذن له أن ينتقى منها وأن يعلم ما يحدث به ليحدث به ويعرض عما سواه وهو مشعر

(١) شرح البخارى للمعنى ج ٥ ص ١٧٥ •

(٢) المعنى ج ٥ ص ٢١٠ •

(٣) المقدمة ص ٩٤ كتاب الجهاد •

(٤) ص ١١٥ من المقدمة •

بأن ما خرجه البخاري عنه هو من صحيح حديثه لأنه كتب من أصوله وعلى هذا لا يحتج بشيء من حديثه غير ما في الصحيح من أجل ما قدح فيه النسائي وغيره إلا أن يشاركه فيه غيره فيعتبر به ، على أنه لم ينفرد بهذا الحديث كما ظن الدارقطني بل تابعه عليه معن بن عيسى فرواه عن مالك كرواية اسماعيل سواء فاندفع به الاعتراض • وبهذا ثبت أن كل ما انتقد على البخاري فضلا عن رده أنه ما من حديث إلا وقد ورد من طريق آخر فثبتت صحة المتن كلها •

القسم الخامس :

ما اختلف فيه بتغيير بعض ألفاظ المتن فهذا أكثره لا يترتب عليه قدح الامكان الجمع فيما اختلف من ذلك أو الترجيح • مثاله (١) حدثنا أبو نعيم حدثنا زكريا قال سمعت عامرا يقول : حدثني جابر أنه كان يسير على جمل له قد اعيأ فمر النبي صلى الله عليه وسلم فضربه فدعا له فسأر سيرا ليس يسير مثله ثم قال بعنيه بأوقية قلت لا ثم قال بعنيه بأوقية فاستثنيت حملانه الى أهلى فلما قدمنا أثبتته بالجمل ونقدني ثمنه ثم انصرفت فأرسل على أثرى • وقال عبيد الله وابن اسحاق عن وهب عن جابر اشترأ النبي صلى الله عليه وسلم بأوقية وتابعه زيد بن أسلم عن جابر وقال ابن جريج عن عطاء وغيره عن جابر أخذته بأربعة دنانير وهذا يكون بأوقية على حساب الدينار بعشرة دراهم ، ولم يبين الثمن مغيرة عن الشعبي عن جابر وابن المنكدر وأبو الزبير عن جابر وقال الأعمش عن سالم عن جابر أوقية ذهب وقال اسحاق عن سالم عن جابر بمائتي درهم وقال داود بن قيس عن عبد الله بن مقسم عن جابر اشترأ بطريق تبوك أحسبه قال بأربع أواق عن جابر اشترأ بعشرين دينارا وقال الشعبي بأوقية أكثر ، والاشتراط أكثر وأصح عندي قال «أبو عبد الله» وهذا تعبير البخاري يريد نفسه أو حكاية عنه من الراوى وقيل ابن

(١) شرح لمع الباری ج ٥ ص ١٩٨ باب اذا اشترط البائع ظهر الدابة الى مكان يسمى جاز .

حجر في شرحه (١) قوله قال أبو عبد الله هو المصنف الاشتراط أكثر وأصح عندي أي أكثر طرقا وأصح مخرجا وأشار بذلك إلى أن الرواة اختلفوا عن جابر في هذه الواقعة هل وقع ائشراط في العقد عند البيع أو كان ركوبه للجمل بعد بيعه إباحة من النبي صلى الله عليه وسلم بعد شرائه عن طريق العارية *

والحاصل أن الذين ذكروه بصيغة الاشتراط أكثر عددا من الذين خانفوه وهذا وجه من وجوه الترجيح فيكون أصح ويترجح أيضا بأن الذين رووه بصيغة الاشتراط معهم زيادة وهم حفاظ فتكون جسة وليست رواية من لم يذكر الاشتراط منافية لرواية من ذكر لأن قوله لك ظهره وأفقرناك ظهره وتبلغ عليه لا يمنعه وقوع الاشتراء قبل ذلك وقد رواه عن جابر بمعنى الاشتراط أيضا أبو المتوكل عند أحمد ولفظه بمعنى ولك ظهره إلى المدينة ولكن أخرجه المصنف في الجهاد من طريق أخرى عن أبي المتوكل فلم يتعرض للشرط اثباتا ولا نفيا ورواه أحمد من هذا الوجه بلفظ أتبعني جملك قلت نعم قال أقدم عليه المدينة *

قوله وقول الشعبي بأوقية أكثر أي موافقة لغيره من الأقوال وقد جمع عياض وغيره بين هذه الروايات فقال سبب الاختلاف أنهم رووا بالمعنى والمراد أوقية الذهب والأربع أواق والخمس بقدر ثمن الأوقية الذهب والأربعة دنانير مع العشرين دينار محمولة على اختلاف الوزن والعدد وكذلك رواية الأربعين درهما مع المائتي درهم قال وكان الاخبار بأفضة عن ما وقع عليه العقد وبالذهب عما حصل به الوفاء أو بالعكس أ * ه *

قال القرطبي اختلفوا في ثمن الجمل اختلفا لا يقبله التلقيق وتكلف ذلك بعيد عن التحقيق وهو مبنى على أمر لم يصح نقله ولا استقام ضبطه مع أنه لا يتعلق بتحقيق ذلك حكم وإنما تحصل من مجموع الروايات أنه باعه البعير بثمن معلوم بينهما وزاده عند الوفاء زيادة معلومة ولا يضر عدم العلم بتحقيق ذلك .

(١) فتح الباري *

قال الاسماعيلي ليس اختلافهم في قدر الثمن بضار ، لأن الغرض الذي سبق الحديث لأجله بيان كرمه صلى الله عليه وسلم وتواضعه وحنوه على أصحابه وبركة دعائه وغير ذلك ولا يلزم من وهم بعضهم في قدر الثمن توهينه لأصل الحديث قال الحافظ ابن حجر وما جنح اليه البخارى من الترجيح أقعد وبالرجوع الى التحقيق أسعد فليعتمد ذلك وبالله التوفيق •
فالبخارى هنا قد عرض الروايات وبين قيمتها وصرح برأيه فأى ضير في ذلك ؟

وفى هذا ومثله فقط وقع النقد فى المتن عند المتقدمين ولهذا القدر فقط كان القول بعدم لزوم حجة الاسناد لصحة المتن ومقياسهم فى ذلك مخالفة اللفظ لما رواه الثقات فأخذ من هنا نقاد العصر الحديث نقد المتن فى أصل الحديث مع صحة السند وقاسوه على مقاييسهم الزائفة ورموا المتقدمين بعدم نقد المتن •

وهكذا نجد أنه لم يثبت الضعف الفرد فى صحيح البخارى وان وجد فيه المضعف الذى انتقد عليه وقد رد هذا النقد وظهر صحة الحديث فى طريقه المنتقد وتعزيده بطريق آخر صحيح لا نقد فيه وأن ما وجه اليه من ناحية النقد فى المتن من حيث الادراج من الرواة وعدمه قد بينه البخارى وذكر رأيه فيه فلا اعتراض عليه فثبت بذلك صحة مثونه •

وقد انتهى ابن حجر بعد الدراسة والتحليل منها فى الفصل الثامن فى المقدمة على ما بدأ به من أن ما انتقد عليه وان لم يقدر فى أصل موضوع الكتاب فان جميعها ورد من جهة أخرى صحيحة لا نقد عليها ومما يؤيد صحة متن البخارى وأن عدم نقدته انما هو لعدم وجود ما ينقد فيه من المتن قول الكشميرى (١) •

(١) نيفس البارى ج ١ ص ٣٤ •

ثم ان الدارقطنى تتبع على البخارى فى أزيد من مائة موضوع لم يستطع أن يتكلم الا فى الأسانيد بالوصل والارسال غير موضع واحد وهو اذا جاء أحدكم والامام يخطب فليصل ركعتين وليتجاوز فيهما فإنه تكلم فيه مما يتعلق بحال المتن •

ووجهه أن الدارقطنى يمشى على القواعد الممهدة عندهم فينازعه من القواعد • وشأن البخارى أرفع من ذلك فإنه يمشى على اجتهداه وينظر الى خصوص المقام وشهادة الوجدان وانما القواعد لغير الممارس على حد التحديد للعوام فيما لم يرد به التحديد من الشارع ، أ • ه • ولما كان هذا الحديث الوحيد الذى تصدر له الدارقطنى بالنقد من حيث المتن فأبين موضع نقده وانه لا يتصل بأصل الحديث كما جاء به ورد نقده ابن حجر •

قال الدارقطنى (١) وأخرجاً جميعاً البخارى ومسلم حديث شعبة عن عمرو عن جابر اذا جاء أحدكم والامام يخطب فليصل ركعتين وقد رواه ابن جريج وابن عينية وحماد بن زيد وأيوب وورقاء وحبيب بن يحيى كلهم عن عمرو بأن رجلاً دخل المسجد فقال له : صليت الصديث • وقد رد ابن حجر قال : هذا يوهم أن هؤلاء أرسلوه وليس كذلك فقد أخرجه الشيخان من رواية حماد بن زيد وسفيان بن عيينه ، ومسلم من حديث أيوب وابن جريج كلهم عن عمرو بن دينار موصولاً وانما أراد الدارقطنى أن شعبة خالف هؤلاء الجماعة فى سياق المتن واختصره وهم انما أوردوه على حكاية قصة الداخل وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بصلاة ركعتين والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وهى قصة محتملة للخصوص •

وسياق شعبة يقتضى العموم فى حق كل داخل فهى مع اختصارها أزيد من رواياتهم وليست بشاذة فقد تابعه على ذلك روح بن القاسم

(١) المقدمة ح ٢ ص ٨٨ •

عن عمرو بن دينار، أخرجه الدارقطني في السنن فهذا يدل على أن عمرو
ابن دينار حدث به على الوجهين والله أعلم •

نقد الرجال وقيمتهم

وقد توجه النقد الى ما حكم فيه بالوهم (١) على بعض الرجال ،
وهذا منه ما يؤثر ذلك الوهم قدحاً ومنه ما لا يؤثر •
والمراد بالتأثير انما هو في قيمة الرجال والحكم عليهم وان كان ذلك
لا يؤثر في متن الحديث كما تقدم بالنسبة للامثلة التي ذكرت في القسم
الرابع وقد علمنا أنه لم ينفرد الرواه الضعفاء بالحديث في صحيح
البخاري الا في حديثين •

وقد تبين أن كلا منهما قد توبع ومعنى ذلك أنه ثبت أنه لم ينفرد
ضعيف بالحديث فعلى فرض ثبوت ضعف الراوى لم يتأثر المتن الذى
ثبت أنه قد روى من طرق أخرى صحيحة غير الطريق الذى توهم فيه
الضعيف لمتابعته من طريق صحيح وهذا ما بينه ابن حجر • فقال : بعد
أو أورد الرجال الذين ورد فيهم طعن (٢) : فجميع من ذكر في هذين
الفصلين ممن احتج به البخاري لا يلحقه في ذلك عيب لما فسرناه واما
ما عدا من ذكر فيهما ممن وصف بسوء الضبط أو الوهم أو الغلط
ونحو ذلك وهو القسم الثالث فبين أيضاً أنه لم يلحقه عيب قال : فلم
يخرج لهم الا ما توبعوا عليه عنده أو عند غيره وقد شرحنا من ذلك
ما فيه كفاية والله الموفق الى سبيل الرشاد ونفع الله بجميع ذلك بمنه
وكرمه •

وبذلك فقد أصبحت قيمة النقد في الرجال انما هي بالنسبة الى
الحكم عليهم والتعريف بهم وسلم المتن لجيئه من طريق آخر صحيح
وان قيمة السند كما هي لصحة الحديث •

(١) المقدمة ج ٢ ص ٨٢ •

(٢) المقدمة ج ٢ ص ١٨٣ •

هى أيضا للبركة بالاسناد المتصل الى صاحب السنة حتى تتصل
الروحانية النبوية فى سلسلة كريمة عاطرة الى راوى الحديث وقارئه
وهذا مما اختلفت به الامة الاسلامية فى حفظ تراثها حيا نابضا بالحياة
وهى احدى الحكم التى عدت فى اعجام أوائل السور حتى لا يستطيع
إنسان أن يقرأها بدون شيخ حتى يتأكد المتلقى أن النقل من شيخ الى
ما فوقه كان بالمشافهة باتصال روحى تلقاه مقرأ عن مقرأ حتى فم
النبى صلى الله عليه وسلم المعطر الذى تلقاه من جبريل عن رب العزة
سلسلة مباركة مطهرة يتجلى فيها الروحانية والبركة *

مقاييس الطعن فى الرجال

ونرتاد الى رياض ابن حجر فى مقاييس نقد الرجال ومدارها وقيمة
رجال الصحيح *

قال ابن حجر (١) لا يقبل الطعن فى أحد منهم « أى من رجال
الصحيحين » الا بقادح واضح لأن أسباب الجرح مختلفة *

ومدارها على خمسة أشياء :

١ - البدعة *

٢ - المخالفة *

٣ - الغلط *

٤ - جهالة الحال *

٥ - دعوى الانقطاع فى السند بأن يدعى فى الراوى أنه كان يدلس

أو يرسل *

فأما جهالة الحال فمندفعة عن جميع من أخرج لهم فى الصحيح لأن
شرط الصحيح أن يكون راويه معروفا بالعدالة فمن زعم أن أحدا منهم
مجهول فكأنه نازع المصنف فى دعواه أنه معروف ولا شك أن المدعى
لمعرفته مقدم على من يدعى عدم معرفته لما مع المثبت من زيادة العلم

(١) المقدمة ج ٢ ص ١١١ *

ومع ذلك فلا تجد في رجال الصحيح أحدا يسوغ ادّلق اسم الجهالة عليه أصلا •

وأما الغلط فتارة يكثر من الراوى وتارة يقل •

فحيث يوصف بكونه كثير الغلط فيما أخرج له ان وجد مرويا عنده أو عند غيره من رواية غيره غير هذا الموصوف بالغلط علم أن المعتمد أصل الحديث لا خصوص هذه الطريقة وان لم يوجد الا من طريقه فهذا قاذح يوجب التوقف عن الحكم بصحة ما هذا سبيله وليس في الصحيح بحمد الله من ذلك شيء •

وحيث يوصف بقلّة الغلط كما يقال سئء الحفظ أوله أو هام أو له مذاكير وغير ذلك من العبارات والحكم فيه كالحكم في الذي قبله .

فتارة يكثر وتارة يقل وينظر فيما أخرج له •• الخ •• وليس في الصحيح بحمد الله شيء من ذلك •

الا أن الرواية عن هؤلاء في المتابعات أكثر منها عند المصنف من الرواية عن أولئك مع عدم التفرد فلا طعن • (أى هي للاستثناس والشواهد وتكثير الطرق فهي معادة) •

وقد نص ابن حجر على ذلك في باب ما طعن عليه من رجال المعلقات أذكره لأهميته فهو خير دليل لسلامة متن ونصوص المعلقات وبذلك يسلم كل ما جاء بالصحيح من المعلقات كما سلم ما جاء من الأصول وقد عقد ابن حجر فصلا في سياق من علق البخارى (١) شيئا من أحاديثهم ممن تكلم فيه قال وما يعلقه البخارى من أحاديث هؤلاء انما يورده في مقام الاستشهاد وتكثير الطرق ومعنى ذلك أنه معاد في صورة غير معترض عليها في الكتاب ولذا رتب، النتيجة المنطقية قائلا فلو كان ما قيل فيهم قاذحا ما ضر ذلك ثم، ورد، الأسماء على التفصيل .

(١) المقدمة ص ١٧٦ •

والأمر الثالث (١) : المخالفة ويثبت بها الشذوذ والنكارة فاذا روى الضابط والصدوق شيئاً فرواه من هو أحفظ منه أو أكثر عدداً بخلاف ما روى بحيث يتعذر الجمع على قواعد المحدثين فهذا شاذ وقد تستد المخالفة بأن يضعف الحفظ فيحكم على من يخالف فيه بكونه منكراً وهذا ليس في الصحيح منه إلا نذر يسير .

كما تقدم في نقد المتن في قصة جمل جابر والروايات الضعيفة في مقابل الروايات القوية والأكثر عدداً التي رجحها البخاري بعد ذكر الجميع وقد علمت أن البخاري ينبه عليه ويذكر فيه رأيه . فلا اعتراض عليه .
(٤) قال ابن حجر : وأما دعوى الانقطاع فمدفوع عمّن أخرج لهم البخاري كما علم من شرطه ومع ذلك فحكم من ذكر من رجاله بتدليس أو إرسال أن تسيّر أحاديثهم الموجودة عنده بالنعنة فإن وجد التصريح بالسماع فيها اندفع الاعتراض والا فلا . وقد ثبت السماع في المعنعن فلا وجه للاعتراض .

والأمر الخامس : البدعة والموصوف بها أما أن يكون ممن يكفر بها أو يفسق . فالمكفر بها لأبد وأن يكون ذلك التكفير متفقاً عليه من قواعد جميع الأئمة كما في غلاة الروافض من دعوى بعضهم حلول الألوهية على أو غيره أو الإيمان برجوعه إلى الدنيا قبل يوم القيامة أو غير ذلك وليس في الصحيح من حديث هؤلاء شيء البتة والمفسق بها كبدع الخوارج والروافض الذين لا يغلون ذلك الغلو وغير هؤلاء من الطوائف المخالفين الأصول السنة خلافاً ظاهراً لكنه مستند إلى تأويل ظاهره سائغ فقد اختلف أهل السنة في قبول حديث ما هذا سبيله إذا كان معروفاً بالتحرز من الكذب مشهوراً بالسلامة من خوارم المروءة موصوفاً بالديانة والعبادة فقليل يقبل مطلقاً وقيل يرد مطلقاً والثالث التفصيل بين أن يكون داعية لبدعته أو غير داعية فيقبل غير الداعية ويرد حديث الداعية وهذا المذهب هو الأعدل وصارت إليه

(١) المصنفه من ١١١ .

المطوائف من الأئمة وادعى ابن حبان اجماع أهل النقل عليه لكن في دعوى ذلك نظر ثم اختلف انقائلون بهذا التفصيل فبعضهم أطلق وبعضهم زاده تفصيلا فقال ان اشتملت رواية غير الداعية على ما يشيد ببذعته ويزينه ويحسنه ظاهرا فلا تقبل وان لم تشتمل فتقبل وطرد بعضهم هذا التفصيل بعينه في عكسه في حق الداعية فقال ان اشتملت روايته على ما يرد ببذعته قبل والا فلا وعلى هذا اذ اشتملت رواية المبتدع سواء كان داعية أم لم يكن على ما لا تعلق له ببذعته أصلا هل ترد مطلقا أو تقبل مطلقا مال أبو الفتح القشيري الى تفصيل آخر فيه فقال ان وافقه غيره فلا يلتفت اليه هو اخمد لبذعته واطفاء لناره وان لم يوافقه أحد ولم يوجد ذلك الحديث الا عنده مع ما وصفنا من صدقه وتحزره عن الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببذعته فينبغي أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ونشر تلك السنة على مصلحة اهانتة واطفاء بذعته والله أعلم *

واعلم انه قد وقع من جماعة الطعن في جماعة بسبب اختلافهم في العقائد فينبغي التنبيه لذلك وعدم الاعتداد به الا بحق وكذا عاب جماعة من الورعين جماعة دخلوا في أمر الدنيا فضغفوههم لذلك ولا أثر لذلك التضعيف مع الصدق والضبط والله الموفق *

وأبعد من ذلك كله من الاعتبار تضعيف من ضعف بعض الرواة بأمر يكون الحمل فيه على غيره أو للتحامل بين الأقران ، وأشد من ذلك تضعيف من ضعف من هو أوثق منه أو أعلى قدرا أو أعرف بالحديث وقد بين ابن حجر القطع بعد التهم وحفظهم *

قال : ينبغى لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأي راو كان * مقتضى عدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ولا سيما ما انضاف الى ذلك من أطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في الصحيح فهو بمثابة أطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما هذا اذا خرج له في الأصول فاما ان خرجا له في المتابعات

والشواهد والتعاليق فهذا تتفاوت درجات من أخرج له منهم في الضبط وغيره من حصول اسم الصدق لهم وحينئذ إذا وجدنا لغيره في أحد منهم طعنا فذلك الطعن مقابل لتعديل الامام فلا يقبل الا مبين السبب مفسرا بقادح يقدح في عدالة هذا الراوى وفي ضبطه مطلقا أو في ضبطه الخبر بعينه لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدح ومنها ما لا يقدح وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسى يقول في الرجل الذى يخرج عنه في الصحيح هذا جاز القنطرة يعنى بذلك أنه لا يلتفت الى ما قيل فيه *

قال الشيخ أبو الفتح القشيري في مختصره وهكذا نعتقد وبه نقول ولا نخرج عنه الا بحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد في غلبة الظن على المعنى الذى قدمناه من اتفاق الناس بعد الشيوخ على تسمية كتابيهما بالصحيحين ومن لوازم ذلك تعديل روايتها وبهذا فقد اندفع الاعتراض عن نقد رجال البخارى وبالتالي ثبت المتن سليما ، المسند منه والمعلق *

ويؤكد ذلك المعنى وصل ابن حجر لما لم يوصل فيه *

وقول البخارى ولست أروى حديثا من حديث الصحابة والتابعين الأولى في ذلك أصل أحفظه من كتاب أو سنة (١) *

وهذه نتيجة يعتز بها المسلمون وحق لهم أن يباهوا بها تراث الانسانية جمعاء *

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ، وصدق الله العظيم الذى قال : انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * والقائل غامما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال *

(١) المطبوعات ج ٢ ص ٨ *

الباب التاسع

النقد الحديث في صحيح البخاري



النقد الحديث في صحيح البخارى

نقد كانت الحرب الصليبية الأوروبية في بلاد الاسلام نابعة
بدافعين أساسيين :

الدافع الاول :

العصبية العمياء من رجال الكنيسة محرضين على تخليص مهد
المسيح من أيدي المسلمين مفترين بالتشويش على عقائد الاسلام
ومقاييسه .

الدافع الثانى :

وهو استغلال ثروات المسلمين وكانت النتيجة أن هزمت الجيوش
الصليبية وأخفقت عسكريا فرأوا أن يتجهوا الى دراسة عقائد المسلمين
لغزوهم ثقافيا وألفت الجمعيات المسيحية واليهودية لهذا الغرض وهؤلاء
هم المبشرون من رجال الدين الذين عنوا بدراستهم لأصول الاسلام
وقواعده لبليلة هذه الثقافة الحيوية الاسلامية وكان منهم من يتسم في
المظاهر بانصاف الاسلام والاشادة به ، لا لشيء الا ليطمئن الباحث الى
أفكاره ثم يأتى بجزئية صغيرة في حروفها خطيرة في سموها بالنسبة
الى الاسلام وأصوله وسواء أكان ذلك عن جهل بطبيعة الاسلام أم عن
سوء النية فقد كان خطرا على قواعد الاسلام والتهوين من شأن مصادره
الصادفة ورجاله المعنيين به وكان لهم مدرسة فتن بها بعض الباحثين
الاسلاميين الذين يطربون لكل جديد شعورا ساذجا منهم الى أن ذلك
يعلو قدرهم عن صفوف رجال الدين وكان من أشد هؤلاء المستشرقين

حطرا المستشرق اليهودى المجرى (١) جولد تسيهر * وحسبك أن ترى
افتراء هذا المستشرق في آرائه *
في كتابه مذاهب التفسير الاسلامى ترجمة الدكتور عبد الحليم
النجار *

وفي كتابه العقيدة والشريعة في الاسلام الذى ترجمه الأستاذة
الدكتور محمد يوسف موسى والدكتور على حسن عبد القادر والأستاذ
عبد العزيز عبد الحق وكان من قواعد هذا المستشرق ما هو هدم لكيان
السنة بصفة عامة *

مثال ذلك دعواه أن الحديث نتيجة لتطور المسلمين يقول جولد
تسيهر ، ان القسم الاكبر من الحديث ليس الا نتيجة للتطور الدينى
والسياسة والاجتماع للإسلام في القرنين الأول والثانى . وهذه دعوة
خطيرة للغاية ومنهارة أمام المقاييس الثابتة من الكتاب والسنة ، فمن
أواخر ما نزل على النبى صلى الله عليه وسلم « اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » ولم يتوف الرسول
الا وقد أكمل الشرائع وترك فينا سبيل الهداية ممثلاً في الكتاب
والسنة « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما » كتاب الله
وسنتى » *

وأما من السنة فقد روى البخارى قال « الرسول صلى الله عليه
وسلم » : « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من
خالفهم حتى يأتى أمر الله » *

والعناية بالسنة ووضع المقاييس الثابتة لحفظها والمنهج المستقيم
الذى لم يتوفر لأى ثقافة كان شغل المسلمين يتلقاها خير خاف عن خير
سلف الى أن أوصلوها الينا صحيحة ثابتة كما قالها الرسول ويعلم ذلك
من درس منهجهم التقويم فى كتب المصطلح وما كان هجوم « أبو ريه »

(١) انظر السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للسباعى .

وأمثاله من التشكيك بالسنة لا ترديدا لقضايا هذا المستشرق وأمثاله
« سبرنجر » ودائرة المعارف الإسلامية البريطانية وما مثلهم •

آراء المستشرقين

وقد وضع جولد تسيهر أيضا قاعدة خطيرة ردها من بعده المفتونون
بكل جديد المغرورون بعقولهم أو تبريزهم في ميادين أخرى غير ميدان
الحديث • وهذه القاعدة هي أن الاعتراف بصحة الحديث أمر شكلي
قال جولد تسيهر •• وقد شعر المسلمون في القرن الثاني بأن الاعتراف
بصحة الأحاديث يجب أن يرجع إلى « الشكلى فقط لأنه يوجد بين
الأحاديث الجيدة الاسناد كثير من الأحاديث الموضوعة وساعدهم على
هذا ما ورد من الحديث « سيكثر التحديث عنى فمن حدثكم بحديث
فطبقوه على كتاب الله فما وافق منى قلته أو لم أقله هذا هو الجـدأ
الذى حدث بعد قليل عند انتشار الوضع أ • ه •

الرد على المستشرقين

وقد رد الدكتور السباعى فى كتابه « السنة ومكانتها فى التشريع
الإسلامى » على هذه الفرية فقال :

افترى المستشرقون هنا على علماء الإسلام فى موضوعين :
الأول — زعمه بأن الاعتراف لصحة الحديث شكلى فقط وأنه
يوجد بين الأحاديث الجيدة الاسناد كثير من الأحاديث الموضوعة وهذا
افتراء منه عليهم وهم لم يقولوا بذلك قطعا وكيف يقرون بأن هنالك
كثيرا من الأحاديث الموضوعة هى جيدة الاسناد ؟

وانما الذى قاله العلماء حين بحثوا مسألة العمل بخبر الواحد • هل
يفيد القطع أو الظن ؟ فذهب بعضهم إلى أنه يفيد القطع وذهب الجمهور
إلى أنه يفيد الظن لأنه وإن كان صحيحا بحسب الشروط والقواعد
العامة إلا أنه يحتمل ألا يكون صحيحا « فى الواقع » وهذا منهم مجرد
احتمال عقلى دعاهم إليه الاحتياط فى دين الله والتثبت فى الأحكام فأين
هذا مما ينقله عنهم هذا المستشرق •

الثانى - زعمه أن المبدأ الذى حدث بعد قليل هو حديث سيكتثر التحديث عنى . الخ • • وهذا افتراء محض إذ أن هذا الحديث نقده الأئمة وحكموا بوضعه كما قال الشافعى وابن حزم ويحيى بن معين وعبد الرحمن بن مهدي فكيف يكون هذا الحديث الذى حكموا بوضعه هو القاعدة التى ساروا عليها والمبدأ الذى قالوا به ؟ • • أ • ه • وهذا شأن المستشرقين وأتباعهم يشككون فى الأدلة الصحيحة • ومن الغريب أنهم يتشبهون لتقويض الصحيح بكل ضعيف وأى مكذوب فيأخذونه قاعدة مسلمة وهم بذلك يناقضون أنفسهم إذ الوضع لو صح فى الحديث الصحيح كما يدعون على مذهبهم لألزمهم مذهبهم بالوضع من باب أولى فيما يستدلون به من الضعيف الواهى أو على الأقل يتطرق الاحتمال إليه فلا يستدل به وكأنهم ما علموا أن الاعتناء بالسند إنما هو من أجل العناية بالمتن وأن المحدثين يقولون السند للخبر كالنسب للمرء يقول محمد بن سيرين عن ذلك : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيأخذ حديثهم « وهم الذين لا يكذبون وأصحاب المقاييس الصحيحة » وينظر الى أهل البدع « ممن يظن فيهم الكذب أو الضعف » فلا يأخذ حديثهم (١) وقال سيفان « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ » (٢) •

وقال الامام مالك « لا يؤخذ العلم عن أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس الى هواه ، ولا من سفيه يعلن بالسفه وان كان من أروى الناس ، ولا من رجل يكذب فى أحاديث الناس وان كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف ما يحدث به » وهذا هو نهج المحدثين والبخارى وكان نهجا عمليا تطبيقيا فمايزوا بين الصالحين لأرواية وغير الصالحين كما يتضح ذلك فى كتاب التاريخ الكبير

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٨٤ •

(٢) الكامل لابن عدى ج ٣ ص ٤ •

وكتاب الضعفاء للبخارى ووضح الامر وأشرق اليقين ، على أنهم وضعوا قواعد للمتن على خلاف ما زعم «جولد تسيهر» وما رددته بعده المستشرق «غاستون ويت» كاتب مقال الحديث في التاريخ العام للديانات (١) .

وقد قال : لقد درس رجال الحديث السنة باتقان الا أن تلك الدراسة كانت موجهة الى السند ومعرفة الرجال والنقائهم وسماع بعضهم من بعض الا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن . « ورتب النتيجة الخبيثة لهذه الفكرة الخطيرة بقوله ولذلك فلسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله من غير أن يضيف اليه الرواه شيئاً عن حسن نية في أثناء روايتهم الحديث ، ومن الطبيعي أن يكونوا قد زادوا شيئاً في أثناء روايتهم مشافهة ومهما كان هذا الرأي صحيحاً فان المسلمين يقبلون الحديث على أنه كلام صحيح » أ . ه .

وهكذا يرمون القضايا جزافاً حتى غير مشيرين الى أن هناك مصادر للصحيح معلومة وأخرى جمع فيها كلام الوضاعين وأصبح الأمر معلوماً ، والحق أن المسلمين يتقبلون الحديث الصحيح على أنه صحيح لأنهم أعلم بمقاييسهم وأفهم بمصطلحاتهم وأصدق جهداً بالعناية بترائهم لا كما فهم المستشرق وهذه الدعوى بهرت بعض الباحثين الاسلاميين من أتباع المستشرقين فقد ردها ، الأستاذ أحمد أمين فقال (٢) وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها ولكنهم والحق يقال — عنوا بنقد الأستاذ أكثر مما عنوا بنقد المتن فقل أن يظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب الى النبي صلى الله عليه وسلم لا يتفق والظروف التي قيلت فيه أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفى يخالف المألوف في تعبير النبي أو أن الحديث أشبه في شروطه وقيوده بمتون الفقه وهكذا لسم نظفر منهم في هذا الباب بعشر معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم أ . ه .

(١) Histoire générale Islam (p 366)

(٢) فجر الاسلام ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

وهذه الدعوة من حيث السنة العامة بما فيهم أنشيوخان وغيرهما .
بل انما تطرق هذا التطبيق وتعدى الى البخارى نفسه فيقول
الاستاذ أحمد أمين حتى أن البخارى نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه
يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير
صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال .

وأقول لمثل هؤلاء أن العناية بالسند انما هى من أجل المتن كما
أشرت من قبل ثم ان عدم معرفتكم لمقاييس النقد فى المتن لا يعنى عدم
وجودها والمحدثون نقدوا المتن كما نقدوا السند الا أن هذا النقد لم
يهتدوا الى مظان بحثه حيث بحثتم عليه فى الأحاديث الصحيحة السند
وهو انما يظهر لكم بوضوح عند عدم التأكد من صحة السند — لأن السند
الذى فرض عليه الاتصال للثقات العادلين الحافظين المستتمعين من
المصعب أن نجد فيه الموضوع — لا كما يدعى هؤلاء وكما يقول أبو ريه
وهو من أتباع أتباع المستشرقين أو من أتباع المعرورين من أن المحدثين
لا يعنون بغلط المتن ؟

ونقل أبو ريه الاتفاق (١) على أنه ليس كل ما صح سنده من
الأحاديث المرفوعة يصح مثله لجواز أن يكون فى بعض الرواه من
أخطأ فى الرواية عمدا أو سهوا .

وما كل ما لم يصح سنده يكون مثله باطلا بل قالوا ان الموضوع
من حيث الرواية يكون صحيحا فى الواقع وان الصحيح السند قد
يكون موضوعا فى الواقع وانما علينا ان نأخذ الظواهر أ . هـ وأقول
قد وضع المحدثون المتقدمون قواعد لمعرفة المتن الموضوعة وهى تظهر
بوضوح فى غير صحيح الاسناد .

قال الامام ابن قيم الجوزيه (٢) .

(وسئلت هل يمكن معرفة الموضوع بضابط من غير أن ينظر فى
سنده) فهذا سؤال عظيم القدر وانما يعلم ذلك من تصلح فى معرفة

(١) انظر على السبيل ٣٠٢ لآبى ربه .

(٢) انظر لابن قيم الجوزيه ص ١٥ — وانظر قواعد الحديث ص ١٤٨ .

السنن الصحيحة واختلط بدمه ولحمه وصار له فيها ملكه وحاله • له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدية فيما يأمر به وينهى عنه ويخبر عنه ويدعو إليه ويحبه ويكرهه ويشعره للإمامة بحيث كأنه مخالط للرسول صلى الله عليه وسلم وكلامه وما يجوز أن يخبر عنه وما لا يجوز ، ما لا يعرفه غيره وهذا شأن كل متبع مع متبوعه فالأخص به الحريص على تتبع أقواله وأفعاله في انعام بها والتميز بين ما يصح أن ينسب إليه وما لا يصح ما ليس لمن لا يكون كذاك •

وقال ابن دقيق العيد (١) فان معرفة الوضع من قرينة حال المروى أكثر من قرينة حال الراوى •

ومن القرائن التي تدل على الوضع في المتن على سبيل الاجمال ركاقة اللفظ المروى بحيث يدرك من له المام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم وقد وضعت أحاديث ركيكة تشبه الفاظها ومعانيها فوضعها قال الحافظ المدار في الركة على ركة المعنى فحينما وجدت دلت على الوضع وان لم ينضم اليها ركاقة اللفظ الآن الدين كله محاسن والركة ترجع الى الرواية •

أما ركاقة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى وغير الفاظه بغير لفظ فصيح ، نعم ان صرح بأنه من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فكاذب •

فساد المعنى كالأحاديث التي يكذبها الحس نحو حديث البازنجان لما أكل له ومن الموضوعات كل حديث تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه وكل ما يشتمل على سخافات لا تصدر عن العقلاء كحديث المجرة التي في السماء من عرق الافعى التي تحت العرش •

(١) توضيح الإنكار ص ٩٤ •

وما يناقض نص الكتاب والسنة المتواترة أو الاجماع القطعى (١) .
قال ابن قيم الجوزية ومنها مخالفة الحديث صريح القرآن كحديث
مقدار الدنيا وانها سبعة الاف سنة ويحيى في الالف السابعة وهذا
من أبين الكذب فهو مخالف لقوله تعالى (يسألونك عن الساعة أيا
مرسها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات
والأرض لا تأتيكم الا بغتة) *

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا يعلم متى تقوم الساعة الا
الله (٢) وكل ما يخالف الحقائق التاريخية ، وتكونت من الدراسة ملكات
خاصة عند المحدثين وفي هذا يقول ابن الجوزى « الحديث المنكر
يفتسر له جلد الطالب للعلم وينفر منه قلبه في الغالب (٣) » *
ويقول الربيع بن خيثم التابعى الجليل أحد أصحاب ابن مسعود
« أن من الأحديث حديثا له ظلمة الليل نعرفه بها (٤) » (وان من الحديث
حديثا له ضوء كضوء نعرفه به) ، ولم تكن هذه المقاييس بخافية
على أصحاب الصحاح بل هم فرسان حلبتها لذا لم يوجد الموضوع
عندهم ، أفبعد كل هذا مع جمع الاحاديث الموضوعية في قائمة والصحيحة
في قائمة والتعاون من أبطال المحدثين في المجتمع الاسلامى تصح دعوى
المستشرقين ومن نهج نهجهم في عدم الاعتناء لنقد المتن الذى من أجله
كان السند ومع كل اعتناء بالسند انما هو اعتناء بالمتن فوق ما تقدم من
قواعد المتن الخاصة ، والواقع ان سبب عدم وجود نقد المتن فى صحيح
البخارى أنه انما لما صدق السند صدق المتن فلم توجد فيه متون مخالفة
لقواعد نقد المتن — وان قواعد المتن تظهر فى غير ما سنده يكون
صحيحا وقد جهلتم يا هؤلاء مظان أماكن البحث فابحثوا عنها تجدوها
فى كتب الموضوعات فلو لم يكن الاهتمام بالمتن الا حصرت الموضوعات

(١) الباحث الحديث ص ٩ والمنار لابن قيم الجوزية ص ٢٠ والسنة قبل التدوين ص ٢٤٤ .

(٢) المنار لابن قيم الجوزية ص ٣١ .

(٣) الباحث الحديث ص ٩٠ .

(٤) معرفة علوم الحديث ص ٩٢ والاحتشاش الناضل ص ٦٣ .

والا على أى أساس حصرت غير نقد المتن لأنه من المعلوم ان ضعف السند لا يقتضى ضعف المتن بل يتوقف عن قبوله ولا يحكم بوضعه ويقال فيه لم يثبت فاذا أتى من طريق صحيح صح المتن وقبل فاعلموا مظان نقاط البحث تهتدوا سواء السبيل *

ونظرا لهذا اللبس والخطأ فى معرفة نقاط البحث فى السنة قال « أبو رية » فى كتابه « أضواء على السنة المحمدية » المحدثون لا يعنون بغلط المتن وفى معرض عدم العناية بنقد المتن *

قال أبو رية : فان الدار قطنى وغيره من أئمة النقد لم يتعرضوا لاستيفاء النقد فيما يتعلق بالمتن كما تعرضوا لذلك فى الاسناد وذلك لأن النقد المتعلق بالاسناد دقيق غامض لا يدركه الا أفراد من أئمة الحديث المعروفين بمعرفة علله ، بخلاف النقد المتعلق (بالمتن) فإنه يدركه كثير من العلماء الاعلام المشتغلين بالعلوم الشرعية والباحثين عن مسائلها الاصلية والفرعية ككثير من المفسرين والفقهاء وأهل أصول الفقه وأصول الدين *

وكأنه يعنى بذلك نفسه وأمثاله غرورا وبهتانا وكأن الدراقطنى ، وهو من أئمة النقاد لم يصل الى مقاييس أبى رية وأتباعه ، ثم بعد ذلك ناقض نفسه فبعد أن قرر أن أئمة الحديث انما يعنون بالاسناد رجع مباشرة بعد هذا الكلام بدون فاصل فقرر بأن كثيرا من أئمة الحديث تعرضوا لنقد المتن وان كان قليلا بالنسبة للسند وجاء بالمثل الذى جاء به ابن حجر فى المقدمة ورد عليه ابن حجر حيث لم يجد أبو رية غيره *

قال أبو رية :

وقد تعرض كثير من أئمة الحديث للنقد من جهة المتن الا أن ذلك قليل جدا بالنسبة لما تعرضوا له من النقد من جهة الاسناد فمن ذلك يقول الاسماعيلي بعد أن أورد الحديث الذى رواه البخارى عن ابن أبى أويس عن أخيه عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : يلقي ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قتره — الحديث هذا خبر فى

صحته نظر من جهة أن ابراهيم عالم بأن الله لا يخلف الميعاد فكيف يجعل ما بأبيه خزيا له مع أخباره أن الله قد وعده أن لا يخزيه يوم يبعثون ، وأعلمه أنه لا خلف لوعده وقد أعل الدار قطتى هذا الحديث من جهة الاسناد فقال هذا رواه ابراهيم بن طهمان عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة ، واجيب عن ذلك بأن البخارى قد علق حديث ابراهيم ابن طهمان فى التفسير فلم يهمل حكاية الخلاف فيه وينبغى للنظر فى الصحيحين أن يبحث عما انتقد عليهما من الجهتين فبذلك تتم له الدلالة فيما يتعلق بالرواية أ * ه أبو رية *

وقد تبين أن البخارى كما ذكر ، حكى الخلاف فيه وبينه ، فلا نقد عليه هذا فضلا على أن مثل هذا من ناحية المعنى هو ما حكاه القرآن مع نبى آخر هو الأب الثانى للأنبياء نوح عليه السلام حينما قال (ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق) فبين الله بأنه ليس من أهله حتى يكون قد أخلف الوعد (ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين — قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح) *

وفى هذا الحديث عندما يقول ابراهيم يارب وعدتنى ألا تخذينى يوم يبعثون فيقول الله تعالى انى حرمت الجنة على الكافرين والمعنى أن ذلك ليس بخزى وليس باختلاف للوعد كما قال لنوح عليه السلام ، ولو أطلقت العقول المعرورة فى مثل هذه الأمور المتشابهة لطعنت فى القرآن بما لا يوافق هواها كما طعنت فى السنة وقد بنى هؤلاء النقاد قاعدتهم هذه على ما صرح به المحدثون من أنه لا يلزم حتما من صحة المتن صحة السند كما لا يلزم العكس قالوا ذلك من أجل الاحتياط التام ومن حيث الجواز العقلى ومرادهم ان المتن قد يزداد فيه لفظ مدرج أو قد يسهو الراوى على سبيل الفدرة ، على لفظ لا يسترعى اهتمامه لعدم تعلقه بأصل الحديث والا لما قبل أن ينقله ، على أنه فى حالة نقله يبين عدم تمكنه أو ترده فى هذه اللفظة ووضع المحدثون لمعرفة ذلك مقياسا واستوعبوا مثل هذه الالفاظ النادرة وذلك انها تعرف بمخالفة الثقات حيث وردت بطريق آخر ومثل ذلك فى البخارى الاختلاف فى ثمن جمل

جابر رضى الله عنه وقد بين البخارى مع عدم تعلق ذلك بالحكم الأصلى الروايات ونص على الأصح منها ومثل ذلك حديث ذى اليدين رواه البخارى عن ابن عمر قال النبى يوم الأحزاب أن لا يصلين أحدكم العصر الا فى بنى قريظة ووقع فى رواية أخرى ان لا يصلين أحدكم الظهر وجمع بين الروايتين بأن النبى قال ذلك لقوم ثم قال لفرقة أخرى بعدهم رواية العصر أو بجواز خطأ الراوى لعدم تعلق حكم هام باختلاف العصر أو المظهر وقد نص المحدثون كل ذلك وما مثله وأصبح الأمر واضحاً لا لبس فيه •

الاحاديث التى انتقدها أحمد أمين

وعلى المقاييس المهتزة نهج أحمد أمين فقال ان البخارى يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتنصاره على نقد الرجال من ذلك مثلاً حديث من اصطبغ كل يوم سبعة ثمرات لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم الى الليل قد أخرجه الامام البخارى فى كتاب الطب (١) كما أخرجه الامام مسلم والامام أحمد (٢) وقد بين العلماء هذا الحديث فمنهم من خصصه بثمر المدينة اعتماداً على الأحاديث المقيدة بذلك ومنهم من أطلقه (والذى ارتضاه الأكثرون تخصيصه بعجوة المدينة قال ابن القيم فى زاد المعاد « والتمر غذاء فاضل حافظ للصحة ولاسيما لمن اعتاد الغذاء به ونفع هذا العدد من التمر من هذا البلد من هذه البقعة بعينها — من السم والسحر بحيث تمنع اصابته من الخواص التى او قالها بقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء لتلقاها عنهم الأطباء بالقبول والاذعان والانقياد مع أن القائل انما معه الحدس والتخمين والظن • فمن كلامه كله يقين وقطع وبرهان ووحى أولى بأن تتلقى أقواله بالقبول وترك الاعتراض هذا خلاصة ما ذكره فى هذا المقال واذا كان السحر نوعاً من الامراض هذا خلاصة ما ذكره فى هذا فى شفاء المرضى أو أن أثر الصحة نافع فى الحالة النفسية كما يقرر العلم الحديث فان أثر هذا الغذاء النافع يقى الجسم من الحالة النفسية

(١) صحيح البخارى بشرح السندى ص ٢٠ ج ٤ •

(٢) صحيح مسلم ص ١٦١٨ ج ٣ •

ويكون له أثر طيب في حالة المسحور كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
قال الدكتور السباعي (١) انك لانتشك معي في أن اقدام مؤلف فجر
الاسلام على القطع بتكذيب هذا الحديث جرأة بالغة منه لا يمكن أن تقبل
في المحيط العلمي بأي حال مادام سنده صحيحا بلا نزاع ومادام متنه
صحيحا على وجه الاجمال ولا يضره بعد ذلك أن الطب لم يكتشف حتى
الآن بقية ، مادل عليه من خواص العجوة ويقينى انه لو كان في الحجاز
معاهد طبية راقية أو لو كان ثمر العالية موجودا عند الغربيين لاستطاع
التحليل الطبى الحديث أن يكتشف فيه خواص كثيرة ولعله يستطيع
أن يكتشف هذه الخاصة العجيبة أن لم يكن اليوم ففى المستقبل ان
شاء الله أ . هـ

ويحقق الزمن صدق المدافع عن السنة ويثبت صحة مقاييسه ويبطل
مقاييس النقد الحديث فقد كتب الاهرام تحت عنوان (٢) « البلح علاج
لأمراض العيون والجند والانيما والنزيف ولين العظام والبواسير
ويساعد على الولادة بسهولة » أثبتت الأبحاث العلمية التى أجريت أخيرا
بالمركز القومى للبحوث أن البلح غذاء كامل ويفيد في وقاية الجسم
وعلاجه من أمراض الانيميا وحالات النزيف ولين العظام والبواسير
ويساعد المرأة الحامل بسهولة على الولادة صرح بذلك الدكتور عزيز شرف
المشرف على وحدة بحوث الأدوية بالمركز القومى للبحوث وأضاف
قائلا ان الابحاث أثبتت كذلك أن البلح يعادل اللحم في قيمته الغذائية
ويتفوق عليه بما يعطيه من سعرات حرارية ومواد معدنية وسكرية وذلك
بالإضافة الى أنه غنى بالكالسيوم والفسفور والحديد ويحتوى على
غالبية الفيتامينات المعروفة *

وبهذا قد ثبت أن المشاهدة والعلم يكذب نقدهم ويثبت صحة

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٢٦٥ .

(٢) جريدة الاهرام يوم الاثنين ١٢ ذو الحجة ١٣٨٢ الموافق ٢٦ مايو ١٩٦٣ لسنة ٩٨
العدد ٢٧٩٠٥ ص ٤ .

الأحاديث التي لم ترق في نظرهم وهكذا يخطئ النقاد من المحدثين ويكذبهم العلم •

ومثال ما نقدوه أيضا في صحيح البخارى نتيجة عدم الدقة في البحث ما نقده الاستاذ أحمد أمين مما رواه البخارى « لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منقوسة (١) » هذا الحديث أخرجه الامام البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث وقهم منه مؤلف فجر الاسلام أن مراد الرسول صلى الله عليه وسلم الاخبار بانتهاء الدنيا بعد مائة سنة ومن هنا حكم عليه بالوضع لمخالفته للحوادث التاريخية والحس والمشاهدة •

ولكن هذا الحديث الذى ذكر هو جزء من حديث كامل أخرجه البخارى في باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء من كتاب الصلاة وهو أن عبد الله بن عمر قال • قام صلى الله عليه وسلم في صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلم قال أرأيتمكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد فوهل الناس في مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة وانما قال النبى لا يبقى ممن هو « اليوم » على ظهر الأرض يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن فهذا نص الحديث واضح في أن الرسول أخبر صحابته في آخر حياته وجاء في رواية جابر قبل وفاته بشهرين حين قال الرسول تلك المقالة لا يعمر أكثر من مائة سنة ولم يظن بعض الصحابة الى تقييد الرسول بمن هو على ظهرها اليوم فظنوه على إطلاقه وان الدنيا تنتهى بعد مائة سنة فنبههم ابن عمر الى القيد في لفظ الرسول وبين لهم المراد منه وكذلك فعل على بن أبى طالب في رواية الطبرانى •

وقد استقصى العلماء من كان آخر الصحابة مائة فوجدوه أبا الطفيل عامر بن وائلة وقد مات سنة عشر ومائة وهى رأس مائة سنة من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون الحديث معجزة من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام حيث أخبر بأمر مغيب فوقع كما أخبر

(١) مقتبس من السنة ومكانتها للدكتور السباعى •

قال الدكتور السباعي فأنت ترى أن هذا الحديث الذي كان في الواقع معجزة من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام ينقلب في منطق النقد الجديد الذي دعا اليه صاحب فجر الاسلام الى أن يكون مكذوبا مفتريا *

وان تعجب فعجبك من الاستاذ مؤلف فجر الاسلام ذكر في آخر فصله أهم مراجع بحثه وفي مقدمتها فتح الباري على البخاري والقسطلاني على البخاري وشرح النووي على مسلم وهؤلاء الشراح نبهوا على معنى الحديث وبيّنوا تقسيم البخار له في موضعين وأشاروا عند الجزء المختصر الى موضع الحديث الكامل فان كان الاستاذ أطلع على روايات الحديث وأقوال الشراح فكيف حكم بعد ذلك بكذبه ؟ وان لم يطلع عليها فكيف عد تلك الشروح من مرجع بحثه بل كيف استباح الخوض في هذا الموضوع على غير هدى ؟

نقد الدكتور محمد توفيق صدقي

وحديث الذباب رواه البخاري في باب اذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فان في أحد جناحيه داء والاخرى شفاء عن أبي هريرة رضى الله عنه يقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فان في أحد جناحيه داء وفي الأخرى شفاء أنكره الدكتور محمد توفيق صدقي (١) وطعن فيه لأنه لا يوافق العقل والعرف وثار علماء الازهر في وجهه لتوهينه حديثا في صحيح البخاري ثار علماء الازهر في وجهه ووقف بجانبه الاستاذ محمد رشيد رضا ونعى على الازهريين هذا التعصب ضد مسلم من خيار المسلمين علما وعملا ودفاعا عن الاسلام وقال وكيف يحصل منهم ذلك بمجرد شبهة على صحة حديث رواه البخاري عن رجل يكاد أن يكون مجهولا واسمه يدل على أنه لم يكن أصيلا في الاسلام وهو عبيد الله بن حنين وموضع ضعفه ليس من عقائد الاسلام ولا من عباداته ولا من شرائعه ولا الزم المسلمون العمل به : ما أسهل التفكير على مقلدى أقوال المتأخرين وحسبنا الله ونعم الوكيل أ * ه *

(١) السنة قبل التدوين من ٢٨٧ *

ونقل هذه الآراء في موضع الاستشهاد بها أبو رية ، ثم بعد ذلك في عهد التقدم العلمى والمعامل والتحليل نستمتع الى انصاف صحة الحديث وتأكيد صحته كمعجزة للنبي الأمى حيث صرح به في عهد لم يعلم فيه التحليل وها هو التحليل العلمى يكذب النقاد ويصدق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وانقل هنا كلمة الطب فيما قاله العلماء في العصر الحديث ♦

كلمة الطب في حديث الذباب (١)

البحوث والمراجع العلمية تؤيد الحديث الشريف اذا وقع الذباب في اناء أحدكم فليغمسه كله فان في أحد جناحيه داء وفي الآخر سقاء ♦ تحقيق علمى للدكتور محمود كمال والدكتور محمد عبد المنعم حسين ♦ كثر التعرض لهذا الحديث وخصوصا من جانب أطباء مكذبين الحديث لعلمهم بأن الذباب ينقل العدوى والجراثيم الحاملة للمرض ونحن نعلم أن من بين الاحاديث التى رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما هو صحيح وما هو مكذوب وكان على فقهاء الحديث أن يبينوا انصحيح ويستبعدوا المكذوب ، وتمسك رجال الحديث والفقهاء الاعلام بصحة الحديث لاستناده لثقة من الرواة ، وتمسك بعض الاطباء بالناحية الصحية وكذبوا الحديث وكنا نود أن يفهم الحديث على أسس ثلاثة :

- ١ — عدم التعرض لصحة الحديث فهذا من اختصاص فقهاء الحديث والعلماء الذين درسوا العلم والحديث وكيف يستبعدون الاحاديث المكذوبة ♦
- ٢ — محاولة البحث العامى بافتراض صحة الحديث للوصول الى حقائق أنبأنا عنها النبي عليه الصلاة والسلام (وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى (٢) ♦)

(١) مجلة الازمهر رجب ١٣٧٨ من ٥٧٨ ♦

(٢) سورة النجم ♦

٣ - عدم الخوض في موضوع مادة الحديث قبل الرجوع الى المراجع العلمية الكافية عن الحشرات وعن طفيليات الحشرات • ولهذا وجدنا بعد قراءة الموضوع والمجادلات المتبادلة بين الفريقين في الصحف والمجلات منذ مدة طويلة أن نحاول ان نرد الحق الى نصابه ذلك أن بعضنا بعد قراءة آراء فقهاء الحديث عن صحة الحديث لم يتردد في تصديقه وحاول أن يرجع الى المراجع العلمية التي تؤيد صحة الحديث وقد جاء في المراجع العلمية ان الاستاذ الالماني بريفلد من جامعة هال بألمانيا وجد في عام ١٨٧١ أن الذبابة المنزلية مصابة بطفيلي من جنس الفطريات سماها امبوزا موسكى من عائلة انتوموفتر الى من تحت فصيلة سيجومايسيس من فصيلة فيكوميسيس ويقضى هذا الفطر حياته في الطبقة الدهنية داخل بطن الذبابة على شكل خلايا خميرة مستديرة ثم يستطيل ويخرج على نطاق البطن بواسطة الفتحات التنفسية أو بين المفاصل البطنية وفي هذه الحالة يصبح خارج جسم الذبابة وهذا الشكل يمثل الدور التناسلي لهذا الفطر وتتجمع بذور الفطر في داخل الخلية الى قوة معينة تمكن الخلية من الانفجار واطلاق البذور خارجها ولهذا سيكون بقوة دفع شديدة لدرجة تطلق البذور الى مسافة حوالي ٢ سم من الخلية بواسطة انفجار الخلية واندفاع السائل على هيئة رشاش ويوجد دائما حول الذبابة الميتة والمتركة على الزجاج مجال من البذور لهذا الفطر ورعوس الخلية المستطيلة التي يخرج منها البذور حول القسم الثالث والاخير من الذبابة على بطنها وظهرها وهذا القسم الثالث أو الأخير دائما يكون مرتفعا عندما تقف الذبابة على أى مسند لتحفظ توازنها واستعدادها للطيران والانفجار كما ذكرنا يحدث بعد ارتفاع ضغط السائل داخل البناء الى قوة معينة وهذا قد يكون مسببا من وجود نقطة زائدة من السائل حول الخلية المستطيلة وفي وقت الانفجار يخرج من السائل والبذور جزء من السيتوبلازم من الفطر كما ذكر الاستاذ لنجيرون (أكبر الاساتذة في علم الفطريات) في عام ١٩٤٥ أن هذه الفطريات كما ذكرنا تعيش في شكل خميرة مستديرة داخل أنسجة

الذبابة وهى تفرز أنزيمات قوية تحلل وتريد أجزاء الحشرة الحاملة
للمرض *

ومن جهة أخرى تم فى سنة ١٩٤٧ عزل مادة مضادة للحياة
(بواسطة ارنش تين وكوك من انجلترا وبورولويس من سويسرا فى
سنة ١٩٥٠) تسمى جافاسين من فطر من نفس الفصيلة التى ذكرناها
والتي تعيش فى الذبابة وهذه المادة المضادة للحياة تقتل جراثيم مختلفة
من بينها جراثيم السالبة والموجبة لصبغة جرام وجراثيم الدوسنتاريا
والتيفود وفى سنة ١٩٤٨ عزل بريان وقوروتيس وهيمانج وجيفيرس
وماكجوان من بريطانيا مادة مضادة للحياة * تسمى كلوتينيزين من
فطريات من نفس فصيلة الفطر الذى يعيش فى الذبابة وتؤثر على جراثيم
السالبة لصبغة جرام من بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفود وفى سنة
١٩٤٩ عزل كوكس وفارمر من انجلترا وجرمان وروس واتلنجر وبلاوتر
من سويسرا مادة مضادة للحياة تسمى انياتين من فطريات من نفس
صنف الفطر الذى يعيش فى الذبابة تؤثر بقوة شديدة على جراثيم جرام
موجب وجرام سالب وعلى بعض فطريات أخرى ومن بينها جراثيم
الدوسنتاريا والتيفود والكوليرا * ولم تدخل هذه المواد المضادة للحياة
بعد الاستعمال الطبى ولكنها فقط من العجائب العملية لسبب واحد وأنها
بدخولها فى كميات كبيرة فى الجسم قد تؤدى الى حدوث بعض
المضاعفات بينما قوتها شديدة جدا وتقوم جميع مضادات الحياة
المستعملة فى علاج الأمراض المختلفة وتكفى كمية قليلة جدا لمنع معيشة
أو نمو جراثيم التيفود والدوسنتاريا والكوليرا وما يشبهها وفى سنة
١٩٤٧ عزل مفتيش مواد مضادة للحياة من مزرعة الفطريات الموجودة
على جسم الذبابة ووجد أنها ذات مفعول قوى فى بعض الجراثيم
السالبة لصبغة جرام مثل جراثيم التيفود والدوسنتاريا وما يشبهها
وبالبحث عن فائدة هذه الفطريات لمقاومة الجراثيم التى تسبب أمراض
الحميات التى يلزمها وقت قصير للحضانة وجد أن واحد جرام من هذه
المواد المضادة للحياة يمكن أن يحفظ أكثر من ألف لتر لبن من التلوث
من الجراثيم المرضية المذكورة *

وهذا أكبر دليل على القوة الشديدة لمفعول هذه المواد *
أما بخصوص تلوث الذباب بالجراثيم المرضية كجراثيم الكليرة
التيفود والدوسنتاريا وغيرها التى ينقلها الذباب من المجارى والفضلات
أو البراز من المرضى وهى الأماكن التى يرتادها الذباب بكثرة فى مكان
هذه الجراثيم يكون فقط على أطراف أرجل الذبابة أو فى برازها وهذا
ثابت فى جميع المراجع البكتولوجية وليس من الضرورى ذكر أسماء
المؤلفين أو المراجع لهذه الحقيقة المعلومة *

ويستدل من كل هذا على أنه اذا وقعت الذبابة على الأكل فستلزم
الغذاء بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضية التيفود والكليرة أو
الدوسنتاريا أو غيرها * واذا تبرزت على الغذاء كما ذكرنا بأرجلها التى
تفرز المواد المضادة للحياة وانتهى تقتل الجراثيم المرضية الموجودة فى
براز الذبابة وفى أرجلها توجد على بطن الذبابة ولا تنطلق مع سائل
الخلية المستطيلة من الفطريات والمحتوى على المواد المضادة للحياة
الا بعد أن يلمسها السائل الذى يزيد الضغط الداخلى لسائل الخلية
ويسبب انفجار الخلية المستطيلة واندفاع البذور والسائل *

وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوى الذى يؤكد
ضرورة غمس الذبابة كلها فى السائل أو الغذاء اذا وقعت عليه لافساد
أثر الجراثيم المرضية التى تنقلها بأرجلها أو ببرازها وكذلك يؤكد
الحقيقة التى أشار اليها الحديث وهى أن فى أحد جناحيها داء (أى فى
أحد أجزاء جسمها الامراض المنقولة بالجراثيم المرضية التى حملتها) وفى
الآخر شفاء وهو المواد المضادة للحياة التى تفرزها الفطريات الموجودة
على بطنها والتى تخرج وتنطلق بوجود سائل حول الخلايا المستطيلة
للفطريات *

أمثلة من اهتزاز مقاييس النقد الحديث

وهذه أمثلة تبين اهتزاز مقاييس العصر الحديث وعدم دقتهم فى
نقدتهم وتسرعهم .
وعلى سبيل أمثلة السرعة فى بحثهم : مثلاً نرى الأستاذ أحمد أمين

يزعم أن ما جمعه البخارى فى حديث الجامع الصحيح وهو أربعة آلاف من غير المكرر هو كل ما صح عنده من عدد الأحاديث التى كانت متداولة فى عصره وبلغت ستمائة ألف *

وهذه دعوى لها خطرهما اذ معنى ذلك ان غير تلك الأحاديث قد حكم البخارى على عدم صحتها وليتهم كما ذكرت قد سلموا بما جمعه البخارى بل يتعقبونه بمقاييسهم المتناهية وفى ذلك خطر على السنة ولم يكلفوا أنفسهم أو لم يثقوا بما سجله الحفاظ من ان البخارى ، كما تقدم صرح بأنه ليس كل صحيح عنده جمعه فى كتابه وثبت أيضا مثل ذلك عن الامام مسلم وقال ابن الصلاح فى مقدمته وهى من أصول الحديث المتداولة (لم يستوعب البخارى ومسلم) الصحيح فى صحيحهما ولا التزم أى الاستيعاب وقد صرح بذلك الشيخان *

ومن أمثلة السرعة فى البحث أيضا جزم الاستاذ أبو رية بأن أول من ألف فى الحسن الترمذى وكأن هذا هو القول الوحيد الذى لا غبار عليه وهذه دعوى ابن تيمية قال ان تقسيم الحديث عند قدمائهم كان على قسمين فقط صحيح وضعيف والحسن لذاته كان عندهم داخلا فى الصحيح ونقل الاجماع على ذلك ، التمهيص نجد أن هذه الدعوى غير صحيحة قال الكشميرى (١) :

دعوى الاجماع غير صحيح لان البخارى وعلى بن المدينى ممن يفرقان بينهما حتى جاء الترمذى وتبع فى ذلك شيخه البخارى فشهره ونوه بذكره وعليه مثنى فى جميع كتابه أ * ه *

والسر فى أن البخارى لم يتعرض له فى صحيحه لالتزامه الصحيح لذاته فى أصل موضوع كتابه *

وهكذا كان منهج النقد الحديث الارتجال فى الحكم وعدم القداسة الى الحديث النبوى وعدم البحث المستفيض والتقديس لكل

(١) فيض البارى ج ١ ص ٥٧ *

غربي براق وأعمال المقاييس العقلية الفردية المتغيرة خاصة وأنها قد تكون مشغولة بفروع أخرى في بعض الأحيان ومتخصصة فيها ولا علاقة لها بالسنة وتتحكم نفسها في ميدان السنة من غير معرفة به وبعضهم مريض بحب الظهور ولذا كانت مقاييسهم كما ترى مهزوزة غير ثابتة ينكرون الثابت ويستدلون بكل واه ضعيف ويهولون في أمر الوضع والوضاعين علما بأن الوضع في الحديث ولد ميتا حيث لم يسر على منهج يحميه وقد عاش له الجهابذة فروده ووأدوه جميعا قبل أن يشعر بالحياة قيل لابن المبارك هذه الأحاديث الموضوعة ؟ فأجاب :

بنظرة الواثق المطمئن بكل بساطة قال تعيش لها الجهابذة ويقول الدكتور السباعي (١) في هؤلاء وأمثالهم وأساتذتهم من المستشرقين : أما المستشرقون فلم يقفوا من رسول الله الموقف الكريم بل نقدوا أحاديثه على وفق ما يعرفون من أصول النقد العام للأخبار الناس العاديين ذلك لأنهم ينظرون الى الرسول كرجل عادي لم يتصل بوحى ولم يطلعه الله على مغيبات ولم يميزه عن بنى الانسان بأنواع المعارف والكرامات ؛ إذا روى لهم حديث عليه صبغة القانون قالوا ان هذا موضوع لأنه يمثل الفقه الاسلامي بعد نزوجه ولا يمثل سناجته وبساطته في عصر النبى والصحابة وإذا رويت لهم بشارة من الرسول واخبار عن أمر يقع للمسلمين في المستقبل قالوا ان ظروف النبى لم تكن تسمح له أن يقول هذا القول •

وهكذا وقفوا من رسولنا عليه الصلاة والسلام موقف المنكر رسالته المتشكك في صدق ما بلغ به عن الله الهادى في سمو روحه التى اتصلت بالملا الأعلى ففاض منها النور والحكمة والمعرفة ولم يكتفوا بذلك بل حملوا على علمائنا لأنهم لم يقفوا منه هذا الموقف وعلمائنا معذورون اذ لم يتجهوا مع المستشرقين في هذا الاتجاه الخاطيء لأنهم

(١) السنة ومكانتها ص ٢٥٧ •

مؤمنون بمحمد بن عبد الله رسولا كريما أرسله الله الى الناس أجمعين
بشرع محكم وسعادة شاملة للناس في دنياهم وآخرتهم أما أنبـاع
المستشرقين من المسلمين كمؤنف (فجر الاسلام • فمن المؤسف انهم
انساقوا في ذلك الاتجاه ولم يفتنوا الى خطأ تلك الطريقة فأخذوا ينعون
على علمائنا تقصيرهم في نقد المتن غير مستمسكين من الحجج إلا بما أتى
به المستشرقون) •

وها أنا لم أكثر في كل ما كتبه أحمد أمين في هذا الموضوع على رأى
طريف لم يأخذه عن المستشرقين ثم أخذ يضرب هو وأمثاله على وتيرة
تحكيم العقل في نقد الأحاديث ولا أدري أى عقل يريدون أن يحكموه
ويعطوه السلطة أكثر مما أعطاه علمائنا في قواعدهم الدقيقة • ليس
عندنا عقل واحد نقيس به الأمور بل عقول متفاوتة والمقاييس مختلفة
والمواهب متباينة فما لا يعقله فلان ولا يفهمه قد يراه آخر معقول مفهوما
كما أن ما يخفى على الناس في بعض العصور حكمته وسر تشريعه قد
يتجلى في عصر آخر معقول الحكمة واضح المعنى حين تتقدم العلوم
وتكتشف أسرار الحياة ففتح الباب في نقد المتن بناء على حكم العقل
الذى لا نعرف له ضابطا •

والسير في ذلك بخطا واسعة على حسب رأى الناقد وهواه أو
اشتباهاه الناشئ في الغالب عن قلة الاطلاع أو قصر نظره أو عقله عن
حقائق أخرى :

ان فتح الباب على مصراعيه لمثل هؤلاء الناقدين يؤدي الى
فوضى لا يعلم الا الله منتهاها والى أن تكون السنة الصحيحة غير
مستقرة الثبنيان ولا ثابتة الدعائم ففلان ينفي هذا الحديث وفلان يثبت
وفلان يتوقف فيه ، كل ذلك لأن عقولهم كانت مختلفة في الحكم والرأى
والثقافة والعمق فكيف يجوز هذا ؟ ثم أليس لنا أكبر عبرة فيما وقع عليه
مؤلف فجر الاسلام من أخطاء بشعة حين أراد أن يسير في هذا الاتجاه
فكذب ما لا مجال لتكذيبه وحكم بوضع ما قامت الأدلة والنسـواهد
على صحته أ • ه •

وهكذا أوقع هؤلاء النقاد جهلهم بمظان البحث وغرورهم العقلى فى هذه الأخطاء حينما حسبوا أن نقد المتن مكانه كتب الصحيح ، ولم يعلموا أن مكان نقد المتن انما هو متوفر فى كتب الموضوعات وفيها عشرات الكتب من نقد المتن ولم يكن النقد فى صحيح البخارى فى المتن على ما تصوره بل قد صح المتن بصحة الاسانيد ولذلك كان الكشميرى دقيقا حينما قال لم يستطع الدارقطنى نقد متن حديث البخارى وان يوجه اليه هذا النقد الا فى حديث واحد ، — وقد بينته فيما سبق ووضحت الرد عليه — وذلك لأن مقاييس نقد المتن ام تنطبق عليه لثلاثة مقاييس البخارى فعلى هؤلاء أن يبحثوا عن نقد المتن فى كتب الموضوعات وقد جمع صاحب السنة قبل التدوين (١) أربعين مؤلفا من أشهرها تذكرة الموضوعات لأبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى (٤٤٨ — ٥٠٧ هـ) (٢) • منها الموضوعات فى الأحاديث المرفوعة لأبى عبد الله الحسن ابن ابراهيم ائهمدانى المتوفى سنة ٥٤٣ هـ . ومنها (الموضوعات الكبرى لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى « ٥٠٨ × ٥٩٧ هـ » أربع مجلدات) وغير ذلك •

واذا كانت هذه مقاييس النقد الحديث ونظراته القصيرة فخير لهؤلاء وأمثالهم الا يتكلموا فى السنة الا بعد دراسة مقاييسها وكتبها •

(١) السنة قبل التدوين ص ٢٨٧ •

(٢) وتوجد الموضوعات الكبرى لابن الجوزى فى دار الكتب تحت رقم ١٤٧ م وتحت رقم ٤٨٨ حديث وكلاما مخطوط •

الباب السابع



البخارى والمنهج الأوربى التاريخى الحديث

اثر منهج البخارى والمحدثين فى المنهج التاريخى الاوروبى الحديث مع المقارنة

وبعد أن وصل تدوين الحديث الى أوج العظمة والدقة فى القرن الثالث « العصر الذهبى » لتدوين السنة الذى حمل لواء نهضته الامام البخارى بمنهجه القويم ومقاييسه الدقيقة وساعده على ثبات منهجه ما كان قبله من عناية المحدثين بالسنة ومناهجهم الدقيقة فوجد الثقات المحافظين على تراث نبيهم فى القرون الخيرة الأولى •

وكان الزمن بين اشتغال البخارى بالعلم وبين وفاة النبى صلى الله عليه وسلم قرنين فقط بالنسبة للمقياس الزمنى وثلاثة أشخاص بالنسبة للاسناد العالى وبينه وبين وفاة الصحابة قرن واحد — والثقافة ثقافة وحى ونبوة وسعادة دنيا وأخرى والرواة هم الأخبار الأطهار الثقات وضعوا لحراسة السنة المناهج المنظمة الدقيقة المعلومة فى كتب أصول الحديث وقد تقدم منهج البخارى الدقيق •

وأبين هنا أثر منهج البخارى والمحدثين فى المنهج الاوروبى الحديث وحقيقة هذا المنهج الحديث وهل بلغ مبلغ منهج البخارى والمحدثين ؟ !

وبعد وفاة البخارى بحوالى عشرة قرون بدأت فكرة تحديد منهج للتاريخ تظهر فى أوروبا وقوبل هذا المنهج بالحفاوة البالغة والتقدير الكبير ونقله الشرقيون على أنه أمر حدث جديد والحق أنه مأخوذ من خيىث الجملة من منهج المحدثين وشيخهم البخارى •

تأثر المنهج الاوربي الحديث بمنهج البخارى والمحدثين

يقول الدكتور محمود قاسم رئيس قسم الفلسفة بدار العلوم وعميدها تحت عنوان مراحل البحث التاريخى الأوربى (١) لم يتتبع القدماء « الأوربيون » منهجا سليما فى دراسة التاريخ فكانوا يخطئون بينه وبين فن القصص وكانوا يجمعون الوثائق والروايات كيفما اتفق ثم يصهرونها ويصبونها فى قالب أدبى جذاب •

لكن علماء المسلمين عنوا عناية كبرى بنقد الرواة وبتمحيص طرقهم فى النقل ولا سيما فيما يتعلق بدراسة أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وقد حدد ابن خلدون المؤرخ للبخارى وغيره من المحدثين العالم بمنهجهم ، قواعد البحث فى التاريخ الى مستوى العلم الجديدة بهذا الاسم ثم اتجه الأوربيون الى العناية بالدراسات التاريخية وبيّنوا القواعد التى يجب على المبتدئ احترامها وانتهوا الى تحديد مراحل البحث تحديدا دقيقا ويعرض الدكتور قاسم لدراسة مراحل البحث التاريخى تحت عنوانين أساسيين التحليل – والتركيب طبقا لما وصل اليه سينيوبوس ودونو • وفريمان وغيرهم واليك البيان •

التحليل التاريخى

إذا انتهى الباحث من اختيار موضوع دراسته ومن جميع الوثائق الخاصة به بدأ يحللها ويمحصها والتحليل نوعان خارجى – وداخلى •

أولا – التحليل الخارجى :

وتتكون مرحلته من عمليتين رئيسيتين هما :
(أ) نقد الوثائق يقول سينيوبوس « لا وجود للتاريخ بدون وثائق وكل عصر ضاعت فيه وثائقه يظل مجهولا الى الأبد •
ولما كانت مادة التاريخ لاتقع تحت ملاحظاتنا بطريقة مباشرة ولما

(١) المنطق الحديث ومناهج البحث العلمى ص ٣٦٨ ط الانجلو المصرية •

كانت الوثائق السبيل الوحيد الى معرفتها فانه يجب الحذر في استخدامها وانعناية بين الصحيح والزيغ منها تتبين ضرورة هذا النقد اذا علمنا أن الانسان يميل بطبعه الى تصديق الأخبار دون تمحيص اذ التصديق أقل مجهودا من المناقشة والتسليم آيسر من النقد وتكديس الوثائق كيفما اتفق أقل عناية من فرزها وتقديرها وقد بين العلامة سينيوس أنه يجب الحذر من بعض العبارات العقلية كالميل الى استخدام أول نسخة تقع لدينا ولو كانت غير دقيقة وكالميل الى الاعتداد على أقدم النسخ ولو كانت أردأ من النسخ الأقرب عهدا وكالميل الى اتخاذ الأغلبية حكما اذا اختلفت النسخ فيما بينها مع أن هذا لا يدل على شيء البتة وقد ضرب سينيوس لذلك مثلا فقال فلنفرض أن هناك عشرين نسخة يشترك فيها ثمانى عشرة نسخة فى نقطة واحدة هى (أ) .

ويشترك النسختان الأخريتان فى نقطة مخالفة هى (ب) ففى هذه الحالة يميل الباحث المتسرع الى تأكيد صحة (أ) دون (ب) . لكن من المحتمل جدا أن تكون كثرة المجموعة الأولى صورية بأن تكون احدى النسخ أصلا والباقي منها فروعا ولذا فان الباحث المدقق يتساءل فيقول هل (أ) أكثر احتمالا للصدق من (ب) أم لا (١) .

(ب) التحقق من شخصية صاحب الوثيقة .

لا تكفى المقارنة بين مختلف النسخ بل لابد من الوقوف على مصدر كل وثيقة وأين ومتى كتب ؟ ومن كتبها ؟ وذلك أنه لافائدة من استخدام وثيقة نجهل صاحبها وهذه العملية هامة جدا ولاسيما اذا كان المؤرخ يدرس احدى وثائق العصور القديمة أو المتوسطة .

فان كتابها كانوا يعنون بتوقيع كتاباتهم أو تصديق تاريخها وقد يسارع الباحث الى تصديق نسبة احدى الوثائق الى أحد الكتاب اذا رأى أنها تحمل توقيع له لكن يجب الحذر من هذا الميل الساذج الى سرعة التصديق فان الانتحال أمر مألوف وأسبابه عديدة ونحن نعلم أن بعض

(١) المنطق الحديث ومناهج البحث ص ٢٦٨ .

فراعنة مصر لم يتورعوا عن محو أسماء سابقيهم ونسبة أثرهم الى أنفسهم
حقا أن خير وسيلة الى معرفة شخصية الكتاب هي التحليل الداخلى غير
أنه يجب الاعتماد قبل ذلك على بعض العلاقات الخارجية كالخط والورق
واللغة وكثيرا ما تكون دلالة هذه العلامات حاسمة فتقرر تزوير الوثائق
وانتحالها فان كثيرا من المزييفين لا يتخذون جميع أسباب الحيطة
فيستخدمون كلمات وجملا وألوانا من الاساليب التى لم تكن مألوفة فى
العصر الذى ينسبون اليه الوثائق ، كذلك يجب المقارنة بين الوثائق
المختلفة فان ذلك يزيدها علما بالظروف التى دونت فيها الوثائق الصحيحة
وبمواضع التزييف أو التحريف فى غيرها *

وتستخدم المقارنة فى التفرقة بين النص الذى اشترك
فى كتابته أفراد عديدون لأن اضطراب الاسلوب أو عدم
اتباعه دليل على تعدد كاتبى الوثيقة أو على أن بعضهم ينقل عن
بعض وتؤدى هذه العملية الى بعض النتائج السلبية يرى «سينيويوس»
أن التحليل الخارجى لا يؤدى الى بعض النتائج الايجابية وانه اذا ارشدنا
الى الوثائق الرديئة التى يجب عدم استخدامها انه لا يوقفنا على كيفية
استخدام الوثائق الجيدة ولكن مع ذلك يجب الاعتدال فى النقد فان
بعض دارسى الوثائق يغفلون فى النقد فيرون التحريف والتزوير والطلاسم
فى كل مكان على الرغم من وضوح النصوص التى يدرسونها ولذا يجب
الوقوف عند حد معلوم والا انتهى الأمر الى الشك المطلق وهناك
آخرون يفقدون لمجرد النقد وكلما انتهوا الى وثيقة بحثوا عن غيرها
ظانين بأن التاريخ نوع من الرياضة العقلية وان أهمية الوثيقة لا تقاس
بما تحتوى عليه من حقائق بما تثيره من صعوبات أ * ه *

وليت المغرمين بنقد الحديث على غير موازين والمغرمين بتتبع
الغربيين يستمعون الى سينيويوس فانه يعيب على من شك عند وضوح
النص فما بال من يشك بوضوح النص وصاحبه وتوفر أسمى المقاييس؟*
ثم ان أصحاب المنهج الحديث لم يطلقوه فى كل شئ بل ذكروا ان
من وسائله العلوم المساعدة — ذهب دونو الى ضرورة بعض الدراسات.

بوسيلة يستعين بها الباحث على فهم الوثائق التاريخية ومن هذه كتب كبار الكتاب والفلاسفة الذين يجب قراءة كتبهم « كهيرودوت ، وتاسيت ، وميكافيلي ، وفلتر ، ونص على ضرورة الاطلاع على انتاج كبار الفلاسفة والمؤرخين » *

وقال « فريمان » يجب على المؤرخ أن يحيط علما بكل شئ فلسفة وقانونا واقتصادا وعلم أجناس وجغرافيا وعلوم طبيعية وذلك لأنه سوف يلقي في أثناء قراءته للنصوص التاريخية أشياء من هذا القبيل وأن كان سينيوبوس يرى أن من يقوم بدراسة الوثائق أشد ما يكون حاجة الى بعض الفنون والعلوم اذ كيف تجدى الفلسفة اذا وقف المرء حائرا أمام احدى الوثائق التى يجهل لغتها أو يعجز عن حل رموزها *

والمهم أن سينيوبوس يحرم الاسراف فى النقد للنص الواضح كما أن « دونو » وفريمان — ولم يعارضهما سينيوبوس يقررون أن هناك من الكتب ما هى صحيحة معتمدة مسلم بصحتها عندهم ولم يرق اليها الشك بل هى تكون كوسيلة عند بعضهم لايضاح الشك فى غيرها وتدعيم الباحث وهى كتب كبار كتابهم وفلاسفتهم الذين يجب قراءتها كما يقولون رغم أنها ألفت من غير منهج ، فليت أعداء السنة يستمعون لذلك فيعترفون بعد تحقق قوة مقاييس المحدثين بالتسليم والوجوب بالاعتراف لصحة مثل كتاب البخارى حتى تكون لهم أصالة كغيرهم ولعلمهم لا يرتاعون ويرمون بالتأخر من يقول بلفظ الوجوب بالاعتراف بالصحة للكتب المرسومة بذلك بعدما سمعوا ممن يعتبرون بأقوالهم من الغربيين فى كتبهم التى لاتقاس ولاتوزن فى كفة صحيح البخارى أو غيره واتخذوا هذه الكتب مرجعا سليما لتصحيح ما ارتابوا فيه من المسائل العلمية التاريخية واهتموا بدراسة تلك المراجع ليستعينوا بها فى مهمتهم العلمية ، الغربيون يقررون ذلك والناقدون للسنة ينقدون لمجرد الهوى والغرض ورغبة منهم فى ادعاء الوصول الى ما لم يصل اليه غيرهم ولو بحث الحال لوجدتهم بعيدين عن فقه الحديث ومصطلحاته وأساليبه وطرقه وكان من

الحرى بهم أن يدرسوا قبل أن ينقدوا وأن يتغنموا قبل أن ينضبوا
أنفسهم أساتذة على أساتذة الفن •
ونعود الى استكمال مراحل المنهج الأوربي الحديث •

ثانيا - التحليل الداخلى :

يطلق هذا الاسم على مجموعه العمليات التى يستخدمها الباحث فى فهم محتويات الوثائق وتقدير الظروف التى أحاطت بكتابتها فهى خاصة بالتحقيق من صدق النص التاريخى من جهة الموضوع لا من جهة الشكل وهى ضرورية للسبب الآتى وهو أن الظواهر الماضىة لا تقع تحت ملاحظتنا ولا يمكن الثقة بما يذكره الرواه عنها دون تمحيص أو نقض فان أخبارهم تحتمل الكذب والخطأ وتقوم عمليات هنا على أساس استعادة الخطوات التى مر بها الراوى منذ مشاهدته للحوادث حتى وقت تسجيلها كتابية •

والتحليل الداخلى نوعان : ايجابى وسلبى •

(أ) التحليل الداخلى الايجابى : يستخدم هذا التحليل للتفرقة بين العناصر الاولى التى يحتوى عليها النص التاريخى تمهيدا لفهم كل عنصر على حدة وللوقوف على المعنى الحقيقى الذى ترمى اليه الالفاظ والعبارات غير أن كثيرا من المؤرخين لا يوجهون عناية كافية الى هذه الناحية ويميلون الى قراءة النصوص قراءة سريعة للاقتباس منها دون تحديد المعانى الحقيقية التى يرمى اليها الكاتب • حقا ربما لم تكن هناك ضرورة كبرى الى تحليل الوثائق الخاصة للعصور الحديثة تحليلا تاما وذلك لقرب لغتها من لغة المؤرخ لكن ليس الأمر كذلك فيما يتعلق بوثائق العصرين القديم والوسيط اذلا مندوحة للباحث حينئذ من الاعتماد على تحليل ايجابى دقيق فان لغته وتفكيره يختلفان اختلافا كبيرا عن لغة وتفكير كاتب الاصل التاريخى الذى يقوم بدراسته ، وهكذا نجد أنه يقرر بأنه ربما لم تكن هناك ضرورة كبرى الى تحليل الوثائق الخاصة بالعصور الحديثة تحليلا تاما وذلك لقرب لغتها من لغة

المؤرخ ويكتفون بذلك فأين هذه من المناولة فضلاً عن السماع عند البخارى والمحدثين *

ويقول سينيوبوس أنه من المحتمل أن تستخدم التورية أو الدعاية أو الفكاهة أو التعمية ولا شك في أن هذه الأمور الأخيرة تختلف باختلاف العصور والحوادث التى يلمح اليها أو يتندر بها وتستخدم القاعدة الآتية في التفرقة بين المعنى الظاهر والمعنى الحقيقى حينما يكون المعنى الحرفى غامضاً أو غير مفهوم أو غير متجانس أو يتعارض مع آراء الكاتب أو الحوادث المعروفة لديه فإنه يجب علينا أن نستنتج من ذلك أنه يستخدم التورية ويمكن تحديد المعنى الحقيقى بالمقارنة بين الفقرات التى تحتوى على التعبير الذى يظن أنه ذو دلالة خفية ومع ذلك فليست نتائج المقارنة يقينية بحال ما *

وهكذا لا يسرعون الى رفض النصوص بمجرد غموضها بل يلتمسون التورية والمجازات *

(ب) التحليل الداخلى السلبى :

ويتمثل في دراسة الظروف التى وجد فيها كاتب الوثيقة أو شهادة الآخرين الذين رأوا الظواهر أو الحوادث التاريخية كما تتمثل في دراسة الأسباب الخارجية والبواعث النفسية الداخلية التى ربما دعت الى الخدب أو أدت به الى الخطأ والقاعدة العامة تنص على وجوب الشك فى كل راء حتى تتوفر بعض الأسباب القوية التى تدعو الى الثقة به ويحتاج تحليل الأصول التاريخية على هذا النحو الى مجهود كبير قد يصرف كثيراً من الباحثين عن اعطاء هذه المرحلة الأساسية حقها من العناية لكن العادة والدربة يخففان من مشقة هذا العمل ويكسبان المؤرخ نوعاً من الحدس الذى يعينه على اصابة مواطن الريية دون عناء كبير وقد حدد سينيوبوس القواعد العامة التى يجب اتباعها فى هذه الحالة ووضعها على هيئة مجموعتين من الأسئلة تسمى احدهما الدوافع التى تدعو الى الكذب وتسمى الأخرى البواعث التى ينشأ عنها الخطأ وتتكون المجموعة الأولى.

من الأسئلة الآتية مع بعض الاختصار على العناصر الهامة وسنجد أن أصول هذه المبادئ إنما هي كما قرر الدكتور قاسم مأخوذة من رواية المحدثين « وشيخهم البخارى » مع قصور بالغ يجبرهم الواقع على عدم تحققه لاطالة الزمن من ناحية وعدم حراسة المعلومات منذ نشأتها من ناحية أخرى وعدم قداستها والتزامها المنهج في الزمن الماضى كما قرر الأوربيون بأن سبيل التاريخ على غير منهج وجل ذلك بخلاف منهج المحدثين في تراثهم النبوي وهذه هي أسئلة المجموعة الأولى :

- ١ — هل أراد صاحب الوثيقة تحقيق مصلحة خاصة وهل أراد أن يخدع القارىء وأن يحمله على القيام بفعل أو صرفه عنه ؟ وهل أورد أخبارا كاذبة لتحقيق هذا الغرض ؟ *
- ٢ — هل كان الراوى ينتمى الى جماعة خاصة يميل الى نصرتها ويبررسلوكها ويظهرها فى وضع مشرف ؟ *

- ٣ — هل وجد الراوى فى مركز أو ظروف أكرهته على الكذب ؟ وهذا ما يحدث لكاتب الوثائق الرسمية عندما لا يتفق الصدق مع السياسة العامة للدولة أو التقاليد أو الشعور العام وحينئذ يضطر الكاتب الى التلمويه والى انقول بأن الظروف التى يؤرخ لها ظروف عادية *
- ٤ — هل جره الغرور بشخصه أو بجماعته الى الاختلاق والتحريف ؟
- ٥ — هل أراد الراوى التقرب الى الجمهور وتملقه وإثارة عواطفه وهل شوه الحوادث حتى يكون على وفاق مع آراء معاصرة ونزعاتهم وأهوائهم ولو كان لا يشاركونهم فى شيء من ذلك ؟ ولذا يجب الحذر من عبارات المجاملة والود والاخلاص اذ أننا نسارع عادة الى تصديق مثل هذه العبارات من معاصرينا *

- ٦ — هل حاول صاحب الوثيقة التأثير فى الجمهور بأسلوبه الأدبى وهل شوه الحقائق عندما ألبسها ثوبا أدبيا ؟ وهنا يجب تطبيق القاعدة التى تقول بوجوب الشك فى صدق الوثيقة كلما غلب عليها طابع الأدب أما المجموعة الثانية فنتكون من الأسئلة الآتية :

١ — هل كان الكاتب في حالة عقلية تسمح له بملاحظة الحادثة ؟
وهل سلم من تأثير بعض العوامل الداخلية اللا شعورية التي تدعو الى
الخطأ كالوهم أو الهزيان *

٢ — هل تحققت الشروط العلمية في ملاحظته ؟ وهل كان في مكان
يستطيع أن يرى منه الحوادث ؟ وهل كان خلوا من الهوى وهل فهم
ما سمع أو رأى وهل خلط بين حوادث مختلفة *

٣ — هل أصدر حكمه على حوادث صرفه الكسل أو الإهمال عن
ملاحظتها وهل ذكر أمورا لم يرها *

٤ — هل كانت طبيعة الحادثة تسمح له بملاحظتها ذلك لأن بعض
الحوادث يحاط بالكتمان كما أن بعضها الآخر لا يستطيع فرد واحد
الاستقلال برؤيته كأحد المواقع أو كتطور عادة اجتماعية وفي هذه الحال
لا يذكر الراوى ما يرى بل يستنبط ومع ذلك فليس من الممكن أن يتطرق
الكذب أو الخطأ الى بعض الأخبار فمثلا لا يكذب الراوى اذا كان الخبر
الذى ينقله لا يتفق مع مصلحته أو عاطفته الشخصية أو الدينية أو اذا
كانت الظاهرة التي يذكرها معروفة لدى جميع معاصريه ويقل احتمال
الكذب اذا استمرت هذه الظاهرة مدة طويلة من الزمن أو شغلت مساحة
واسعة بحيث يراها عدد كبير من الناس وهذه هي حال العادات
الاجتماعية *

وينتهى التحليل الداخلى بنوعيه الى تقرير بعض النتائج الجزئية
المبعثرة المنعزلة وانما كانت كذلك لأنها تتصل بأمر مختلف تذكرها
الوثائق دون ترتيب ومن وظيفة المؤرخ التركيب التاريخى ويتلخص في
ثلاث نقاط :

١ — تصنيف الظواهر وهو أن يجمع معلوماته وينظمها على أساس
أزمانها وأماكنها ونسبتها الى جماعة أو الى أحد الأفراد وتلك هي أسهل
طرق التصنيف وقد تبعها القدماء ومؤرخو عصر النهضة واما أن يصنفها
على أساس طبيعتها الداخلية ويقسمها الى ظواهر لغوية وعلمية ودينية

الخ * ويرجع الفضل في ابتكار هذه الطريقة الى علماء الألمان واما أن يصنفها على أساس طبيعة الشروط الخاصة التي تتصل بمظاهر النشاط الانساني كالعادات المادية كالمأكل والملبس والنظم الاجتماعية كالعائلة والطبقات *

٢ - الاجتهاد وقد أباحوا في منهجهم الحديث أن المؤرخ لا ان يستخدم الخيال لسد الفجوات في التاريخ بشرط أن يكون مقيدا بنتائج التحليل والا لو كان الخيال مطلقا لم يؤد الاستنباط في هذه الحالة الى نتائج جديرة بالثقة *

٣ - التعليل اذا انتهى المؤرخ من سد الفجوات والتحقق من صدق فروضه ، وبتطبيقها على النتائج الجزئية التي هداه اليها التحليل وجب عليه أن يربط هذه النتائج جميعا وذلك بأن يبين العلاقات التي توجد بينها وهذا هو معنى التعليل ثم المرحلة الأخيرة وهي مرحلة العرض ونظرة المحدثين الى التاريخ على أنه وصف للحضارة أى لمختلف مظاهر النشاط الانساني غير اتجاههم في طريقة عرضه فجعلوا يستخدمون أساليب واضحة بريئة من طابع انخطابة أو الانشاء أو الفلسفة ويرجع الفضل في هذا الاتجاه الجديد الى المؤرخين الألمان الذين بدأوا محاولتهم على استحياء في القرن التاسع عشر وبالجمللة لم يعد العرض التاريخي يرمى الى امتناع القارئ أو اسداء النصح اليه أو اشارة عواطفه بل الى مجرد المعرفة وليس معنى هذا أن يتحرر المؤرخ من كل قيد فمن الواجب أن يستخدم لغة واضحة دقيقة حتى يستطيع تحديد تلك الظواهر الانسانية المرنة ويمكن القول بأن المؤرخ لا يمكنه الا اذا أجاد اللغة والا اذا ابتعد عن استخدام تلك الألفاظ التي تدل على معاني مجردة أدعى الى الغموض والملبس منها الى الوضوح ، أ * ه *

واذا نظرنا الى هذا المنهج خاصة بالنسبة الى الرواة وهو ما سموه بالتحليل الداخلى يجد الباحث أنه مأخوذ من البخارى والمحدثين بالنسبة لنفس الفكرة الأساسية ولكنه عند المقارنة يفوقه منهج المحدثين والبخارى عرضا وموضوعا *

أما عرضاً فقد أوجزوه في كلمات ميسرة عامة شاملة فقد اشترطوا في الراوي أن يكون مسلماً ثقة عدلاً ضابطاً غير متبع لبدعة يدعو إليها • وأما موضوعاً فهذه الكلمات الموجزة تشتمل على ما فيها في الرواة وتفوق عنها باسئراط الاسلام الذي هو أصل في المقاييس ويخفى عليها الثقة بحق ، هذا بالنسبة للرواة أما بالنسبة لطرق النقل فأتين ما شرطوه في الوثوق للوثائق على الاعتماد • الحفريات والأوراق المتناثرة هنا وهناك التي لا يعترف بها المحدثون ؟ وقد تكون منذ آلاف السنين أين هذا من صيغ الأداء كالسماع والعرض والمناوله ولو شرطوا ذلك لما وصلهم شيء عن تاريخهم القديم والأوسط وكذا أكثر العصر الحديث ولما ثبتت عندهم كتبهم التي عدوها أصولاً ثابتة لا تقبل الشك من كتب كبار علمائهم ومؤلفيهم الواجب الاطلاع عليها كما تقدم •

ويلاحظ أن القاريء يبهز حينما يقولون لا بد من الشك حتى يتحقق الباحث من صدق جميع تفاصيل الوثيقة أو كذبها وهذا يحتاج الى تحليل الأصول التاريخية ثم بعد ذلك يكون الاستدراك الممتع الذي يخفف من شأن المسألة لقولهم لكن العادة والدربة تخففان من مشقة العمل ويكسبان المؤرخ نوعاً من الحدس الذي يعينه على احصاء مواطن الريية دون عناء كبير •

وأين هذا المنهج من منهج البخاري في الدقة حيث يقول « كتبت (١) عن ألف ثقة من العلماء وزيادة وليس عندي حديث لا أذكر اسناده (٢) » • وانظر الى منهج البخاري في كتابه الحديث : أين هؤلاء منه • يقول لم تكن كتابتي للحديث كما كتب هؤلاء كنت اذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه وحمل الحديث ان كان الرجل فهما فان لم يكن سألته أن يخرج الى أصله ونسخته أما الآخرون فلا يبالون بما يكتبون وكيف يكتبون وبما تقدم في منهجه •

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩ •

(٢) مقدمة شرح البخاري للنووي ج ١ ص ٨ •

ومن من العلماء لا يظن في نفسه المهارة حتى يحكم حدسه كما يقول
الأوربيون لكن البخارى والمحدثين لا يرتضون هذا المنهج مطلقا أساسا
لبحثهم العلمى ♦

وهل سمعت بالمرحلة الثانية من مرحلة التركيب التاريخى وهى اباحة
أن المؤرخ يستخدم الخيلا لسد فجوات التاريخ بشرط أن يكون مقيدا
بنتائج التحليل ♦

هل يرضى ذلك منهج البخارى والمحدثين ؟ ♦ كلا والله ♦

ثم هناك فرق جوهري هام بين منهج الاوربيين ومنهج البخارى
والمحدثين فهؤلاء اصحاب المنهج الاوربى الحديث عليهم ان يطبقوا هذا
المنهج بينهم وبين انفسهم ويخرجوا به معلوماتهم التاريخية وما عليك
الا ان تخبر بانهم اتبعوا المنهج فتصدق ولا عليه من حرج اذا لم يوقفك
على خطوات بحثه ♦

أما البخارى والمحدثون فهم يتبعون منهجهم الدقيق فى وصف
الرواة وطرق الأداء وصلة الاسناد وفق الشروط التى شرطوها مما
يتعذر استلزامه ووجوده عند الغربيين ♦

فالمحدثون يعرضون عليك المتن برواته حتى تستوثق به او تبحث
غنه فتراه موصولا فى مكان آخر وعند ثقات آخرين هذا فضلا عن قرب
زمن التدوين فى عصر النبى وبعده الى عصر البخارى ومن بعده وأهمية
الحديث وقداسته وحراسته ، ومعرفتهم أهميته فى الدين والدنيا
ومقاييسهم الفريدة وقد كان المستشرق المحقق مرجليوس (١) محقا حينما
قال : ليفتخر المسلمون ما شاءوا بعلم حديثهم ♦

(١) تقدمه المعرفة لكتاب الجرح والتعديل لشيخ الاسلام أبى محمد عبد الرحمن
ابن أبى حاتم الرازى ط دائرة المعارف العثمانية بجيدراياد الدكن بالهند ♦



الباب الثامن

مؤلفات البخاري

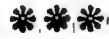
مؤلفات الامام البخارى

وللامام البخارى * غير الجامع الصحيح مؤلفات * فى تاريخ الرجال وأحوالهم ومؤلفاته هى خير دليل على سعة أفقه وأمانته ومقدرته فى معرفة أحوال الرواة وتقدمه على غيره فى هذا الشأن *

وخير شاهد يؤكد الثقة بصحة جامع الصحيح والثقة فى كل مروياته *

التاريخ الكبير

وهو يحق على حد تعبير طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٦١ هـ « تأليف الحافظ النقاد شيخ الاسلام جبل الحفظ وامام الدنيا أبى عبد الله البخارى » *



رواية أبى الحسن محمد بن سهل بن كردى البصرى الفسوى عنه *
ورواية أبى أحمد عبد الوهاب بن محمد موسى الغندجاني عنه *
ورواية الشيخ الجليل أبى الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف عنه *

وقد حاول^(١) فيه استيعاب الرواة من الصحابة فمن بعدهم الى طبقة شيوخه والكتاب ثمانية أجزاء فى أربعة مجلدات ضخمة - رتبه على

(١) انظر التاريخ الكبير فى دار الكتب المصرية تحت رقم ح ١٠٣٤٠ انظر الرسالة المستطرفة ص ٩٦ وتدوين السنة ص ٢٦٥ *

حروف المعجم وبدأه بالمحمدين تكريما لاسم الرسول صلى الله عليه وسلم ووفق الى حسن المطلع فباركه باسم الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبه وقد جعل لكل اسم بابا ورتب الأسماء في الباب الواحد على حروف المعجم وراعى هذا في الحرف الأول من أسماء الالباء أيضا ولم يراع ترتيب أبواب الأسماء حسب حروف المعجم فذكر باب ابراهيم ثم باب اسماعيل ثم باب اسحاق ثم باب أيوب ثم باب أشعث ثم هكذا *

ويذكر اسم المترجم له وبعض من روى عنهم وبعض من روى عنه وقد يذكر حديثا له وقلمما يذكر جرحا وتعديلا (١) ويبين الصحابي بالتنبيه عليه *

والتاريخ الكبير يعطى صورة واضحة عن سعه علم البخارى ومعرفته بالرواة ويضفى الثقة الكاملة على كتابه الجامع الصحيح حيث أن أى ناقد لم يبلغ مبلغه في معرفة القوم فكأنه شهد القوم على حد تعبير استاده اسحاق بن راهوية *

ويعجب الباحث من قوة هذه الموهبة التى حبها الله للبخارى والروحانية المباركة التى أمدّه الله بها حتى يعلم أن الله أفاضها عليه عند قبر صاحب الرسالة الروحانية النبى صلى الله عليه وسلم حيث ألفه حول المقام *

وفد الف البخارى التاريخ الكبير في مقتبل حياته فبل الجامع الصحيح *

يقول البخارى : فلما طعنت في ثمانى عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنف التاريخ الكبير في المدينة عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم في الليالى المقمرة وقل اسم في التاريخ الا وله عندى قصة الا أنى كرهت أن يطول *

(١) ولعله استغنى عن ذلك بكتابه « الضعفاء والمتروكين » *

وقد قوبل التاريخ الكبير في عصر البخارى من شيوخه ومن طبقتهم بالتقدير والاعجاب حتى أن شيخه الامام اسحاق بن راهوية لم يتمالك أن قام فدخل به على الأمير عبد الله بن طاهر فقال أيها الأمير ألا أريك سحرًا (١) ؟ ♦

وقال الاستاذ عيد الوهاب عبد اللطيف وكتب التواريخ والرجال جمعت بين الثقات والضعفاء وهي كثيرة وفيها أحوال كثير من المواضيع ومنها كتاب التاريخ الكبير للبخارى وقد ذكر به أسماء رواة الحديث من عصر الصحابة الى زمنه وفيه نحو من أربعين ألفا مابين ثقة وضعيف ورجل وامرأة ♦ ♦ ♦

وقال المتاج السبكي : أنه لم يسبق اليه وكل من ألف بعده في التاريخ والاسماء والكنى فعيال عليه وقد جمع الحاكم من ظهر جرحه ممن ذكرهم فكانوا نحو من ١٢٦ رجلا ♦

ويصور لنا أبو أحمد الحاكم الكبير مدى أثر التاريخ فيما ألف من كتب ضخمة ذخرت بها المكتبات الاسلامية مثل كتب أبي زرعة وابن أبي حاتم ومسلم بن الحجاج والغسانى وغيرهم وقد حمل البخارى لواء نهضة تاريخ الرواة كما حمل لواء نهضة تدوين الحديث فأصبح بحق العصر الثالث العصر الذهبى والبخارى باعث نهضته في تاريخ الرجال وتدوين الحديث ♦

يقول الحاكم : وكتاب محمد بن اسماعيل في التاريخ كتاب لم يسبق اليه ومن ألف بعده شيئاً في التاريخ أو الاسماء أو الكنى لم يستغن عنه فمنه من نسبه الى نفسه مثل أبي زرعة وأبى حاتم ومسلم ومنهم من حكاه عنه فالله يرحمه فإنه الذى أصل الاصول ♦

وفي تذكرة الحفاظ على ما في مقدمة المعلمى لتقدمة الجرح والتعديل عن أبى أحمد الحاكم الكبير أنه ورد الرى فسمعهم يقرأون على بن أبى حاتم كتاب الجرح والتعديل قال :

(١) سير اعلام النبلاء للذهبي ج ٨ مخطوط بدار الكتب المصرية ♦

« فقلت لابن عبدوية الوراق هذه ضحكة أراكم تقرأون كتاب التاريخ البخارى على شيخكم وقد نسبتموه الى أبى ذرعة وأبى حاتم فقال يا أبا أحمد أن أبا زرعة وأبا حاتم لما حمل اليهما تاريخ البخارى قالوا هذا علم لا يستغنى عنه ولا يحسن بنا أن نذكره عن غيرنا فاقعدا • وعبد الرحمن يسألهما عن رجل بعد رجل وزادا فيه ونقصا » .

وعلق المعلمى بقوله لاريب ان ابن أبى حاتم هذا فى الغالب حذا حذو البخارى فى الترتيب وسياق كثير من التراجم وغير ذلك لكن هذا لا يغض من تلك المزية العظمى وهى التصريح بنصوص الجرح والتعديل ومعها زيادة تراجم كثيرة •

وحاول أن يبرز قيمة كتاب الجرح والتعديل وشخصية صاحبه فيه بأنه تكميل وبه زيادات ونقص وهو كتاب رائع وعظيم لاشك فى ذلك • ولست أنقص من قيمة كتاب الجرح والتعديل بل كلما زادت قيمة كتاب الجرح والتعديل ازدادت النظرة التقديرية الى أصله كتاب التاريخ الكبير للبخارى •

وقد بين الاستاذ المعلمى فى تحليل رائع ما يؤيد ذلك وبين عذر ابن أبى حاتم فى عدم ذكر آراء البخارى •

كما بين أن علم والده انما يرجع الى علم التاريخ الكبير قال «حرص ابن أبى حاتم بارشاد زينك الامامين (أبى زرعة ووالده محمد بن أدريس) على استيعاب نصوص أئمة الفن فى الحكم على الرواة بتعديل أو جرح وقد جعل فى يده ابتداء نصوص ثلاثة من الأئمة وهم أبوه وأبو زرعة والبخارى ، أما أبوه وأبو زرعة فكان يسألهما فى أغلب التراجم التى اثبتها فى كتابه ويكتب جوابهما وأما نصوص البخارى فانه استغنى عنها بموافقة أبيه للبخارى فى غالب تلك الاحكام .

« ومعنى ذلك أن أبا حاتم كان يقف على ما حكم به البخارى غيراه صوابا فى الغالب فيوافقه عليه فينقل عبد الرحمن كلام أبيه » • ثم بين الأستاذ المعلمى أيضا السبب المباشر فى عدم ذكر البخارى ونسبة أحكامه اليه « ويمكن ان تعتبره سببا شخصيا أو سياسيا » فقال

(وكان محمد ابن يحيى الذهلى قد كتب اليهم فيما جرى للبخارى فى مسألة القرآن على حسب ما يقوله النفاس على البخارى كما ذكره ابن أبى حاتم فى ترجمة البخارى فى كتابه فكأنه هذا هو المانع لابن أبى حاتم من نسبة أحكام البخارى اليه •

فعلى كل حال فالمقصود حاصل رحم الله مؤصل الاصول الامام البخارى ورحم الله من اقتفى أثره فقدم للإسلام خيرا •
والتاريخ الكبير طبع بمطبعة حيدر آباد الدكن بالهند طبعته جمعية دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٦١ هـ — ١٣٦٢ هـ فى أربعة مجلدات ضخمة جيدة على ورق جيد •

كتاب التاريخ الصغير (١)

وهو كما عرفه الامام البخارى رضى الله عنه •
كتاب مختصر من تاريخ النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار وطبقات التابعين لهم باحسان ومن بعدهم ووفاتهم وبعض نسبهم وكناهم ومن رغب فى حديثه •
وابتداً الجزء الأول بالتحدث عن أخبار مهاجرى الحبشة وآخره التحدث على من مات فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ممن حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •
ومن مات فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ومن بعده من الخلفاء وتلاه الجزء الثانى وبه ذكر من مات فى خلافة عثمان وهكذا الى آخر الجزء السادس وبه ذكر من مات فى سنة ست وخمسين ومائتين •
وهو رواية أبى ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الهروى —
والحافظ قال أخبرنا أبو على زاهر بن أحمد الفقيه السرخسى بها قراءة

(١) والتاريخ الصغير طبع فى الهند بالخط الحجرى سنة ١٣٢٥ هـ الطبعة الاولى اعنتى بطبعه وتصحيحه العبد المسكين محمد محيى الدين الجعفرى الزينبى وقدم له الاستاذ محمد حامد على والكتاب بمكتبة الازهر رقم ٣٥٠ تاريخ •

عليه سنة ٣٨٩ تسع وثمانين وثلاثمائة قال أخبرنا أبو محمد بن محمد
النيسابوري قال حدثنا محمد بن اسماعيل البخاري .

كتاب الضعفاء الصغير (١)

ابتدأه مرتبا على حسب الحروف الهجائية مبتدئا بحرف الألف •
قال ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع بن جارية الانصاري يروى عنه
وهو كثير الوهم يروى عن الزهري وعمر بن دينار يكتب حديثه •
ابراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيب المدني الانصاري الأشعري عن
داود بن الحصين — منكر الحديث •
وبعد أن انتهى من باب ابراهيم جاء بيان من اسمه
اسماعيل ثم من اسمه اسحاق ثم أيوب ثم باب الباء
وهكذا الى باب الياء وجاء في آخره بالكنى من الضعفاء •

قال أبو بكر بن عبد الله بن أبي سيرة المدني — ضعيف — أبو
الرجال سمع النضر بن النضر بن أنس عن أبيه عن النبي صلى الله عليه
وسلم منكر الحديث عنده عجائب ، أبو ماجد الحنفى عن بن مسعود
ويقال العجلي قال الحميدى عن بن عيينة عن يحيى — (هو منكر
الحديث) •

كتاب الكنى (٢)

وقد ذكر البخاري فيه كنى من غلبت كنيته على اسمه ومن لم يعرف
الا كنيته وابتدأ بحسب ترتيب الحروف الهجائية بعد لفظ أب أو أم
ذكر فيه أولا : باب أبو أميمة بن الأخنس قال قبيصة عن أبي سلمة بن
شقيق الخزومي عن أبي أميمة بن الأخنس عن عمر في الموضحة قال انا
لا تتعاطل المضغ بيننا •

(١) وكتاب الضعفاء طبع في الهند تصحيح محمد حامد على ومحمد محيي الدين الجعفرى
وهو في مجلد واحد مع كتاب التاريخ الصغير ومع كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي في مكتبة
الازهر تحت رقم ٣٥٠ تاريخ •

(٢) في المكتبة الازهرية تحت رقم ٣٥١٨ تاريخ — طبع دائرة المعارف العثمانية الاصفية ،
حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٦٠ هـ •

ثانيا : أبو أميمة المخزومي ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بلص فاعترف فلم يوجد معه متاع فقال : ما أخالك سرقت ؟ * قال بلى قال ما أخالك سرقت ؟ مرتين أو ثلاثة قال بلى قال اقطعوه ثم جرى به فقال استغفر الله وتب اليه فقال استغفر الله وأتوب اليه قال اللهم تب عليه قاله موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة عن اسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة عن أبي المنذر مولى أبي ذر ، وقال حيـان أنبأنا همام سمع اسحاق عن أبي المنذر البراد عن أبي أميمة رجل من الانصار عن النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه *
وبعد أن انتهى من الألف جاء بالباء والتاء الى آخره * ويذكر أحيانا الاسم مثال ذلك ترجمة رقم ٩٦٦ أبو ريحانة اسمه عبد الله وذكر فيه في الرجال ٩٩٣ رجلا *

وفي آخره الكنى من النساء واسم أم هانئ بنت أبي طالب هند وقال بعضهم اسمها فاخنته واسم أم سلمة هند بنت أبي أميمة — وأبو أمية اسمه سهل واسم أم حبيبة رمة وفي آخره هذا آخر كتاب التاريخ الكبير على حروف المعجم وفي آخره الكنى وذكر من غلبت كنيته على اسمه ، وعلى ذلك فهو جزء من التاريخ الكبير *

تصنيف أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله

وبآخر الكتاب بحث عن كتاب الكنى للامام البخارى بقلم الأستاذ الناقد في الرجال الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني المعلمي *
ومن خلاله يتبين اعتماد الأئمة كالامام مسلم بن الحجاج وابن أبي حاتم والحاكم وابن عبد البر في تاريخ الرجال على الامام البخارى كما يتبين منه صلة كتاب الكنى بالتاريخ الكبير وعناية العلماء بمؤلفات البخارى *

قال الشيخ عبد الرحمن المعلمي أما بعد فان جمعيتنا العلمية دائرة المعارف العثمانية لما اعتزمت طبع كتاب التاريخ الكبير للامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله تعالى ظفرت بالجزء الرابع منه في الخزانة الآصفية بحيدر آباد الدكن فسارعت الى استنساخه :

ثم بعد البحث والتنقيب علم بأن في بعض مكاتب استامبول نسخة من الكتاب • وفي المكتبة المصرية نسخة أخرى فاستحصلت الجمعية على صورة مأخوذة منها وعند المقابلة تبين أن المصرية منقولة عن الاستامبولية ووجد في آخر المجلد الرابع من النسخة الآصفية زيادة مشتملة على الكنى لا توجد في الاستامبولية مع أن في آخر الاستامبولية ما لفظه « كمل جميع كتاب التاريخ الكبير » •

وذلك صريح في أن أبواب الكنى المتصلة بآخر النسخة الآصفية كتاب مستقل عن التاريخ •

ولكن الذى تبين بامعان النظر أن هذا الجزء المشتمل على الكنى تأليف البخارى قطعا وأنه ان لم يكن قطعة من التاريخ فهو تنمة له •

فان ابن أبى حاتم مع اقتفائه في ترتيب كتابه أثر البخارى في التاريخ غالبا قال في أواخره (باب ذكر من روى عنه العلم ممن عرف بالكنى ولا يسمى) ثم افتفى في الترتيب أثر البخارى في هذا الجزء غالبا وربما سماه (أى البخارى) كقوله أبو المعلى بن روية كما قاله البخارى في كتابه •

وبالمراجعة وجد ذلك في الكنى رقم ٦٨٥ كما ذكره البخارى ووجدنا ابن عبد البر في الكنى من الاستيعاب ربما نقله عن هذا الجزء فيما يظهر كقوله في الترجمة (أبو خالد ذكره البخارى قال وقال وكيع عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن أبى خالد وكانت له صحبة قال وفدنا الى عمر رضى الله عنه ففضل أهل الشام) •

وتجد هذه العبارة بتغيير يسير في الترجمة رقم ٢٢٣ من هذا الجزء أ • ه وقد رجعت اليها كما أرشد الشيخ عبد الرحمن فوجدتها عند البخارى على الوجه الآتى ٢٢٣ • أبو خالد له صحبه وسمع عمر روى عنه مالك بن الحارث قال عبد الله بن محمد أنعبسى حدثنا وكيع عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن أبى خالد وكانت له صحبة قال وفدت الى عمر ففضل أهل الشام علينا في الجائزة أ • ه وهكذا كل ما أشار اليه الشيخ عبد الرحمن راجعته فوجدته مطابقا •

قال الشيخ وقد نقل ابن حجر في كتبه كثيرا عنها تارة يسميها الكنى المفردة وتارة يسميها الكنى المجردة * * وربما اقتصر على قوله كتاب الكنى أو الكنى أو ذكره البخارى فقط ويظهر من مواضع في كلامه أنه وقف على هذا الكلام وفي مواضع أنه ينقل عنه بواسطة كتاب الكنى لـحاكم أبى أحمد كأنه كان في نسخته نقص *

وقد عد في مقدمة الفتح تصانيف البخارى الى أن قال « وكتاب الكنى ذكره الحاكم أبو أحمد ونقل منه » (١) *

قال (٢) أبو أحمد الحاكم في الكنى قال مسلم أبو بشر - يعنى بالمعجمة - قال وقد بينا أن ذلك خطأ خطأ فيه مسلم وغيره وخليق أن يكون محمد يعنى البخارى قد اشتبه عليه مع جلالته فما نقله مسلم من كتابه تابعه عليه ومن تأمل كتاب مسلم في الكنى علم أنه منقول من كتاب محمد حزو القذة وتجلد في نقله حق الجلادة إذ لم ينسبه الى قائله والله يغفر لنا وله *

قال الشيخ عبد الرحمن أقول قول الحاكم أبى أحمد (ومن تأمل كتاب مسلم في الكنى علم أنه منقول من كتاب محمد) يعنى البخارى أراد بكتاب البخارى التاريخ مع هذا الجزء - نقل مسلم كنى من عرفت أسماءهم من التاريخ وكنى من لم تعرف أسماءهم من هذا الجزء وقد علمت تسمية الحافظ بن حجر لهذا الجزء (الكنى المفردة) أو (الكنى المجردة) والاسم الاول يقتضى أنها ليست من التاريخ لأن معناه الكنى المفردة عن التاريخ كما سموه الأدب للمؤلف (الأدب المفرد) يريدون المفرد عن الجامع الصحيح والاسم الثانى محتمل والظاهر أن معناه الكنى المجردة عن الأسماء أى أنها فيمن لم تعرف الا كنيته مجردة عن الاسم وذلك بالنظر الى الغائب *

وبالجملة فعبارة الحاكم أبى أحمد (علم أنه منقول من كتاب محمد الخ) وأراد ما يشمل أصل التاريخ وهذا الجزء مع ما يدل عليه صنيع

(١) مقدمة فتح البارى *

(٢) تهذيب التهذيب ص ٣٥٨ *

ابن أبي حاتم كما تقدم ظاهر في أن هذا الجزء ان لم يكن من التاريخ فهو
تنمة له والله أعلم .

كتاب الادب المفرد (١)

ذكر فيه البخارى جملة من الأحاديث النبوية الداعية الى مكارم
الاخلاق وحسن المعاملة وابتدأه بعد البسملة بباب قوله تعالى (ووصينا
الانسان بوالديه حسنا) *

أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسن بن حامد بن هارون
ابن عبد الجبار البخارى المعروف بابن النيازكى قرأه عليه فأقر به قدم
علينا حاجا في صفر سنة سبعين وثلاثة مائة قال أخبرنا أبو الخير أحمد بن
محمد بن الخليل بن خالد بن حريث البخارى الكرماني العبقسى البزار
سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن
ابراهيم بن المغيرة بن الاحنف الجعفى البخارى قال حدثنا أبو الوليد قال
حدثنا شعبة قال الوليد بن ائعيز أو أخبرنى قال سمعت أبا عمرو الشيبانى
يقول حدثنا صاحب هذه الدار وأوماً بيده الى دار عبد الله قال سألت
النبي صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب الى الله عز وجل قال الصلاة
على وقتها ، قلت ثم أى قال بر الوالدين ، قلت ثم أى قال ثم الجهاد فى
سبيل الله قال حدثنى بهن ولو استزدته لزادنى *

حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال حدثنا يعلى بن عطاء عن أبيه
عبد الله بن عمر قال رضا الرب فى رضا الوالد وسخطه فى سخط الوالد
(باب بر الأم) حدثنا أبو عاصم عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قلت
يا رسول الله من أبر ؟ قال أمك قلت ثم من أبر ؟ قال أمك قلت من أبر ؟
قال أمك قلت من أبر قال أباك ثم الاقرب فالأقرب *

حدثنا سعيد بن أبى مريم قال أخبرنا محمد بن جعفر بن أبى كثير
قال أخبرنى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أنه أثناه رجل

(١) أنظر كتاب الادب المفرد طبع فى المطبعة النازية لصاحبها عبد الواحد محمد الازى
الطبعة الاولى ٣ صفر سنة ٢٤٩ هـ . والادب المفرد شرحه محب الدين الخطيب طبع المكتبة
السلفية .

فقال أنى خطيت امرأة فأبت أن تنكحنى وخطبها غيرى فأحبت أن تنكحه
فغرت عليها فقتلتها فهل لى من توبة • قال أمك حية قال لا قال تب الى
الله عز وجل وتقرب اليه ما استطعت فذهبت فسألت ابن عباس ثم سألته
عن حياة أمه فقال انى لا أعلم عملاً أقرب الى الله عز وجل من بر الموالدة
(باب بر الأب) حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا وهيب بن خالد بن
شريحة قال سمعت أبا زرعة عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله من أبر
قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أباك •
قال حدثنا بشر بن محمد قال أخبرنا يحيى بن أيوب قال حدثنا أبو
زرعة عن أبي هريرة أتى رجل نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال ما
تأمرنى قال بر أمك ثم عاد فقال بر أمك ثم عاد فقال بر أمك ثم عاد
الرابعة فقال بر أمك ثم عاد الخامسة فقال بر أباك •

(باب بر والديه وان ظلما) حدثنا حماد وهو ابن سلمة عن سليمان
التيمنى عن سعيد القيسى عن ابن عباس قال ما من مسلم له والدان مسلمان
يحبهما محبة واحدة الا فتح بابين يعنى من الجنة وان كان واحدا فواحدا
وان أغضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضى عنه قيل وان ظلما
قال وان ظلما •

(باب لين الكلام لوالديه) ثم باب جزاء الوالدين وباب عقوق
الوالدين وباب لعن الله من لعن والديه وباب بر والديه ما لم يكن
معصية وهكذا وآخر الكتاب باب أحب حبيبك هونا ما •
حدثنا عبد الله قال حدثنا مروان بن معاوية قال حدثنا محمد بن
عبيد الكندى عن أبيه قال سمعت عليا يقول لابن الكراء هل تدري
قول النبى صلى الله عليه وسلم أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون
بغضك يوما ما وأبغض بغضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما
(باب لا يكن بغضك تلقا) حدثنا سعيد بن أبي مريم قال أخبرنا محمد

الأدب المفرد الذى طابق اسمه مسماه بل وأزيد لكان كافيا لكل باحث
عن دينه الصحيح المنقب عما يوصله للسعادتين راحتته فى ذى الدار من
عدم الاشتغال بأحوال العباد واقتصاره على ما ينجو به يوم الميعاد
فهو بغية ما يقتضى خلاصة ما يقتضى فعليك به أيها المؤمن تتجح والزم
مطالعة والعمل به تريح فليس الخبر كالعيان وعلى الله التكلان أ • ه •

من مؤلفات البخارى .

رفع اليدين فى الصلاة

طبع الهند موجود بدار الكتب المصرية رقم ٢٣٣٢٧ ب

خير الكلام فى القراءة خلف الامام

طبع الهند ثم الخيرية فى القاهرة

التاريخ الأوسط كما ذكره كشف الظنون
كتاب الاشربة ذكره الدارقطنى على ما فى الكشف
أسماء الصحابة كما فى الكشف
بر الوالدين كما ذكره ابن حجر

التفسير الكبير للقرآن : موجود بمكتبة الجزائر كما فى دائرة المعارف
الاسلامية وفى مكتبة باريس كما ذكره المستشرق برو كمان على ما فى
أدب اللغة *

الجامع الكبير كما فى الكشف
خلق أفعال العباد كما فى الكشف وقد طبع مع كتاب العلو للذهبي
كتاب العلل فى الحديث ذكره الكتانى فى المستطرفه
قضايا الصحابة والتابعين كما فى تاريخ بغداد
كتاب المسند الكبير كما فى مقدمة الفتوح
كتاب الوجدان وهو من ليس له الا حديث واحد كما فى الفتوح

كتاب المبسوط كما في المقدمة

كتاب الهبة كما في المقدمة

مشيخته ذكر فيه الشيوخ الذين أخذ عنهم كما ذكره ابن أنسبكي في الطبقات

وذكر ابن النديم في الفهرست كتاب سنن الفقهاء للبخاري ولم أراه
لغيره في المراجع الأخرى •

وفاة البخارى

وفى السنة الثانية والستين من حياة هذا الامام العظيم خرج الى خرتك — قرية من قرى سمرقند — فنزل ضيفا على غالب بن جبريل وهو من ذوى قرباه قال غالب فسمعت ليلة وقد فرغ من صلاة الليل يقول فى دعائه « اللهم قد ضاقت على الارض بما رحبت فاقبضنى اليك » • وأقام فى خرتك أياما فمرض • حتى وجه اليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج اليهم فأجاب وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم فلما مشى عشرين خطوة أو نحوها الى الدابة ليركبها وأنا آخذ بعضده قال : « أرسلونى فقد ضعفت » فأرسلناه فدعا بدعوات ثم اضطجع ففضى وكان ذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ بعد أن مضى الدنيا نورا بأحاديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم وترك الاثر الخالد الذى ينير الطريق أمام البشرية ويهديها الصراط المستقيم . رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن المسلمين وعن الانسانية بقدر ما قدم من خير

مراجع الكتاب المطبوعة

اسم الكتاب :

- ١ — الجامع الصحيح للبخارى .
- ٢ — فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى .
- ٣ — عمدة القارى شرح صحيح البخارى للبدر العينى .
- ٤ — ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى للقسطلانى .
- ٥ — الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى للكرمانى .
- ٦ — شرح البخارى للامام النووى ومعه عون البارى لصديق بن حسن القنوجى .
- ٧ — فيض البارى على صحيح البخارى للبهديث الشيخ محمد انور الكشميرى ثم الديوبندى ومعه حاشية البدر السارى الى فيض البارى الأستاذ محمد بدر عالم الميرتهى من أساتذة الحديث بالجمعية الاسلامية بدابهيل .
- ٨ — الأدب المفرد للبخارى .
- ٩ — التاريخ الكبير للبخارى .
- ١٠ — التاريخ الصغير للبخارى .
- ١١ — كتاب الضعفاء للبخارى .
- ١٢ — كتاب الكنى للبخارى .
- ١٣ — مقدمة تنزيه الشريعة عن الأخبار الموضوعة لأبى الحسن على بن محمد الكتانى — تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف .
- ١٤ — هدى السارى مقدمة فتح البارى لابن حجر .
- ١٥ — مقدمة المعرفة لشيخ الاسلام أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم مع تقديم الأستاذ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى .
- ١٦ — مفتاح صحيح البخارى للتوفادى .
- ١٧ — رفع الالتباس عن بعض الناس .
- ١٨ — الطبقات الكبرى لابن سعد .
- ١٩ — اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير .

- ٢٠ — اصول الفقه — طه عبد الباقي الدسوقي .
- ٢١ — العقيدة والشريعة للمستشرق جولد تسيهر — ترجمة الدكتور محمد يوسف وزملائه .
- ٢٢ — السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي للدكتور مصطفى السباعي .
- ٢٣ — الحديث والمحدثون للأستاذ محمد أبو زهو .
- ٢٤ — صحيح مسلم بشرح النووي .
- ٢٥ — تدريب الراوي على تقريب النواوي للسيوطي — تقديم وتعليق الدكتور الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف .
- ٢٦ — منهج ذوي النظر لمحمد محفوظ الترمسي ومعه شرح منظومة علم الأثر للسيوطي .
- ٢٧ — عاوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح ومعه التقييد والإيضاح للعراقي .
- ٢٨ — الأم للإمام الشافعي .
- ٢٩ — الرسالة للإمام الشافعي .
- ٣٠ — تأويل مختلف الحديث لابن مقبية .
- ٣١ — قواعد التحديث للقياسي .
- ٣٢ — مقدمة ابن خلدون .
- ٣٣ — تهذيب التهذيب لابن حجر .
- ٣٤ — جامع بيان العلم لابن عبد البر .
- ٣٥ — تهذيب الأسماء واللغات للنووي .
- ٣٦ — شرح تراجم أبواب صحيح البخاري لمولانا شاه ولي الله الدهلوي .
- ٣٧ — تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .
- ٣٨ — طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي .
- ٣٩ — تذكرة الحفاظ للذهبي .
- ٤٠ — تحفة الباري بشرح صحيح البخاري لشيخ الاسلام زكريا الأنصاري السنيكي الشرقاوي .
- ٤١ — ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي .
- ٤٢ — هدية المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث للشنقيطي .
- ٤٣ — رفع اليدين في الصلاة للبخاري .
- ٤٤ — تاريخ حياة البخاري للقياسي .

- ٤٥ — حاشية التاودي .
- ٤٦ — روح التوشيح على البخارى لعلى بن سليمان الدلتى الجامعوى .
- ٤٧ — تأويل مختلف الحديث للسرد على أعداء أهل الحديث لابن قتيبة .
- ٤٨ — دائرة المعارف الحديثة .
- ٤٩ — دائرة المعارف البستانية .
- ٥٠ — نهاية الارب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى .
- ٥١ — مسند الامام أحمد وبهامشه كنز العمال لعلاء الدين على ابن الحسام .
- ٥٢ — موطأ الامام مالك — شرح الزرقانى — تقديم رحب الدين الخطيب .
- ٥٣ — مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى .
- ٥٤ — شذرات الذهب فى أخبار من ذهب .
- ٥٥ — البداية والنهاية لابن كثير .
- ٥٦ — وفيات الأعيان وانباء الزمان لابن خلكان .
- ٥٧ — تاريخ الاسلام للذهبي .
- ٥٨ — الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر .
- ٥٩ — معجم المؤلفين — تأليف عمر رضا كحالة .
- ٦٠ — كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة — تعليق محمد شرف الدين المدرس بجامعة استنبول .
- ٦١ — رجال الفكر والدعوة لأبى الحسن الندوى .
- ٦٢ — السنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب .
- ٦٣ — اطوار الثقافة والفكر فى ظلال العروبة والاسلام للأستاذ على الجندى وزملائه .
- ٦٤ — المنهج الحديث فى علوم الحديث قسم المصطلح للأستاذ محمد السامحى .
- ٦٥ — المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود قاسم .
- ٦٦ — المنهل الحديث فى علوم الحديث للأستاذ عبد العظيم الزرقانى .
- ٦٧ — شروط الأئمة الخمسة للحازمى — تعليق الكوثرى .
- ٦٨ — ترجمة جامع صحيح البخارى لمحمد بن الدمشقى .
- ٦٩ — حجة الله البالغة لولى الله الدهلوى .

- ٧٠ — الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري .
- ٧١ — فجر الاسلام للأستاذ أحمد أمين .
- ٧٢ — ضحى الاسلام للأستاذ أحمد أمين .
- ٧٣ — مفتاح السنة للأستاذ عبد العزيز الخولى .
- ٧٤ — أبو هريرة راوية الاسلام لمحمد عجاج — سلسلة المؤسسة المصرية
لأعلام العرب .
- ٧٥ — مائك تجارب حياة للأستاذ أمين الخولى .
- ٧٦ — ابن قتيبة للدكتور عبد الحميد سند الجندى — سلسلة المؤسسة
المصرية لأعلام العرب .
- ٧٧ — أضواء على السنة المحمدية — للأستاذ محمود أبو رية .
- ٧٨ — منهاج السنة لابن تيمية .
- ٧٩ — النور السارى من فيض صحيح البخارى للشيخ حسن العدوى .

المراجع المخطوطة :

- ٨٠ — المدخل للحاكم — مخطوط بدار الكتب .
- ٨١ — سير اعلام النبلاء للذهبي — مخطوط بدار الكتب الحربية .
- ٨٢ — النكت وهو مختصر فتح البسارى لابن حجر — مخطوط بمكتبة
الأزهر .
- ٨٣ — تغليق التعليق لابن حجر — مخطوط بمكتبة الأزهر .
- ٨٤ — دروس فى الكلام على الجامع الصحيح لعبد الرحمن الشاهر
بابن الفزى — مخطوط بدار الكتب الحربية .
- ٨٥ — ثلاثيات البخارى — جمع الشيخ أحمد العجمى — مخطوط
بمكتبة الأزهر .
- ٨٦ — الرموز اليونانية للعلامة أبى الحسين محمد على بن محمد بن أحمد
المعروف باليونانى على هامش نسخته من الجامع الصحيح
مخطوط بالأزهر .
- ٨٧ — شرح ابن بطل المالكى المغربى القرطبى — للجامع الصحيح
بالأزهر .
- ٨٨ — التوشيح على الجامع الصحيح للسيوطى — مخطوط بالأزهر .
- ٨٩ — أسماء شيوخ البخارى ومسلم لابن خلفون الأزدى — مخطوط
بالأزهر .
- ٩٠ — غاية المرام فى رجال البخارى الى سيد الأنام للبازلى الكردى
الحموى الشافعى — مخطوط بالأزهر .

- ٩١ — احاديث الأحكام فيما اتفق عليه الامامان البخارى ومسلم « لم يعلم مؤلفه مخطوط بدار الكتب المصرية » .
- ٩٢ — الجمع بين الصحيحين للبخارى ومسلم — تأليف أبى محمد عبد الحميد الأسدى الأندلسى — مخطوط بدار الكتب .
- ٩٣ — عمدة الاحكام فيما اتفق عليه الامامان البخارى ومسلم لتقى الدين عبد الغنى — مخطوط بدار الكتب .
- ٩٤ — الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة للكتانى — مخطوط بدار الكتب .
- ٩٥ — معرفة علوم الحديث للنيسابورى — مخطوط بدار الكتب .
- ٩٦ — شرف أصحاب الحديث — مخطوط بدار الكتب .
- ٩٧ — المستدرك على الصحيحين للحاكم — مخطوط بدار الكتب .

فهرست

رقم الصفحة

٥	المقدمة
٥	مكانة السنة في الدين الاسلامي
١١	جمع السنة وتدوينها من عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، والصحابه الى عصر البخاري
٢١	الباب الأول : نشأة البخاري وحياته العلمية
٢٣	نشأة أبي عبد الله البخاري
٢٣	مولد البخاري وأسرته
٢٦	أفادته من كتب والده
٢٧	الغلام العالم ومنهجه الدراسي
٢٨	رحلته في طلب العلم
٢٩	مبدأ تأليف الامام البخاري
٣٢	شيوخ البخاري
٣٦	طبقات شيوخ البخاري
٤٠	ثمرة تفصيل الطبقات
٤٢	تراجم لبعض شيوخ البخاري
٤٣	على بن المسديني
٤٣	تقدير البخاري له
٤٤	تقدير ابن المديني للبخاري
٤٥	الامام أحمد بن حنبل
٤٦	اثر مسنده في صحيح البخاري وباقي الكتب الستة
٤٧	تقدير الامام أحمد للامام البخاري
٤٨	الامام اسحاق بن راهويه
٥٠	الامام يحيى بن معين
٥٢	نهج البخاري في الحفظ
٥٦	معرفة البخاري بعلوم الحديث

رقم الصفحة

٥٧	• • • • •	نهج البخارى فى قراءة القرآن
٥٩	• • • • •	الباب الثانى : حياة البخارى العامة
٦١	• • • • •	مكانة البخارى فى الصلاح والورع
٦٤	• • • • •	كرم البخارى وزهده
٦٧	• • • • •	مهارته واستعداده للجهاد
٦٨	• • • • •	قضية البخارى مع محمد بن يحيى الزهلى
		اعتزاز البخارى بعلمه ومحنته مع أمير بخارى خالد
٦٨	• • • • •	ابن أحمد الزهلى
٧٦	• • • • •	مكانة البخارى فى عصره
٨٣	• • • • •	الباب الثالث : منهج البخارى فى الجامع الصحيح
٨٥	• • • • •	مكانة صحيح البخارى
٨٦	• • • • •	الباعث على تصنيف البخارى للجامع الصحيح
٨٧	• • • • •	الاسم الكامل لصحيح البخارى
٨٨	• • • • •	مدة تأليف الجامع الصحيح ومكانه
٨٩	• • • • •	منهج البخارى فى رواية حديث الصحيح وشرطه
٩٢	• • • • •	قول الخافض الحنازى فى منهج البخارى وشرطه
		قول الخافض أبى الفضل محمد بن طاهر فى منهج البخارى
٩٥	• • • • •	وشرطه
٩٧	• • • • •	قول الخافض أبى عبد الله النيسابورى
١٠٣	• • • • •	موضوع الجامع الصحيح
١٠٥	• • • • •	مكانة الموطأ من الجامع الصحيح
١٠٦	• • • • •	درجة الموطأ والصحيحين
١٠٧	• • • • •	أثر الموطأ فى صحيح البخارى وبقاى كتب أئمة الحديث
١١٢	• • • • •	رواية البخارى للموطأ
		رأى فؤاد سيزكين أستاذ الأديان فى جامعات ألمانيا فى أن
١١٥	• • • • •	البخارى عالية على الامام مالك والرد عليه
١١٧	• • • • •	الموطأ من كتب الأصول فى السنة
		لكل حديث موقوف أو مقطوع فى الموطأ وصحيح البخارى
١١٨	• • • • •	أهل ثابت من الكتاب والسنة

رقم الصفحة

١١٩	وما بعده
١٢١	أثر منهج البخارى فى صحيح مسلم
١٢٢	موضوع الجامع الصحيح للإمام مسلم
١٢٢	خصائص صحيح مسلم
١٢٨	أفضلية صحيح البخارى على صحيح مسلم
١٣٠	الدليل الاجمالى على الأفضلية
١٣٠	الدليل التفصيلى
١٣٠	(أ) اتفاق الرواه
١٣١	(ب) اتصال السند
١٣١	(ج) السلامة من الشذوذ والعلة
١٣١	(د) البخارى المسند فيه صحيح لذاته
١٣٣	الصحيحان لم يستوعبا الصحيح ولا رواته
١٣٧	تحقيق معنى كون الحديث على شرط الشيخين أو أحدهما
١٣٧	طريق معرفة المثلية
	الاتفاق على وجوب العمل بما فى الصحيحين والخلاف فى
١٤٠	إفادته أحاديثهما القطع أو الظن ؟
١٤٥	تعاليق البخارى
١٤٦	حكم تعاليقه المرفوعة فى صيغ التمريض
١٤٨	الموقوفات
١٥٠	أهمية تعاليق البخارى ومسلها
١٥٢	أغراض البخارى فيما جزم به عن المصنف اليه
١٥٤	الاعتبارات والمتابعات والشواهد
١٥٦	عدد الأحاديث فى صحيح البخارى
١٥٧	آداب طالب الحديث
١٥٩	الباب الرابع : فقه البخارى
١٦١	المحدثون والفقهاء فى عصر البخارى وشيوخه
١٦٢	منهج المحدثين فى استنباط الأحكام
١٦٥	منهج البخارى فى تدوين فقهه وأثره

رقم الصفحة

هل البخارى منتسب لمذهب معين ؟	١٦٧
البخارى مجتهد مطلق وفقهه	١٧٣
مكانة اجتهاده فى عصره	١٧٤
تراجم صحيح البخارى	١٧٧
منهجه فى التراجم	١٧٨
أمثلة من فقهه مع ذكر آراء الأئمة	١٨٦
موقف البخارى من الأحناف فى بعض آرائه الفقهية	١٩٢
إعادة البخارى الحديث فى مواضع كتابه	٢٩٩
الدافع للبخارى على التزامه هذا المسلك فى تراجمه	٢٠٤
الباب الخامس : نقد المتقدمين لحديث البخارى	٢٠٧
نقد المتقدمين لبعض أحاديث البخارى	٢٠٩
الاجابة الاجمالية	٢١١
الاجابة التفصيلية وأمثلة	٢١٢
نقد الرجال وقيمتهم	٢٢٣
مقاييس الطعن فى الرجال	٢٢٤
الباب السادس : النقد الحديث فى صحيح البخارى	٢٢٩
آراء المستشرقين كجولد تسيهر فى السنة وصحيح البخارى	٣٣٣
الرد على جولد تسيهر	٢٣٣
خطأ دعوى عدم النقد عند المتقدمين	٢٣٦
ترديد أبى ريه لكلام المستشرقين وأحمد أمين	٢٣٦
الأحاديث التى انتقدها أحمد أمين فى صحيح البخارى	٢٤١
نقد الدكتور محمد توفيق صابري لحديث الزباب فى صحيح البخارى	٢٤٤
كلمة الطب فى حديث الزباب	٢٤٥
أمثلة من امتزاج مقاييس النقد الحديث	٢٤٨
الباب السابع : البخارى والمنهج الأوربى التاريخى الحديث	٢٥٣
أثر منهج البخارى والمحدثين فى المنهج التاريخى الأوربى	
الحديث مع المقارنة	٢٥٥

رقم الصفحة

٢٥٦	• • • • •	مراحل البحث التاريخي
٢٥٦	• • • • •	(١) التحليل التاريخي الخارجي
٢٥٦	• • • • •	(ب) نقد الوثائق
٢٥٧	• • • • •	(ج) التحقق من شخصية صاحب الوثيقة
٢٦٠	• • • • •	التحليل الداخلي
٢٦٦	• •	الفرق بين منهج الأوربيين ومنهج البخاري والمحدثين
٢٦٧	• • • • •	الباب الثامن : مؤلفات البخاري
٢٦٩	• • • • •	كتاب التاريخ الكبير
٢٧٣	• • • • •	كتاب التاريخ الصغير
٢٧٤	• • • • •	كتاب الضعفاء
٢٧٤	• • • • •	كتاب الكنى
٢٧٨	• • • • •	كتاب الأدب المفسرد
٢٨٢	• • • • •	بقية مؤلفاته
٢٨٤	• • • • •	وفاة الامام البخاري
٢٨٥	• • • • •	مراجع البحث المطبوعة
٢٨٩	• • • • •	مراجع البحث المخطوطة

رقم الايداع بدار الكتب

٨٢/٢٥٦٦



